رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

شعراء عباسيون منسيون

القسم الثاني: الجزء الأول

ثقافة البادية ومسالكها
لدى ثلة من شعراء المائة الثانية

إبراهيم النجار

دار الغرب الإسلامي

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

شعراء عباسيون منسيون

رفع
المسهم

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه
2008-12-10

كلية آداب - بنين

شعراء عباسيون منسيون

القسم الثاني: الجزء الأول

ثقافة البادية ومسالكها
لدى ثلة من شعراء المائة الثانية

جامعة الكويت
إدارة المكتبة - قسم
رقم التسجيل: ١١٧٥٩١
التاريخ: ١٩٩٧/١٠/٢٥

ابراهيم النجار

دار الغرب الإسلامي

٨١١/٢
م ـ ـ

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

© 1997 دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى

دار الغرب الإسلامي
ص . ب . 5787 - 113 بيروت

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية، أو الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

رفع المسهم

الإهداء

إلى رُوح والديّ
اللذين أوحيَا لي صغيرًا
بأن المَرء بذاكرته أو لا يكون
وما فتئا يذكّراني كبيرًا
بأن آفة المَرء النّسيان

رفع المسهم

رفع
المسهم

فاتحة

شعرُ الرَّجل قطعة من كَلامه
وظنّه قطعة من علمه
واختياره قطعة من عقله

الجاحظ

رفع المسهم

رفع
المسهم

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخـــل

يستقلُّ الجزء الأول من هذا المجموع بحلقة خاصة يمثّلها ثلّة من شعراء العصر[1] أثبتوا أنّ سَنَدَ البادية لم ينقطعْ في خِضَمّ «بِدَع» المحدثين، وأن ثقافةَ صحراء الجزيرة الحقّ باقيةٌ متجدّدة، وأنّ منْحَى الأصالة المُلْتَحِم بهذه الثقافة «التّأسيسيّة» متواصلٌ، وبذلك أدْركوا إدراكَنا اليوم أنّ الشعرَ في جوهره قبل أن يكون طرفة من الطّرائف تتلوّن عبارتُه وصيَغُه وألفاظهُ بأصباغ كلّ جديد يزول بزوال أعراضه، إنّما قرارتُه الإنسانُ يكون ما لَمْ تنقطعْ صلتُه بالأصول.

ولقد حاولنا الوقوف على هذه الظاهرة المميّزة عَبْر الدّراسات الجزئيّة والتعاليق المفصّلة التي تتخلّلُ حلقاتِ هذا الجـزء الأول وبخاصة المقدمة التي وضَعْناها لشعر خَلَف الأحمر وعبّرنا فيها عن جُملة من الآراء النقديّة أجريناها في سياق ما نَرُومه من الكشف عن سُبُل جديدة في استقراء مدوّنة الشعر العربـي القديم.

وفي مجال هذه الرؤية سيلاحظ القارىء مَدَى انْزياحنا في تَقْييم مُدَوّنَة العصر عمّا ذهب إليه عامّةُ الدّارسين في تَصْنيف الشّعراء إلى «مُجَدّدين» و «مُقَلّدين»[2]، وهو ما حاولنا اسْتِقْصاءَه في تَضَاعيف الدّراسة التّأْليفيّة التي

---

(1) وهم حسب ورودهم في هذا القسم: خلف الأحمر، وابن أبـي كريمة، وأبو شراعة، وأبو الخطاب البهدلي، وناهض بن ثومة، وأبو الشيص.

(2) انظر الجواري في دراسته «الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث» (ص 214 ـ 233) حيث يصنف شعراء العصر إلى طوائف ثلاث: أ ـ المجددون، ب ـ طائفة وسطى أسماها «المتفننون»، ج ـ المقلدون، وخص كل طائفة بفصل عنون له بالمصطلح ذاته. انظر كذلك الفصل القيم الذي عقده محمد مصطفى هدارة في كتابه «اتجاهات الشعر =

رفع المسهم

فَتحْنا بها هذا العمل في قِسْمه الأوّل وأردْناها مَجْمعاً لأُمّهاتِ القضايا التي تُثيرها هذه المدوّنة. ذلك أنّ قَصْرَ التّجديد في شِعْر المُحدَثين على طائفة من الشّعراء «غلَبَ عَلَيْهـا ـ في نَظَر بَعْضِهم ـ الهزْلُ والمُجُونُ»[1] وخَرجتْ بالشعر ـ في نظر الآخرين ـ عن العَمُود الذي نَهَجه القدماء وأقرَّهُ العلماءُ والرّواةُ في القرن الثالث[2]، إنّما أفْضَى بهؤلاء وأولئك إلى حَشْر طوائفَ أخرى من الشعراء عدّوها من أنصار «مذهب الأوائل»[3] أوْ من أنصار «المدرسة البدويّة»[4] في صفّ المقلّدين[5]، في حين أنّ الرأيَ عندنا هو أنّ هؤلاء لم يكن حظُّهم من الابْتِدَاع صِياغةً ومقْصداً في كثير مَا قالوا دون حظّ منْ زُجَّ بهم في صفّ «المجدّدين»، وهو ما سَعَيْنا إلى تَبْيانه في هذا الجزء الأول.

= العربـي في القرن الثالث الهجري» (ص 157 ـ 175 بالخصوص) لدراسة الخصومة بين القدماء والمحدثين، حيث نقف على نظرة تأليفية لآراء الدارسين المعاصرين في جدلية «القدم والحداثة» التي غذّت أقلام النقاد العرب قديماً وحديثاً.

(1) انظر الجواري: الشعر في بغداد... ص 215.

(2) انظر هدارة: اتجاهات الشعر... ص 160 ـ 161.

(3) انظر البهبيتي: تاريخ الشعر العربـي... ص 472.

(4) انظر عطوان: الشعراء من مخضرمي الدولتين... ص 429.

(5) نذكر بعضهم ممن نشرت مجاميع أشعارهم (أو ما تبقى منها) في السنوات الأخيرة، وهم على التوالي حسب ورودهم في الدراسات المذكورة في الهوامش أعلاه: مروان بن أبـي حفصة، عمارة بن عقيل، إسحاق الموصلي، علي بن جبلة العكوك، بكر بن النطاح (ذكرهم الجواري... ص 229 ـ 223). ناهض بن ثومة، أبو الخطاب البهدلي، أبو شراعة (وهم من جمعنا أشعارهم في هذا القسم: ذكرهم هدارة بإضافة بشار وأبـي نواس بمناسبة ما أسماه بقصائدهما «التقليدية»: ص 165 ـ 172). كلثوم العتابـي، مروان بن أبـي حفصة، منصور النمري (ذكرهم البهبيتي... ص 472 ـ 480). الحسين بن مطير الأسدي، أبو حية النميري (ذكرهما عطوان.... ص 431). وقد أوردنا نماذج من أشعارهم في هذا الجزء: انظر الملحق.
ملاحظة: يجد القارىء في الجزء السادس من هذا العمل ثبتاً نقدياً وافياً لما نشر من شعر «المقلين» في العصر العباسي الأول خلال العقود الأخيرة.

رفع المسهم

ـ 1 ـ

خلف الأحمر

(توفي نحو 180هـ)

● «كان عالماً بالغَريب والنّحْو والنّسب والأَخْبار، شاعراً كثيرَ الشّعر جيّدَه، ولم يكنْ في نُظرَائِه من أهْل العِلْم أكْثَرَ شِعْراً منْه. . . وكان يقول الشعرَ وينْحلُهُ المتقدّمين. . .».

ابـن قتيبة (الشعر والشعراء ص 763)

● «وكان خَلَفٌ نَسِيجَ وحْدِه في الشعْر».

ابـن المعتزّ (طبقات الشعراء ص 201)

● «. . . قيل لأبـي نواس: ما تقول في خَلف الأَحْمر؟ قال: جمَع عِلْمَ الناسِ وفَهِمَهُ».

المرزباني (نور القبس. . . ص 109)

رفع المسهم

رفع
المسهم

خلف الأحمر وما تبقى من شعره
أو
الشاعر الراوية وجريرة الانتحال
ـ 1 ـ

من كبار رواة القرن الثاني[1] ومن كبار شعرائه كما شهد بذلك القدماءُ أنفُسهم[2]. إلاَّ أنّ هذا المصيرَ المزدوج لم يَدْرَأْ عن الرّجل ـ وقد تَجَمّعَتْ في شَخْصه صفاتُ الرّاوية النّاقد وصفاتُ الشاعر المطبوع ـ شرَّ تَبِعَتَيْن: فَأَهْمَلَتْه الرّوايةُ لِمَا كان يقوله من الشعر ينْحَلُه الأقدمين[3] ونَسِيَه الشّعرُ لاقتران ما صَحّت نسبتُه إليه بشُبهة الانتحال[4] وبذلك ظُلِم مرّتين. فهل من سبيل إذن ـ ونحن

---

(1) انظر عناصر لترجمته ومتفرقات من أخباره وثبتاً في المصادر والمراجع في ذيل هذه الدراسة.

(2) يقول ابن المعتز (طبقات... ص 147): «كان شاعراً مطبوعاً مفلقاً» ـ ويقول الجمحي (فحول الشعراء ص 21): «اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقهم لساناً» ـ ويقول ابن قتيبة (الشعراء ص 763) «كان عالماً بالغريب والنحو والأخبار شاعراً كثير الشعر جيده» ـ ويقول المرزباني (نور القبس ص 72): «ولم ير أحد أعلم بالشعر والشعراء منه» ـ ويقول ياقوت (المعجم ج 11 ص 67 ـ 68): «قال أبو عبيدة: خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة... وله ديوان شعر حمله عنه أبو نواس».

(3) يقول ابن قتيبة (الشعراء... ص 765): «كان يقول الشعر ينحله الأقدمين» ـ ويقول المرزباني (الموشح... ص 392). «قال الأصمعي: رواة الكوفة غير منقحين، أنشدوني أربعين قصيدة لأبي دؤاد الأيادي قالها خلف الأحمر» ـ ويقول ياقوت (المعجم... ج 11 ص 68): «وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه فأبى».

(4) يقول بلاشير (تاريخ... ص 105): «إن المقطعات القليلة النادرة التي وصلتنا له ـ =

رفع المسهم

نواصلُ دراسة نماذج من شعر المقلّين في العصر العباسي الأول ـ إلى أن نقفَ قليلاً عند خلف لنرفعَ عنه إحدى المظلمتَيْن، وبذلك نكون ـ وقد حاولنا مراجعةَ بعض الآراء في شأنه ـ قد ساهمنا في إنصاف الشاعر في انتظار من سيُنْصِف الرّاويةَ!.

ذاك ما سنحاول في هذا المدخل لدراسة شعره.

ـ 2 ـ

لقد أَهْمل الدّارسون باستثناء بعض المستشرقين دراسةَ ما تبقّى من شعر خَلَف[1] أو ما نُرجّح نحن صِحّةَ نِسْبته إليه، لاعتقادهم أنّ شعراً يضَعُه صاحبُه وينحلُه الأقدمين[2] لا تُقَدَّر قيمتُه إلاّ بالنّظر إلى شعر هؤلاء، ومع ذلك نوَّهَ القدماء في غير ما موضع ـ كما مرّ[3] ـ بعبقريّة خلف وأَشَادوا بجَوْدة شعره. ونحن إذْ نُدْرجُ اليوم ضمن ما جمعناه من شعر المقلّين، جانباً وافراً ممّا تبقّى من شعر الرّاوية، ـ ومعظمُه فرائدُ قلّت روايتُها فَقَلَّ تواتُرُها في المجاميع القديمة ـ فإنّما نريد أن نقفَ بذلك على وجهٍ من الشعر في النصف الثاني من المائة الثانية انصهرت فيه عناصرُ البادية بعناصر المدينة انصهاراً يدل دلالةً عميقة على روح العصر ويكشف عن بعض مسالكه الفنيّة. فعلاقةُ خلف بثقافة البادية وما أفرزَتْه

= وواضح هنا أن الناقد لم يقف على جميع ما تبقى من شعر خلف وهو ليس بالقليل النادر كما يزعم ـ إنما تكشف عن حذق هو حذق من صناعته النحل أكثر مما تكشف عن موهبة شعرية حقيقية» وهو رأي يرد، كما نلاحظ، بدون دليل وفيه من الإجمال ما فيه.

(1) انظر: آلواردت: قصيدة خلف الأحمر.

«Chalef El Ahmar's Qasside» de W. Ahlwardt.
Greifswald (Allemagne) 1859, 456 pages.

وهي دراسة تحليلية معمقة تعقب فيها المستشرق الألماني جملة الأخطاء التي وقع فيها زميله المستشرق فون همر von Hammer في تحقيق نص المقصورة وترجمته (القصيدة رقم 6 ضمن هذا المجموع).

(2) بل وحتى المعاصرين: أنظر «نور القبس...» (ص 75) حيث يذكر المرزباني نقلاً عن علي بن هارون المنجم عن أبيه «أن خلفاً قال قصيدة نحلها عباد بن الممزق يذكر فيها أبا محمد اليزيدي...» وهي القصيدة الفائية(رقم 4) التي ترد ضمن هذه الحلقة الأولى.

(3) انظر الإحالة رقم 1 بالصفحة 13.

رفع المسهم

من أنساق فنية علاقةٌ مزدوجة: علاقةُ انتماء وتجذير لأصول هذه الثقافة[1]، وإنْ اتّخذتْ في كثير من الأحيان شكْلَ المعارضة والنّحل[2]، وعلاقةُ تجاوزٍ يؤكّدها منْحَى الهزْل والسّخرية الذي انْتهجَه في كثير من شعره والذي يدلّ على انْغِراسه في مناخ ثقافي جديد هو مناخُ أهل المدينة. هذا ما نذهب إليه.

وإنّ هذا المَنْحَى المُزْدوج ليَتجلّى بعيدَ المَدَى في المقصورة المُطوّلة (71 بيتاً)[3]:

«نَـأَتْ دَارُ لَيْلَـى وَشَـطَّ المَـزَارُ فَعَيْنَـاكَ مَـا تَطْعَمَـانِ الكَـرَى»

حيثُ تطالِعُنا عناصرُ المدينة وقد تجمعَتْ في صورة خاطفة، صورةِ القصْر المنيع وحرس الجُند (الأبيات 1 ـ 5)، وعناصرُ الصحراء وقد تَمَثّلَها الشّاعر في صورة الماء الآجِنِ والحنَشِ الهَوْل والقُمريّةِ النّائحة والأوْرق الكاسِر وَسِرْب القَطَا الفَزِع ومناهلِ الماء الحَيِّ (الأبيات 6 ـ 43)، وهي كما نرى عناصرُ تنتظم جنباً لجنب إذا ما اعتبرنا نظامَ القصيدة الخارجيَّ إلاّ أنها تَلْتَئِمُ عَبْرَ صُورة الفَرَس حيوانِ الصّيد الدّاجنِ الذي يمثّلُ أحسن تمثيل حَلقَة الوصْل بين مناعةِ الحياة وطيبِها بالمُدن وقسوتها بالصحراء (الأبيات 44 ـ 71)، وبذلك تَتَشكّل شَبكةُ العلاقات المتقاطعة التي تَشُدّ شاعراً كخلف ومعظمَ شعراء جيله[4] الذين استقرّوا

---

(1) انظر: هدارة/ اتجاهات... ص 400 حيث يبدي رأياً مخالفاً لهذا.

(2) يبدو أنه إلى جانب ما تميز به العصر من عمل دائب قام به أعلام الرواة لجمع الشعر القديم، وما لحق هذا الشعر من وجوه الاضطراب في روايته والتشويش في نصه ـ وهو أمر لم يبق شعر تناقلته الرواية الشفوية بمعزل عنه قديماً وحديثاً ـ، إلى جانب هذا ينبغي أن نذكّر بأن خلفاً كان ممن يتعصّب لليمانية وأن ما نسب إليه من شعر ـ أدرجنا بعضه ضمن هذا المجموع ـ نحله الشنفرى الأزدي (اللامية) أو تأبط شراً (المرثية وهي لامية أيضاً)، يؤكد من ناحية أخرى أثر العصبيات في انتحال الشعر، ويدعم من ناحية أخرى ما رجح بعضهم صحة نسبته إلى الراوية من فرائد القصائد وهو موقف أخذنا به.

(3) انظر «سمط اللآلي...» ص 865 حيث يتعرض البكري وكذلك الميمني (محقق السمط) إلى اضطراب الرواية في شأن هذه القصيدة. والقصيدة ترد ضمن هذا المجموع تحت رقم 6.

(4) انظر ما حققناه وقدمنا له من شعر ربيعة الرقي (توفي 198هـ) وأبـي الخطاب البهدلي =

رفع المسهم

بمدن العراق إلى ثقافة البادية. وإنَّ ما يَبْدو رَفْضاً للصحراء القاتلة وركوناً إلى المدينة المطمئنّة لَيُخْفِي حنيناً دفيناً إلى هذه الصَّحراء وقد أصبحت رَمْزاً للحريّة، واستخفافاً بقُصُور المدينة وإنْ «تعالَتْ شُرُفَاتُها» و «رابَطَ حَوْلَهَا الجُنْدُ» وقد أصبحتْ رمزاً للعبودية[1]. وهو ما لَمْ يهْتَدِ إليه ـ في رأينا ـ القدماءُ وكذلك المستشرق «آلْوَرْدت» (Ahlwardt) ومَنْ نَحَا نَحْوَه مِن الدّارسين عندما رَدّوا بصفةٍ آلية مثلَ هذا الشِعر الذي أَفْرَزَه القرنُ الثاني إلى نظام القصيدة كما استقرَّ عند الجاهليين لا يخرجُ عنه في أشْكالِهِ وأَغراضه ودَلاَلاَتِه[2].

وإنّنَا لَنَجِدُ شاهداً ثانياً في شعر خَلَف على هذه المزاوجة بين أنْساق التّعبير المَوْروثة وحساسية العصر، نلمسُ ذلك في أكثرَ من قصيدة من شعره وبخاصة في قصيدته الفائية[3] التي يعْبثُ فيها بأحد معاصريه فيَرْميه باللّواط «بأَمْلَح مَعْنى، ويَجِدُّ في ذلك فَيُخْرجُه مَخْرَجَ المَزْح»[4]. فالمَنْحَى الفَنِيّ في هذه القصيدة يقوم على انتحال خطاب شعري هو خطابُ أهل البادية لِتَأْدية حساسية حضريّة عابثة ساخرة. فَنَمَطُ القصيدة الصعبُ وانغِلاقُ معجمها وصَخَبُ إيقاعها مِمّا قد يذْهبُ

= (توفي 190هـ؟) وأبـي شراعة (توفي 230 هـ) وأبي فرعون الساسي (توفي 200 هـ؟) وراشد بن إسحاق أبي حكيمة (توفي 240هـ) وأبـي الشيص (توفي 196هـ)، ضمن هذه المدونة الجامعة (الأجزاء 1، 2 و 4).

(1) من الملاحظ أن هذا الحنين الخفي لدفين القيم التي تمخضت عنها ثقافة البادية منذ العهد الجاهلي وبها تلونت مجالات التصور لدى الشعراء المعاصرين، قد يصبح من الوجهة المنهجية خير منفذ لسبر هذا الشعر والوقوف على دلالاته العميقة.

(2) يقول «آلوردت»: «إن قصيدة خلف كسائر القصائد لا تُستَهلّ بالغرض ذاته ـ والغرض هنا يتعلق بالفرس ـ وإنما تُستَهلّ بذكر منزل الحبيبة ثم ينتقل الشاعر إلى وصف مناهل الماء حيث تتجمع حيوانات الصحراء ثم يتخلص إلى وصف وليمة (هكذا) نرى النساء يأتينها بما أعددن من شواء يقدمنه للصيادين» (المرجع المذكور ص 11) ـ فالمقصورة كما نرى وإن تعلق ما يزيد عن ثلثيها (54 بيتاً) بأغراض لا علاقة لها بالفرس لكن لها مكانها من القصيدة ودلالتها أيضاً ـ وقد رأينا هذا ـ تصبح قصيدة في وصف الفرس. وهو ما ذهب إليه البكري نفسه في سمط اللآلي إذ قال: «وأنشد أبو علي (القالي) القصيدة المقصورة في صفة الفرس...».

(3) القصيدة رقم 4ضمن هذا المجموع وانظر كذلك القصائد 5، 3، 8.

(4) انظر الأغاني ج 20 ص 231.

رفع المسهم

الظنُّ معه إلى أنّ الغرضَ على هذا القَدْرِ من الجِدّ، في حين أنّ الحقيقةَ لا تخرجُ عن الهزل والسّخف الصَّريح[1]، وهو أمرٌ لا نستغربُه إذْ أننا نعلمُ أنّ أخلاقَ العصر وحساسيتَه ومنْحاه في تَصَوُّر الخطاب الأدبيّ شعراً ونثراً، لم تكن لِتَعُوقَ كاتباً كالجاحظ أو شاعراً كإبراهيم اليزيدي مثلاً ـ وكان لهما من الكَرم والنّبل والوَقَار ما يتّصفُ به أهْلُ العلم آنذاك ـ عن انتهاج الهَزْل والسّخف[2]. وإنّ هذا المَنْحى في صَوْغ الخطاب الشعري الذي تميّز به ثلّة من شُعَرَاء العصر خَرَجُوا بالشعر عن أجناسه المألوفة[3] فحاولوا المُزَاوَجَة بين أَنْسَاق التعبير الموروثة وحساسية المحدثين ـ ليَتّضِح كذلك في معظم قصائده الهجائية[4] حيث نَلْمَسُ مَنْزَعاً في السخرية يُخْرِجها مخرَجَ المزح والهزل، هو من خصائص أهل المدن، وإن الأرجوزة (رقم 3) التي نُرَجّح نِسْبتها إلى خَلَف لأسباب أثبتناها في موضعها، لتَمثّلُ أحسن تمثيل هذا المنحى. نضيف إلى ذلك كله أنّ عدداً من القصائد ممّا أدرجناه ضمن هذا المجموع ونذكر بوجه خاص اللاّميّةَ في مدح

---

(1) انظر للمقارنة تحقيقنا لديوان أبي حكيمة راشد بن إسحاق (توفي 240هـ) ـ مخطوطة برلين الفريدة ـ ضمن ما جمعناه من شعر المقلين حيث نقف على نفس الظاهرة (الجزء 4).

(2) انظر ما حققناه من شعر إبراهيم اليزيدي (توفي 225هـ) ضمن هذه المدونة (الجزء 3) وكذلك ما جمعناه من شعر البطالة والتطرح في الديارات (الجزء 5). راجع أيضاً بعض آثار الجاحظ (رسالة مفاخرة الغلمان والقيان) وكذلك التوحيدي (الإمتاع والمؤانسة: الليلة الثامنة عشرة ـ البصائر والدخائر: الجزء 2 القسم 2 ص 196 ـ 297) وأبا الفرج الأصبهاني (أدب الغرباء: حيث يطلعنا صاحب الأغاني على لوحات عارية لهذا الأدب «المكشوف» أو أدب الفحش في بعض معارضه القصوى).

(3) انظر قدامة بن جعفر (توفي 320هـ؟) في كتابه «نقد الشعر» حيث يُفصّل القول في ما أسماه بقاعدة الإئتلاف في تحديد أجناس الشعر ومنها «ائتلاف اللفظ والمعنى» ونعوت ذلك وعيوبه ـ أنظر كذلك الجاحظ (توفي ٢٥٠هـ؟) في كتاب الحيوان (ج 6 ص 8) حيث يقول بأن الألفاظ «إنما هي على أقدار المعاني... فشريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها»: وهو ما انزاح عنه جمهور المحدثين في كثير من الأبواب التي طرقوها (انظر هذا المجموع: الجزء 3 والجزء 4 على وجه الخصوص حيث نورد نماذج متنوعة من الشعر تمثل هذا الانزياح أحسن تمثيل).

(4) انظر القصائد: 5، 12، 21، 22، 24، 25.

رفع المسهم

آل البيت (القصيدة رقم 2) واللاّمية التي نَحَلَها تأبّط شرّاً (القصيدة رقم 1) والمقصورةَ المطوّلةَ (القصيدة رقم 6) وبعضَ الأراجيز (القصائد: 12، 14، 24) التي أُثِرَتْ عنه وذكَرَ ابنُ قتيبة أنّه كان يُكثر منها، ومعظمُها قصائدُ غريبة لا يكاد الناس يعرفونها بشهادة القدماء أنفسهم[1] ـ ينمُّ جميعُها عن حذق للشعر واقتدار عليه هو حذقُ المطبوعين[2] لاَ حِذْقُ الصُّنّاع كما ذهب إلى ذلك المستشرق بلاشير[3]. ولعلّنا بهذا، وفي مجال هذه الرّؤية، نُدرك كيف أن عمليّةَ نَحْلِ القدماء تُصْبِحُ لدى خلف تَوْأماً لعمليّة الخلْق ذاتِه، يتأكّد بها مَنْزِعٌ خاصّ في تَصَوُّر الخطاب الشعري تنغرس أصولُه فيما اسْتَقَرَّ من نماذج مُثْلَى للشعر في الأذهان منذ العهد الجاهلي، ويجدُ اقتضَاءَهُ في مُحَاكاتها. وتَتِمُّ عمليّةُ الائتلافِ هذه في ذِهْنِ الشاعر الرّاوية، فيلتَبِسُ «الموضُوعُ» بـ «الصَّحيح» وتنقلبُ لديه الغَيْرَةُ على الشعر القديم ـ وهو مَنْ وَقَفَ على أسراره وقوفَ العارفين[4] وكان أَفْرسَ الناس به[5] ـ غيرةً على شعْرِه هُوَ يُكَاتِمُهُ الناسَ ولا يُعْلنُ عنه، وينْحَلُ منه فحولَ القدماء مَا لاَ يأْملُ من المعاصرين أَنْ يصدقُوه عنه لَو ادّعَاهُ لِجَوْدَته واكْتِماله[6]. وتَشْتدُّ هذه الغَيْرَةُ فتبلُغ به درجةَ من «يَبْذل له الملوكُ مالاً عظيماً خطيراً على أنْ يتكلّمَ في بيت شعر شَكُّوا فيه فَيَأْبَى»[7]، لِعِلْمِه أنه لَوْ عرَّفهُم بذلك لَقالوا لَهُ: «أنتَ كُنت عندنا في ذلك الوقت قبل التّصريح أَوْثَقَ منكَ الساعةَ»[8] وَبَقُوا على معرفتهم الأولى. بَلْ ما قولُك في هذا الذي «يأخُذُ صفحةً

(1) انظر «الأشباه والنظائر» للخالديين (توفيا 380هـ و 390هـ) / ج 2 ص 119 .
(2) انظر «طبقات الشعراء» لابن المعتز (توفي 296هـ) ص 147.
(3) انظر ص (13 الهامش 4).
(4) انظر «نور القبس..» للمرزباني (توفي 384) ص 109.
(5) انظر «طبقات فحول الشعراء» للجمحي (توفي 231هـ) ص 21.
(6) شبيه هنا موقف خلف بموقف إسحاق الموصلي (توفي 235هـ) الشاعر الراوية المغني الذي كان «يقول الشعر على ألسن الأعراب وينشده للأعراب» (الأغاني ج 5 ص 320 ـ 321)، كما كان «يُقدَّم مروان بن أبي حفصة (توفي 182هـ) على بشار (توفي 167هـ) لأن كلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها» (الأغاني ج 3 ص 156).
(7) انظر «المزهر» للسيوطي (توفي 911هـ) ج 2 ص 251.
(8) انظر «معجم الأدباء» ج 11 ص 68.

رفع المسهم

مملوءةً مرَقاً فيَرْمِي بها»[1] غَضَباً على شاعر معاصر «من حُذَّاق المُحدثين ومَذْكوريهمْ وفحُولِهم»[2] تطاول على القدماء فدعاه إلى قَيْس شعره إلى شعر امرىء القيس والنابغة وزهير؟ ألا نلمس في سلوك خلف هذا ـ وهْو يُنَزّلُ الشعرَ الجاهلي منزلةَ الإعجاز كما نرى ـ مَنْزَعاً فريداً في تصَور عمليّة الخَلْق الشعري ـ تَتَحوّل معه قضيةُ الانتحال عنْدَهُ من مجراهَا الاصْطِلاَحِيّ أيّ من صناعةٍ للشعر يُنْسَجُ على منوال القدماء ويُسْنَدُ إليهم، تَشَبُّهاً بِهِمْ وإشادةً بمآثِرِهِمْ، والتماساً، كما كان الشّأن في عَهْدِ بني أُميةَ، لنوع من الأُنس بحياة البادية[3] ـ وهو في رأينا ما فَعَلَه، ولا شكّ، كثيرٌ من الرّواة ـ إلى قضِيّةٍ تتّصلُ بحَقِيقَةِ الشّعر ذاتِه من حيثُ هو صوغٌ متجدّدٌ لأنماطٍ من السلوك وأنْسَاقٍ من التّعبير موصولة حلقاتُها بَعضُها ببعض على تَعَاقُب الأجيال، واستجابةٌ مع ذلك لدَاعِي الانتماء لثقافةٍ لها دَعَائِمُها القارّةُ وخصائصُها المُمَيّزة يَتَلوّنُ بأصالتها، وَدَاعِي التّجذير لأصول هذه الثّقافة يَنْهَلُ مِنْ مَعِينها بلا انقطاع، وَدَاعِي التّوْق المتجدّدِ إلى التّجاوزِ يَعْمَلُ فيه اللّقاح الحضاري عَملَه الدَّائبَ ويخرج به في كلّ آنٍ عن نَهْج التّوْلِيدِ البَاهت إلى مَسَالك الاختراع[4]. هذا في رأينا ما فعل خلف، وهذا ما أرادَ أنْ يَسُنّهُ، دون أن يُصرّحَ به، للمولّدين، حتّى يَتِمَّ لآدابِ العرب من أصالة المَنْزع ما تَمَّ لآداب

(1) انظر «الموشح» للمرزباني ص 453.

(2) طبقات ابن المعتز ص 125. والشاعر هو محمد بن مناذر (توفي 198هـ).

(3) انظر بحث أندري ميكال: André Miquel «الصحراء في معلقة لبيد» بتعريبنا (حوليات الجامعة التونسية العدد 12 سنة 1975 ص 63 ـ 88).

(4) انظر للمقارنة ما عبر عنه يوسف اليوسف في كتابه: «مقالات في الشعر الجاهلي» (دمشق 1975) من آراء تتعلق بإشكالية هذا الشعر عموماً وقضايا النحل على وجه خاص. وهي آراء ـ على ما قد يكتسيه ظاهرها في نظر بعض الباحثين من جدة لها رونق الحداثة ـ تكشف عن منحى في النقد يؤكد لدينا هذه القطيعة التي نلمسها في كثير من الصفحات الفتية من النقد العربي الحديث بين حقل البحث وأنماط التصور المسلطة عليه والتي تجريها طرائق مستحدثة منقولة عن بنى الثقافة الغربية، وهل من شاهد أدل على هذا المنحى من محاولة يوسف اليوسف قيس الشعر الجاهلي، في المستوى «الأنتربولوجي»، بمنظار الأساطير البابلية وأساطير الإغريقية والمدارس الأدبية (من «رومانسية» إلى رمزية التي أفرزتها أوربا الحديثة؟!

رفع المسهم

الغَرْب في عَصْر النهضة وَمَا بَعْدَه، وهي آدابٌ مردودةٌ أساساً، كما نعلم، إلى مجالٍ ثقافي مُتَقَادِم تَنْغَرس أصولُه في عطَايَا أثينةَ وروميةَ والمسيحيةِ، وإنَّ هذا وغيرَه[1] ممّا خَفِيَ عن كثير من المعاصرين عندما استَخَفَّ بعضُهم[2] بخَلَف، مُعَرِضاً بمَوْقفه منْ ثقافة البادية سَائلاً إيّاه عن معنى قول الشاعر:

[الكامل]

وَإذَا انْتَشَيْـــتُ فَـــإنّنِـــي رَبُّ الخَـــوَرْنَـــقِ والسَّـــديـــرِ
وَإذَا صَحَـــوْتُ فـــإنّنِـــي رَبُّ الشّـــوَيْهَـــةِ والبَعيـــرِ[3]

وفي هذا كما نرى إشارةٌ إلى خَلَف الشاعِر يتحوَّلُ مَعَها المعنى من ظَاهر يتعلّقُ بأَساليبِ العيشِ وهو ما يدخُلُ في مألوفِ التّهاجي بيْن الشعراء، إلى مجال أبعَدَ وهو مَجالُ الدَّلالةِ الثقافيةِ العميقة.

يَتّضِح لنا بعْدَ هذا، كيف أنَّ ركوبَ أَغراضٍ مُغْرقةٍ في البَداوة[4] كوَصْفِ ذَوات السّوام مثلاً من حيّاتٍ وعقاربَ وغيرِها يتّخذُها الشّاعرُ مطيّةً لِهجَاء خُصومه[5] فيُخْرجُها مخرَج الهَزْل، إنّمَا يُؤكّد هذا المنْحى الذي بيّناه، ويُقيم

---

(1) انظر الدراسة التي مهدنا بها لـ «القصيدة اليتيمة» ضمن هذه المدونة (المجلد 2 ص 2 ـ 34) وما أبديناه من وجهة نظر تتعلق بمنحى الغزل في الشعر العربي.

(2) إبراهيم اليزيدي (انظر الهامش 4 ص 46).

(3) انظر: «نور القبس...» ص 72 ـ 73، والبيتان من قصيدة للمنخل اليشكري التي طالعها: (انظر الأصمعيات: رقم 14 ص 58).

إن كنـــت عـــاذلتـــي فسيـــرى نحـــو العـــراق ولا تحـــوري...

وقد أجابه خلف يعرض بأنه معلم فقال: [مجزوء الكامل]

وإذا انتشيـــــت فـــــإننـــــي رب الحـــربيـــة والـــرميـــح
وإذا صحـــــوت فـــــإننـــــي رب الـــدويـــة واللـــويـــح

انظر كذلك الفائية (القصيدة عدد 4) ضمن هذا المجموع حيث يعبث خلف الأحمر باليزيدي هذا.

(4) كثيراً ما يجري الشاعر هذه الأغراض (القصائد 3، 6، 12، 14) في بحر الرجز وهو البحر الذي يمثل عفوية البادية أحسن تمثيل، وكذلك في شبيهه البحر الكامل.

(5) يكاد لا تخلو قصيدة من شعر خلف من ذكر ذوات السوام، وهذه الظاهرة التي لمسناها عند تعقبنا لما تبقى من شعره جعلتنا نرجح نسبة جملة من القصائد مما اختلفت الرواية =

رفع المسهم

الشّاهد مرّةً أخرى على هذه المُزاوجة بين أنْسَاق التّعبير الموروثة وحساسية المحدثين، ولعلّنا بهذا وغيره نُدْركُ قيمةَ هذا الشعر في ذاته ونَقِفُ على دلالته العميقة من حيث هو مجلاةٌ صادقةٌ لبعض خصائص العصر.

— 3 —

هكذا نفهم كيف ظُلم خلف الأحمر وكيف أنَّ «جَريرةَ الانتحال» بقيتْ تلاحقُه حتّى العصر الحديث، فَطُمِسَ بذلك الشاعرُ بعد أن امّحَى معْظمُ شعرِه في صُلْب مدوّنة الشعر العربي القديم، وضاع ديوانُه وهو يمثّلُ القليلَ، ولا شكَّ، ممّا احتفظتْ لَهُ بِه حركةُ التّدوين حتّى القرن الرابع، أيْ خمسين وَرَقَة بشهادة ابن النديم[1]. ونحن اليوم إزَاءَ ما انْفَلَتَ من الدّيوان المفقود ونَعْني هذه القصائدَ المتناثرةَ في كُتب الطبقاتِ والاختيار سَوَاءٌ ما نُسِب منها إليه دُونَ غيره أوْ مَا نُسِبَ منها إليه وإلى غيره وَرَجّحْنَا نَحْنُ نِسْبَتَها إليه، والتي وَسَمَهَا بَعْضُ القدماء «بالغَرَائِبِ»[2] لِـ «عِزَّتِهَا بيْن أيْدِي الناس»[3] وقلّةِ منْ يَرْويهَا، ـ نحنُ إزاءَ هذه القصائد بين اثنتين: إمّا أن نُهْمِلَهَا فَنَتَمَادَى في «قِلّة رِوايتها» على نَحْو ما فعلَ الدّارسون حتّى اليوم باستثناءِ بعضِ المستشرقين لِمَا يُلَابِسُ صَاحِبَهَا من شُبهَة كما بيّنّا، وفي ذلك خَسَارَةٌ على الأدب[4]، وإمّا أن نخْرجَ بها المخرجَ

= فيها، إلى خلف (انظر المقصورة عدد 6 الأبيات: 9 ـ 17، واللامية في رثاء تأبط شراً عدد: 1 البيت: 4، واللامية في أهل البيت عدد: 2 الأبيات: 36 ـ 43).

(1) انظر كتاب الفهرست (طبعة طهران ص 184).

(2) انظر «الأشباه والنظائر» ج 2 ص 119.

(3) انظر المنظوم والمنثور قسم القصائد المفردات... لأحمد بن أبي طاهر طيفور (توفي 280) ص 80.

(4) وهي ذات الخسارة التي يمثلها في غير هذا المجال بقاء جانب غير قليل من مدونة الشعر العربي في طي النسيان ونعني بصفة خاصة الشعراء المقلين ممن أقبلنا على تحقيق ما تبقى من أشعارهم، وكذلك الأفذاذ من ذوي النمط الهازل الساخر الذين خرجوا عن السنن، وخرج (بتشديد الراء) بعض أشعارهم في باب المجون والسخف والصعلكة أمثال ابن المعتز في طبقاته وابن الجراح في ورقته والثعالبي في يتيمته.

رفع المسهم

الذي ارتأينا فَنَجْمَعها على نحوِ ما فعلنا بِثُلّةٍ من المُقِلّين المَنْسِيين في العصر العباسي الأوّل، عَسى بذلك أن تَتّضِح لَنا سُبُلٌ جديدةٌ في استقراءِ مدوّنةِ الشّعر العربـيّ[1] تخرجُ بنا عن مسالك النّقدِ الموروثةِ، تلك التي تَقِفُ في تَصَوُّرها تَطوّرَ الخِطاب الشعري عند العبارة وما يَطْرَأُ عليها من ضُروب التّوليد والتّحوير في مستوى الألفاظ والصّيغ، لا تتجاوز ذلك إلى نظْرةٍ تاريخيةٍ شاملةٍ تتعلّق جوهراً بمقاصد الشعر وَدَلاَلاَتِهِ البعيدةِ المنغرسة في صَمِيم اهتماماتِ الشّعراء الذّاتية ومشاغلِ العصرِ العميقة، ولَعلَّ أبا نُواس ـ وهو مَنْ جلَس لِخَلَف وكانَ يَأْخُذُ بِرَأْيِهِ في الشِعْر[2] ـ قَدْ سَلكَ بعْدُ منذُ اثنَيْ عشَرَ قرناً سُبُلَ الاسْتِقْرَاءِ هذه عندما رَثَى أستاذَه مرّتيْن[3] وهو حيّ: رثاه بشعْر اسْتَتَرتْ فيه معالمُ المدينة الزّائلةُ، وأقْلَعَ فيه عن «شُعُوبيّةِ لسانِه» كما يقول ابن رشيق[4]، وتَنَزّلَ به فِي صَمِيم ثَقافةِ البادية البَاقيةِ ـ تلك التي نَهَلَ خلف من مَعِينِها ـ يغْترف منها ما يَقْتَرِنُ وفَاقاً بمعاني الكِيان الذي قَرَارَتُهُ المحبّةُ (المرثية ص 115 البيت 15) ووحدة المصير الذي قَرارتُهُ الموت (المرثية ص 115 البيت 11)، وقد التحمَتْ بمعزلٍ عن زَيْفِ المدينة وبِدَعِهَا، بِصُورةٍ للبادية مجرَّدةٍ عن أكاذيب الأدْعِيَاء، يسْتَلْهِمُ حيوانَها وماءَها الحيَّ وأوْساعَها التي لا تنتهي. وأيُّ شهادة صِدْقٍ أبلغُ وفاءً ومحبةً وسخاءً من هذه، يُؤَدّيهَا أبو نواس لأستاذِه وهو حيٌّ، ويُريدها مِصْدَاقاً لِرُؤْيَاه؟! ولم يكذبْ أبو نواس، فالمُتَتَبِعُ لشعْره وأخباره يرى أنَّ ثورَته على القديم ليستْ ثورةً على «قَدِيم» خَلَف، وإنّما هي ثورةٌ على ثَقافةٍ بدَويّةٍ مستعارة، راجَتْ سوقُها بالمرْبَد آنذاك، استوردَهَا «شَياطينُ الأعراب» على حدّ

---

(1) انظر محاولة الزميل الأستاذ محمد عبد السلام في تحديد موقف النقاد القدامى من شعر الحكمة والزهد (حوليات الجامعة التونسية العدد 15 سنة 1977 ص 83 ـ 94).

(2) انظر ص 109: متفرقات من أخبار خلف (الخبر رقم 1).

(3) انظر القصيدتين ص 181 ـ 183.

(4) انظر العمدة ج 1 ص 232.

رفع المسهم

قول الجاحظ[1]، الواردون على المدن، وقَدْ أدركوا نَهَمَ أهل المدينةِ لِغَرائِبِ البادية[2] فَحَاكُوا لِلرُّواةِ[3] نسيجاً من الخرافات يَتَنَزَّلُ فيها البدويُّ جِلْفاً خَشِناً جافياً وكأنّه من بَقَايَا العهد الحَجَري يَعيشُ في أوساع الصَّحراء القَاتلة بيْن السّباع يُطاعِمُها ويؤَاكِلُها ويركَبُ الجنَّ، وينكَحُ الغيلان، ويأكُلُ الحيّات والعقاربَ مِنْ ذَوات السّوام، والضَّبَابَ وَرَلاً وَوَزَغاً مِن الزَّواحف، والجعلانَ والخنافسَ من الحشرات، واسْتَطاب ذلك الحضرُ والأدعياء من الموالي المستعربين فانتحلوا هذه الثقافةَ الكاذبة «لِيَسْتَوْجبوا حَقَّ النّسب» على حدّ قول علي بن الخليل أحدِ شعراء العصر الهازلين[4].

وهكذا تدلّنا شهادةُ أبي نواس على أنَّ مِنَ المعاصرين أنفسِهم من أدْرَكَ إدراكَنا اليوم أنّ الشّعرَ في جوْهره قبلَ أنْ يكونَ طرفة مِن الطّرائف كما سبق أن

---

(1) انظر الحيوان ج 6 ص 235.

(2) أدركوا ذلك كما أدركوا نهم الرواة إلى نوادر الأشعار مما حفزهم على «وضعها» أحياناً أو «الزيادة» فيها: انظر موقف الجمحي من «مراجعة» العرب لرواية الشعر، وما تعرضت له هذه الرواية في نظره من آفات النحل في عهد التدوين (طبقات فحول الشعراء ص 39 حيث يضرب مثل الشاعر المخضرم متمم بن نويرة وكيف كانت الرواة تتلقط أشعاره). وهذا الموقف المتشكك في صحة الشعر القديم هو ذات الموقف الذي أخذت به مدرسة الاستشراق ومن نحا نحوها من نقاد الجيل الأول من العرب (طه حسين)، والذي حاول دحضه الجيل اللاحق ـ محمد نجيب البهبيتي ويوسف اليوسف ـ في كثير من العنف والصخب: الأول في كتابه: المدخل في دراسة التاريخ والأدب العربيين / الباب الثاني ص 125 ـ 225، والثاني في كتابه: مقالات في الشعر الجاهلي / ص 81 ـ 113.

(3) انظر الحيوان ج 6 ص 172 ـ 259 وبخاصة ص 252 حيث يقول الجاحظ: «فالرواية كلما كان الأعرابي أكذب في شعره كان أطرف عنده وصارت روايته أغلب، ومضاحيك حديثه أكثر فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية الغول، أو قتلها، أو مرافقتها، أو تزويجها» الحيوان ج 3 ص 526 ـ انظر كذلك الخبر المطول الذي ذيلنا به شعر ناهض بن ثومة، والذي يبدو أنموذجاً تاماً لما حاكه الرواة من خرافات تتعلق بغرائب الأعراب (ص 189 ـ 191 من هذا المجلد).

(4) انظر ما جمعناه من شعر علي بن الخليل، القصيدة عدد 1، ضمن هذه المدونة (الجزء الثالث: انظر الفهرس).

رفع المسهم

ذكرنا تَتَلوّنُ عبارتُه وصيَغُه وألفاظُه بأصباغ كلّ جديد يزول بزوال أعراضه، إنّما قَرَارَتُهُ الإنسانُ يكون ما لَمْ تنقَطعْ صلَتهُ بالأصول، وهو ما حقّقه خلف وثلّةٌ من الشعراء أدرجنا معظمَ ما تبقّى من شعرهم ضمن هذا القسم الأول من مدوّنة المقلين في العصر العباسي الأول.

* * *

رفع المسهم

شعر خلف

الباب الأول: قصائد ودراسات:

● **الحلقة الأولى:** اللاّميّتان أوْ من قضايا النّحل والتّدوين في القرن الثاني،

● **الحلقة الثانية:** الأرجوزة والفائيّة واللاّميّة الصّغرى أو من مسالك التّصوير السّاخر لدى المحدثين،

● **الحلقة الثالثة:** المقصورتان والعينيّة أو ثقافة صَحْراء الجزيرة كما تمثّلها المُحدثون.

الباب الثاني: سائر شعر خلف.

رفع المسهم

رفع
المسهم

الباب الأوّل

قصائد ودراسات

رفع المسهم

رفع
المسهم

أدرجْنَا ضمنَ هذا الباب الأول مِنْ شعْر خَلف ـ ومعظمهُ ـ من المطوّلات النّوادر ـ ثلاثَ قصائدَ ممّا اختلَفَتْ الرّوايةُ في نِسْبَتها، ولقد بَرّرْنا اختيارنَا هذا في مَوْضعِه من المقدّمة وعُدنا إلى تأكيده في التّحَاليل التي ذَيّلْنا بها هذه القصائدَ، ولمْ نَشَأ أن نُلقِيَ بهذه الآثارِ الثلاثة[1] ـ وهي عندنا من عُيون الشّعر العربي ـ في ذَيْل المجموع كما تُحَتّمه الطّرائقُ الحديثةُ في تحقيق النّصوص، اعتقاداً منّا أنه لَوْ فعلْنا ذلك لتَلَبّسَتْ بها الشُّبهة ولَمَا اختلَفَ وجهُ مصيرها مجموعةً في ذيل عن وجْهه مطويّةً مُهْمَلَةً في بُطون الأمّهات. أضِفْ إلى ذلك أننا نهجْنا نهْجاً خاصّاً في تقديم هذه المجموعة الأولى من شعر خَلَف، وسعَيْنَا إلى أن يكونَ عملُنا فيها حصِيلَةً لمشَاغِلَ مزدوجة: من ناحيةٍ تخريجُ الآثار من مظانّها وضبطُ نصوصها ونقدُ رِواياتها مع مُحاولة استِقْصَاء جميع المسالك لاسْتِيعاب أكثر وجْهٍ مُمْكن من وجُوه المَعْرفة المؤدّيَة إلى حقِيقَتها. ومن ناحيةٍ أخرى النظر في ما تثِيره هذه الآثار من قضايا ممّا أتاح لنا إبداءَ جُملةٍ من الآراء النقديّة أجْريْناها في سِياق ما نَرُومه من تَقْييم عام لمدوّنة الشعر العربي في عصوره التأسيسيّة.

(1) اللامية رقم 1 والأرجوزة رقم 3 والمقصورة رقم 6 (انظر كذلك ضمن هذا المجموع القصيدة رقم 24 التي يعزوها الجاحظ إلى جاهلي والتي نرجح نسبتها إلى خلف).

رفع المسهم

رفع
المسهم

الحلقة الأولى: اللآميتان
أو
من قضايا النحل والتدوين في القرن الثاني

ـ 1 ـ
اللّامية الأولى

[المديد]

1 ـ إنَّ بالشِّعْبِ الذي دُون (1) سَلْعٍ لَقَتِيلاً دَمُهُ ما يُطَلُّ
2 ـ خَلَّفَ (2) العِبْءَ عَلَيَّ وَوَلّى أنَا بِالعِبْءِ لَهُ مُسْتَقِلُّ
3 ـ وَوَرَاءَ الثّأرِ مِنِّي ابْنُ أُخْتٍ مَصِعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ
4 ـ مُطرِقٌ يَرْشَحُ سُمًّا (3) كما أطْ رَقَ أفعى يَنْفُثُ السُّمَّ صِلُّ
5 ـ خَبَرٌ ما نَابَنَا مُضْمَئِلٌّ جَلَّ حَتّى دَقَّ فيه الأَجَلُّ
6 ـ بَزَّنِي الدَّهْرُ وكَانَ غشُوماً بِأَبِي جَارُهُ مَا يَذِلُّ
7 ـ شَامِسٌ فِي القُرّ حَتّى إذَا مَا ذَكَتِ الشِّعْرَى فَبَرْدٌ وَظِلّ (4)
8 ـ يَا بِسُ الجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ ونَدِي الكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ
9 ـ ظَاعِنٌ بِالحَزْمِ حتّى إذَا مَا حَلَّ حَلَّ الحَزْمُ حَيْثُ يَحِلُّ
10 12 ـ وَلَهُ طَعْمَانِ أَزْيٌ وَشَزْيٌ وَكِلاَ الطّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ
10 11 ـ غَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدي وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْثٌ أَبَلُّ
11 12 ـ مُسْبِلٌ (5) فِي الحَيّ أَحْوَى رِفَلٌّ وَإِذَا يَغْزُو (6) فَسِمْعٌ أَزَلُّ
13 ـ يَرْكَبُ الهَوْلَ وَحِيداً وَلاَ يَصْـ ـحَبُهُ إلاَّ اليَمَانِي الأَفَلُّ

رفع المسهم

14 ـ وَفُتُوٌّ هَجَرُوا ثُمَّ أَسَرَوْا لَيْلَهُم حَتّى إذَا انْجَابَ حَلُّوا

15 ـ كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسَنَى البَرْقِ إذَا مَا يُسَلُّ

16 ـ فَادَّرَكْنَا الثّأْرَ مِنْهُم وَلَمَا يَنْجُ مِنْ لَحْيَانَ (7) إلاَّ الأَقَلُّ

17 ـ فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فَلَمَا هَوَّمُوا (8) رُعْتَهُمْ فَاشْمَعَلُّوا

18 ـ فَلَئِنْ فَلَّتْ هُذَيْلٌ شَبَاهُ لَبِمَا كَانَ هُذَيْلاً (9) يَفُلُّ

19 ـ وَبِمَا أَبْرَكَهَا (10) فِي مُنَاخٍ جَعْجَعٍ يَنْقَبُ فِيهِ (11) الأَظَلُّ

20 ـ وَبِمَا صَبَّحَهَا فِي ذَرَاهَا مِنْهُ بَعْدَ القَتْلِ نَهْبٌ وَشَلُّ

21 ـ صَلِيَتْ مِنْهُ (12) هُذَيْلٌ بِخِزْيٍ لاَ يَمَلُّ الشَّرَّ حَتّى يَمَلُّوا

22 ـ يُنهِلُ (13) الصَّعْدَةَ (14) حتّى إذَا ما نَهِلَتْ (15) كَانَ لَهَا مِنْهُ عَلُّ

25 23 ـ تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ

26 24 ـ وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَغْدُو (16) بِطَاناً تَتَخَطَّاهُمْ فَمَا تَسْتَقِلُّ

23 25 ـ حَلَّتِ الخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَاماً وَبِلأْيٍ مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ

24 26 ـ فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بنَ عَمْرو إنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ (17)

ضبط النص:

اعتَمدْنا أساساً روايةَ الحماسة لأبي تمّام بشرح التّبْريزي في ضبط القصيدة وهي من أتمّ الرّوايات (26 بيتاً)، وقد لاحظنا تَشْويشاً في تَرْتيب بعض الأبيات يختلُّ مَعَهُ نَسَقُ المعاني ووحدةُ البِناء، وذلك في موْطنين. فَأَقْرَرْنَا نِظاماً جديداً لهذه الأبيات وأشرْنا إلى ذلك بأرقام هامشية تشير إلى تَسَلْسُل أرقام الترتيب الأصلي. وتخريجُنا للقصيدة يردّ القارئَ إلى هذا الترتيب وهو ترتيب الحماسة.

التخريج:

(المصادر مرتّبة حسب أهميتها وعدد الأبيات الواردة فيها):

- حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ج 2 ص 313 ـ 318 (1 ـ 26) معزوّة

رفع المسهم

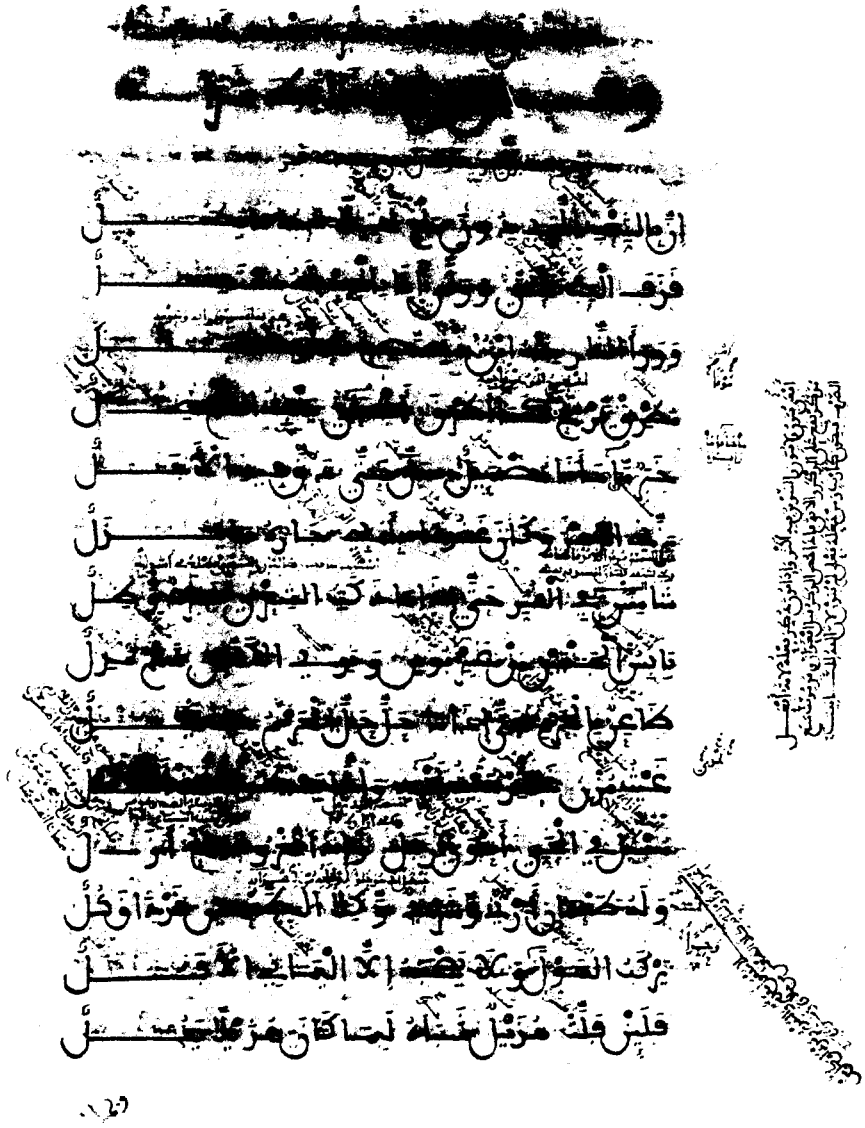

صفحتان من شرح ديوان الحماسة للأعلم الشنتمري (ت 476 / 1084)
خزانة المخطوطات، المكتبة الوطنية، تونس

رفع المسهم

رفع
المسهم

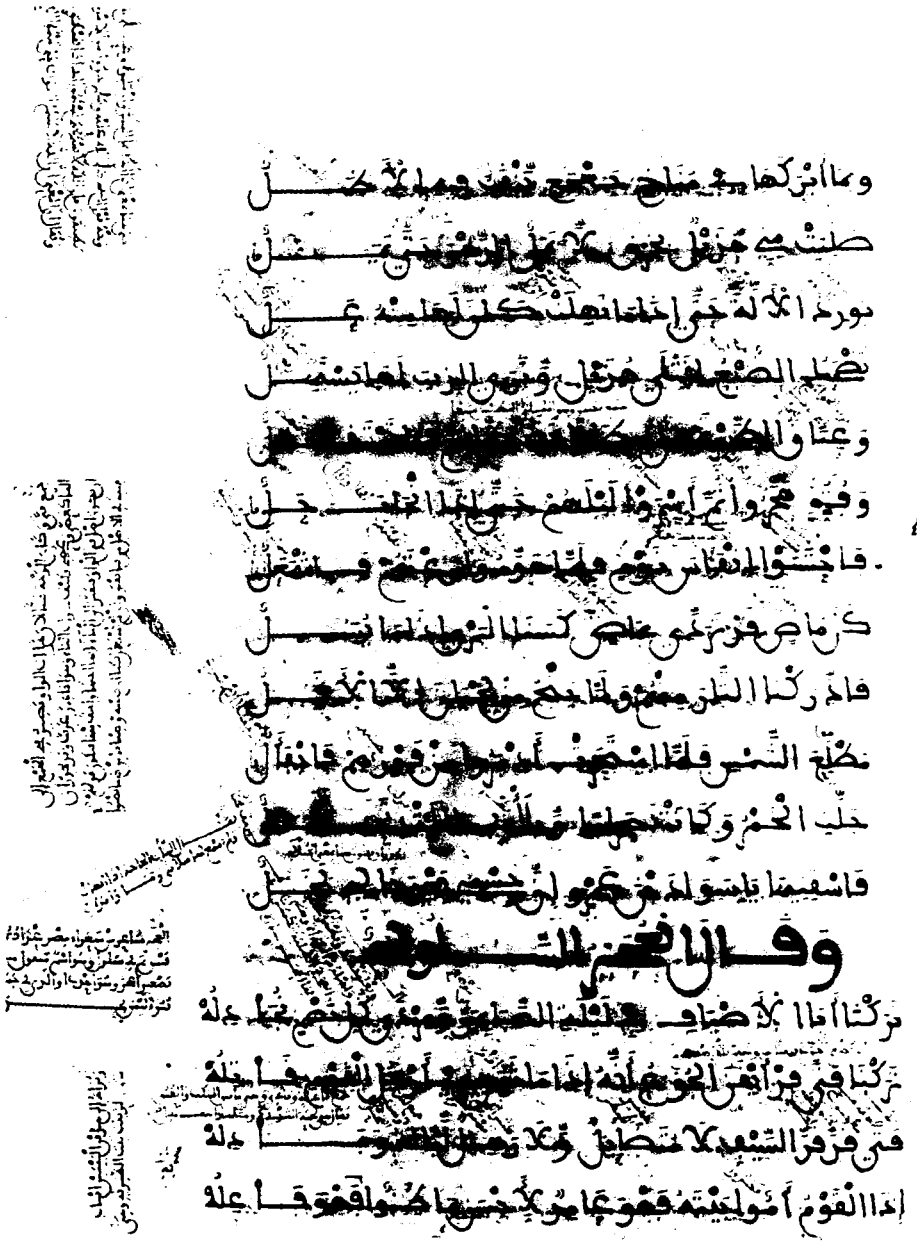

صفحتان من شرح ديوان الحماسة للأعلم الشنتمري (ت 476 / 1084)
خزانة المخطوطات، المكتبة الوطنية، تونس

رفع
المسهم

إلى تأبط شرّاً مع تعقيب الشّارح مُصَرّحاً بصحّة نسبتها إلى خَلف الأحمر.

ـ منتهى الطلب من أشعار العرب (مخطوطة «يال» بالولايات المتحدة) الجزء الثالث، القصيدة الواحدة والأربعون، وهي معزوّة إلى الشّنفرى يرثي خالَه تأبط شراً (22 بيتاً مرتبة كما يلي: 1 ـ 8/ 11 15/ 17 ـ 19/ 21 ـ 22/ 25 ـ 26/ 23 ـ 24/).

ـ العقد الفريد ج 3 ص 289 ـ 300 (24 بيتاً معزوّة إلى ابن أخت تأبط شرّاً، مرتبة كما يلي: 1 ـ 9/ 12/ 11/ 13/ 17/ 15/ 18 ـ 19/ 21 ـ 22/ 25 ـ 26/ 14/ 24/ وبإضافة بيتين إثر البيت 12 أثبتناهما في القسم الخاص باختلاف الرواية) ـ ج 5 ص 307 (البيت الأول مع تنبيه ابن عبد ربّه إلى أنّ هذه القصيدة المنسوبة إلى تأبط شرّاً قد تكون لخلف نَحَله إيّاها).

ـ الأشباه والنظائر ج 2 ص 113 ـ 114 (12 بيتاً معزوّة إلى الشنفرى حسب الترتيب التالي: 1/ 3 ـ 8/ 22/ 14 ـ 15/ 24/ 23/).

ـ كتاب الحيوان ج 1 ص 182 ـ 183 (البيت 11 والجاحظ يتردّد في عزوه ولا يدري أهو لتأبط شرّاً أم لخَلَف الأحمر)

ـ كتاب الحيوان ج 3 ص 68 ـ 69 (8 أبيات صدّرها الجاحظ بقوله: «وقال تأبّط شرّاً ـ إنْ كان قالها ـ: ...»، وهي مرتبة على النحو التالي: 7/ 12/ 11/ 3 ـ 5/ 15/ 24/).

ـ كتاب الحيوان ج 4 ص 234 (البيت 4 بدون عزو).

ـ سمط اللآلي ص 919 (6 أبيات ويذكر البكري اختلاف الرواية في شأنها قائلاً: «اختُلِفَ في هذا الشعر، فقيل إنه لابن أخت تأبط شراً... وقيل إنّه للشنفرى، وقيل إنّه لخلف الأحمر، وقد نُسبت إلى تأبط شرّاً...». وترتيب الأبيات كما يلي: 21 ـ / 22/ 25 ـ 26/ 23 ـ 24/).

ـ التيجان ص 247: 27 بيتاً معزوّة للهجّال ابن أخت تأبط شرّاً، وهي مرتبة كما يلي: 1 ـ 6/ 13/ 11/ 8/ 7/ 12/ 18 ـ 19/ 21 ـ 24/ 14/ 17/

رفع المسهم

15/ 26/ 25 وبإضافة بيتين انفرد بهما «التيجان» و «العقد» وأوردناهما في موضعهما من القيم الخاص باختلاف الرواية وبإضافة بيتين لا أثرَ لهما في سائر الروايات يردان بعد البيت 12 هما:

ينفـــل المـــال منيـــلاً ويمســـي وهـــو فـــي الحـــي كـــريـــم مقـــل
عـــل بصـــدق علـــى حـــاذتيـــه ولـــه المغنـــم شـــر بـــي محـــل

(الملاحظ أنّ رواية التّيجان مضطربة، ومحرّفة. وقد تعذّر علينا الوقوف على طبعة حيدر آباد في الإبّان، وهي طبعة رديئة، لمزيد من التحقيق والضبط).

- الشعر والشعراء ص 765 (البيت الأول معزوّا إلى **خلف الأحمر** مع تنبيه ابن قتيبة إلى أنّ خَلَفاً «**نَحَلَه ابنَ أخت تأبط شرا**»).

- طبقات ابن المعتز ص 147 (طالع القصيدة ضمن خبر ينقله ابن المعتز عن دعبل مفاده **تصريحُ خلف نفسه بأن اللامية ممّا قاله هُوَ لاَ مِنْ قَوْل تأبط شرّا**).

- نور القبس ص 72 (طالع القصيدة مع تنبيه المرزباني إلى أنّها «**مِمّا نُسب من شعر خلف الأحمر إلى تأبّط شرّا**»).

- الجمهرة ج 2 ص 167 (البيت 25 معزوا إلى تأبّط شرّا).

- المعاني الكبير ج 1 ص 214 و 260 (25 و 26 بدون عزو).

- الأغاني / دار الكتب ج 6 ص 87 (البيت 25 معزوّا إلى الشنفرى).

- إنباه الرواة ج 1 ص 248 (طالع القصيدة مع تنبيه القفطي إلى أنّ خلفاً «**كان يبلغ من حذقه واقتداره على الشعر أنْ يشبّه شعرَهُ بِشعر القدماء حتى يُشَبَّهَ ذلك على جِلّة الرّواة... من ذلك قصيدته التي نحلها ابن أخت تأبط شرّا**»).

- قواعد الشعر ص 66 (البيت 15) معزُوّا إلى تأبّط شرّاً.

- أمالي القالي ج 2 ص 277 (البيت 24 بدون عزو نقلاً عن ابن دُرَيْد).

- أمالي المرتضى ج 1 ص 280 (البيت 23 معزوّاً إلى الشّنفَرى).
ج 2 ص 185 (البيت 24 بدون عزو).

رفع المسهم

- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ص 140 (البيت 4 معزواً إلى ابن أخت تأبّط شرّاً).

- رسالة الغفران ص 407 (البيت الثالث بدون عزو).

- معجم ما استعجم ج 3 ص 747 (الطالع معزوّا إلى ابن أخت تأبّط شرّا).

- التنبيه على حدوث التصحيف ص 278 (18 معزوّا إلى تأبّط شرّا).

- المحكم في اللغة ج 1 ص 287 (3 بدون عزو).

- لسان العرب مادة «سَلْع» (الطالع معزوّاً إلى الشنفرى)، ومادة «خلل» (1 و 26 معزوّين إلى تأبط شرّا أوْ الشّنفرى).

- خزانة الأدب (طبعة بولاق) ج 3 ص 532 (16 و 23 معزوّين إلى الشّنفرى).

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج 3 ص 25 (16 و 23 معزّوين إلى الشّنفرى).

اختلاف الرواية:

1 - الشعر والشعراء ص 765: «إلَى جَنْبِ سَلْع» - التيجان: «جَنْبَ...»

2 - العقد الفريد: «قَذَفَ» وكذلك التيجان.

3 - الفائق في غريب الحديث وفصل المقال: «مَوْتاً».

4 - الأشباه والنظائر: «وَطَلٌّ».

5 - منتهى الطلب (مخطوط): «مُسْهِلٌ».

6 - الحيوان: «يَعْدُو». وفي «التيجان» ورد البيت كما يلي مُوَزّعاً على بيتين:

1 - إنْ رَأى البَـأسَ فَلَيْـثٌ هَمُـوسٌ أوْ رَأى طَعْمـاً فَسمْـعٌ أزَلُّ

2 - فَهْـوَ فِـي المَهْمَـهِ سِمْـعٌ صَمُـوتٌ ولَـدَى الأحْيَـاءِ أحْـوَى رِفَـلُ

مع التنبيه إلى أنّه ورد قبْلَ هذا البيت في «العقد الفريد» و «التيجان» بيتان لا نجدُهُما في سائر المصادر أوّلهما:

رفع المسهم

رَائِـــحٌ بِـــالمَجْـــدِ غَـــادٍ عَلَيْـــهِ مِـــنْ ثِيَـــابِ الحَمْـــدِ ثَـــوْبٌ رِفَـــلُّ

أما الثاني فروايته في «العقد» كما يلي (مع خَلَلٍ في وزْن الصَّدْرِ):

أفتَـــحُ الـــرَّاحَـــةِ بِـــالجُـــودِ جـــوَادَا عَـــاشَ فِـــي جَـــدْوى يَـــدَيْـــهِ المُقِـــلُّ

وفي التيجان:

أفْيَـــحُ البَـــابِ مُفيـــدٌ مُبيـــدٌ جَـــادَ مِـــنْ جَـــدْوَى يَـــدَيْـــهِ المُقِـــلُّ

7 ـ في الأصل: «مِلحيَّيْنِ» وصوابه ما أثبتنا، كَما في خزانة الأدب، وقد اهْتَدَى الألوسي في «بلوغ الأرب» إلى ما طرأ من تحريف على النص، ومع ذلك راجعه المحقق في الذيل وَأقرّ رواية الحَماسة.

ومعلومٌ أنّ لَحْيَانَ من قبائل هذيل (انظر جمهرة أنساب العرب ص196).

8 ـ منتهى الطلب: «ثَملوا». 9 ـ منتهى الطلب: «قديما».

10 ـ منتهى الطلب: «يُبْركُهُمْ». 11 ـ العقد الفريد: «ينْقَب منه».

12 ـ في الأصل: «مِنّي» كما في سائر الروايات وقد آثرنا رواية العقد.

13 ـ الأشباه ومنتهى الطلب: «يُوردُ الصَّعْدَةَ».

14 ـ التيجان: «يُورد الآلةَ». 15 ـ منتهى الطلب: «أُنْهِلَتْ».

16 ـ المعاني الكبير ومنتهى الطلب وسمط اللآلي: «تَهْفُو».

17 ـ لسان العرب / مادة خلل: «خَالِيَ خَلُّ».

* * *

رأي في اللاّمية الأولى

اضطربَ القُدامى ـ كما رأينا في باب التّخريج ـ في نِسْبَة هذه اللاَّميّة[1] وذهبوا في ذلك شتّى المذاهب، ولا نريد هنا أنْ نأخذَ برواية دون أخرى كما فعل ناصر الدّين الأسد في الصَّفحات الطّوال التي خصَّصها لهذا الأثر في دراسته

(1) انظر كذلك المقصورة عدد 6 والأرجوزتين رقم 3 و 24 ضمن هذا المجموع.

رفع المسهم

القيّمة حول الشعر الجاهلي[1]. فَعِلْمُ «أنْساب الشّعر» ـ إن صحّ لنا هذا التعبير ـ كانَ له أعلامُهُ المحقّقون الثّقات في القديم، ولقد أقرَّ هؤلاء بعجزْهم عن التّدليل والإتيان بالكلمة الفصْل في هذا المجال، وليس منَ الحكْمة، بعْد مُضِيّ اثنَيْ عشرَ قرناً، «أنْ نكونَ أكْثرَ تحرّياً منهم»[2]. وإنّما أقْصَى ما يَسْعى إليه الباحثُ اليَومَ في تحقيق هذه اللامية هو الوقوفُ على المَنْحَى العَامّ لمسالك روايتها، وإقامة الدّليل على أنّ معظمَ المصادر الأصول[3] التي بين أيدينا والتي اسْتَنَدَ إليها المتأخرون من أصحاب المجاميع تكاد تُجْمع على أنها إنْ لم تكن لِخلف الشاعر مقصورةً عليه، فهي لَهُ نَحَلَها غيرَه[4] وهو ما سعَيْنا إليه وكَفانا ذلك مبرّراً لإدراج هذا الأثر ضمن هذا المجموع. على أنّ جوهرَ القضيّة عندنا يتجاوز الرواية ومسالكَها المُتشَعّبة لِيَتَعَلّقَ بمُحتوى الرّواية ذاتِه ـ وهو ما أهملَه

(1) انظر «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية»: (ص 452 ـ 453 و ص 458 ـ 462) حيث يصرح جازماً بأن اللامية «جاهلية صحيحة وليست منحولة» مستدلاً بنفس الأخبار التي استغلقت على القدماء، مضيفاً: «إن أكثرها لا يمكن أن يكون موضوعاً متكلفاً منحولاً لما يظهره فيها النقد الفني الداخلي (هكذا!) من أصالة، وصدق فني، وشخصية صادقة»، وذلك بدون أي تحليل أو تدليل: لكأن التكلف قرين الموضوع المنحول من الشعر ضرورة! انظر أيضاً للمقارنة «مقالات في الشعر الجاهلي» ليوسف اليوسف (ص 81 ـ 113 و ص 286 ـ 292) حيث يتبسط الناقد في دراسة لامية العرب وتفضي به مسالك «التحليل النفساني» و «النقد الفني» ـ أو ما أسماه كذلك ـ إلى الجزم بأن لامية الشنفري هي الأخري جاهلية صحيحة باستثناء بيتين داخله في شأنهما ريب.

(2) انظر تاريخ الأدب العربي لـ «بلاشير» ص 186 (النص الفرنسي).

(3) أهمها: الشعر والشعراء، طبقات ابن المعتز، الحيوان، نور القبس، العقد الفريد، شرح الحماسة للتبريزي، سمط اللآلي، إنباه الرواة، وقد مرت إحالاتها بقسم التخريج: فانظر بيان ذلك مفصلاً في مكانه، مع الملاحظة أن أبا الفرج الأصبهاني قد أغفل اللامية في الأغاني (باستثناء بيت مفرد) مما يرجح لدينا موقفه المتشكك في صحتها.

(4) تجدر الإشارة هنا إلى أن لامية العرب، هي الأخرى، قد اشتبهت مسالك روايتها على علماء القرن الرابع (وإن لم يأخذ بذلك بعض الدارسين المعاصرين كما رأينا)، ولعلها هي أيضاً مما نحله خلف الشنفري، ناهيك أن القالي وابن دريد وهما من هما تحريا في تقييد الشعر وضبط روايته يرجحان نسبتها إلى الشاعر الراوية (انظر الأمالي ج 1 ص 156).

رفع المسهم

القُدامى ـ أيّ بأغراض الشّعر ومقاصِده. وهنا نَتبيّنُ كيف أنّ اللاميةَ ـ وإنْ أبْعَدَتْ في القِدم شكلاً ومضموناً ـ تُصبح عند الباحث خيرَ سَنَدٍ لتَمَثُّلِ ثقافةِ البادية كما تمثّلها خلفٌ وأضرابُه ممّن استقرُّوا بالعواصم، أولئك الذين لم يَسْتَقِلُّوا عن التّراث في غَمْرة التّحوّل الحضاريّ المعاصر، وَبَقِيَ لهم ما يشدُّهم إلى هذه الثقافة فيما أفرزَتْه من أنماط من السلوك تَلَوَّنَتْ بها أبعادُ الرؤية الشعريّة لدى الشعراء على مدى الأجيال، يَرَوْنَ فيها خيرَ سبيلٍ للحِفاظ على سَنَدِ ثقافة العرب عموماً وآدابهم[1]. فَرُسُومُ البادية (الشّعْبُ الذي دُونَ سَلْع) ومناخُها (البَرْد، والحَرّ، والغَيْث) ونباتُها (الشّرْيُ) وحيوانُها (الأفعى، والضَّبع، والذّئب، وعِتَاقُ الطّيْر) وكذلك أخلاقُ رجالها من «سَخَاء، وشجاعة، وحِلْم، وحَزْم، وعَزْم، وَوَفَاء، وعَفَاف، وبِرّ، وقناعة، وغَيْرة، وصَبْر، وَصلَة لِلرَّحِم، وأنفَة، ودَهاء، وعُلُوّ همة» وما تفرّع عن هذه الخلال من «قَمْع الأعداء، ورعَاية العَهْد، وجدّ، وتَشْمير، وقَمْع للشّهوات، وإسْرَاف في الخَيْر، وسيادة العَشيرة»[2]، كلّ ذلك نجدُه مُمَثّلاً في هذه القصيدة، ذاتِ النّمط الصعب، كالمُنبّهِ إلى ما طرأ على المُجتمعات الجديدة من تحوُّلات سريعة، وما أفْرزتْه من مسالكَ مستحدثةٍ في تصور الخطاب الشعري مع المولّدين كَادَتْ تَتضاءل معها، في كثير من الآثار، ملامحُ هذه الثقافةِ الأصْليّة.

هذا وإنَّ المسالكَ المستَغْلَقةَ التي اندرجتْ فيها روايةُ اللاّمية في القديم كما رأينا، هِي نفسُها المَسالكُ التي انزلق فيها ثلّةٌ من الدّارسين المعاصرين. فهذا أحمد أمين في كُتَيِّب يبدو أنه لَم يتقَيّدْ فيه بمَا ألِفْنَاه في عُموم دراساته من دِقّة وضَبْط، يُشيدُ باللاّمية مُسْتَدلاًّ بشهادة الشاعر الألماني «جوته» (GOETHE) الذي «أُعْجب بها فترجمها إلى الألمانية»[3]، وما علمنا أنَّ «جوته» كان من أَهْلِ

---

(1) لاحظ أن معظم قصائد خلف تجري على نمط صعب من حيث البناء والقافية واللغة وتؤكد هذه الظاهرة، من ذلك الفائية والأصمعية الهازلتان، واللامية في رثاء أهل البيت، وسائر شعره في ذوات السوام هاجياً لمعاصريه هازئاً بهم.

(2) نسوق هذه الأخلاق كما أوردها ابن طباطبا في كتابه «عيار الشعر» ص 12 ـ 13.

(3) انظر: الصعلكة والفتوة في الإسلام ص 38 ـ 39 (ولقد وهم أحمد أمين في شرح اللامية إذ جعل الأبيات 7 ـ 13 في تأبط شراً «يصف نفسه» في حين أن الغرض يتعلق بالمرثي =

رفع المسهم

الاستشراق فينكبّ على الشعر الجاهلي قراءةً وترجمةً. وأحمد أمين في ذلك ينْقُلُ ـ دون ما تصريح بمَرْجعه ـ عن سركيس في مُعْجَمه[1]. وسركيس نفسه يقعُ في الوَهْم، فيصرّح بأنه «طُبِعت للشاعر «جوته» قصيدةٌ في أَخْذ الثأر وسَفْك الدّماء في لُونْدْ (آسْوِجْ) سنة 1883م، وباعتناء الأستاذ آهلْوَردْ غرِيسْفَالْد سنة 1859» مشيراً بذلك إلى اللاّمية. ونحن نعلَمُ أنّ ما نُشِرَ بـ «غرِيسْفَالْد» (وغريسْفَالْد مدينةٌ بألمانيا لاَ اسْمُ عَلَم)، إنّما هو مُؤَلّفٌ ضَخْمٌ للمستشرق «آهْلوَردْت» يَتَعلّق بمَقْصورة خَلَف الأحمر المُدرجة بهذا المجموع (القصيدة عدد 6)، والتي طالعها:

نَـأَتْ دَارُ سَلْمَـى فَشَـطّ المَـزَارُ فَعَيْنَـايَ مَـا تطْمَعَـان الكَـرَى

وقد أشرنَا إلى ذلك بما يَكْفِي في موضعه[2]. إلاّ أنَّ مِنَ الدَّارسين مَنْ تَمَادَى حتّى السنوات القريبة الأخيرة في تَرْدَاد ما ذهب إليه أمين وسَرْكيس، وفيما نُشِرَ مِنْ شعر تأبط شرّاً مجموعاً سنة 1973 بالعراق شاهد على ذلك[3].

نضيف إلى هذا أنّ صاحب «المجاني» (ج 1 ص 14) هُوَ أيضاً يقع في الوَهْم عندما يُصَرّح نقْلاً عن «بروي» (BRAU) في دائرة المعارف الإسلامية (ج 4 ص 604) بأن اللاّمية أوْحَتْ إلى الشاعر الألماني «جوته» (GOETHE) إحْدَى قصائده. و «برُوْي» نفسُه واهم في ذلك إذْ أنه لاَ أثرَ لهذه القصيدة فيما تعقّبناه من آثار الشاعر الألماني التي تأثّر فيها بآداب الشّرق. ووجْهُ الصّواب في هذه القضيّة ـ وهو ما انتهينا إليه بعد فحْص الآثار المذكورة ـ أنّ «جوته» ذيّل مجموعتَه الشعريّةَ التي عَنْوَنَ لها بـ «الديوان الغَرْبـيّ ـ الشّرْقِيّ» الصادر سنة 1820 بمُلحق مطوّل أسماه «هوامش ومقالات» تيسيراً لفَهْم ديوانه، اسْتَنَدَ فيه إلى العَطَايَا الأولَى لمدرسة الاستشراق الأوروبي وعلى رأسها الأعلام «هَمّرْ» (HAMMER)

= لا بالرائي).

(1) انظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إلياس سركيس 623.

(2) انظر ص 14 (الهامش رقم 1) وص 16 (الهامش رقم 2) وص 77.

(3) انظر: شعر تأبط شراً، دراسة وتحقيق لسلمان داود القره غولي وجابر تعبان جاسم / العراق، 1973، ص 59 ـ 60.

رفع المسهم

و «كُوزقَرْتنْ» (KOSEGARTEN) و «دي سَاسِي» (S. DE SACY) و «دي سِلاَنْ» (DE SLANE). ثمَّ هو أدْرج في ثنايا هذا الملحق وضمن صفحاتٍ قصارٍ تعرَّضَ فيها إلى الشعر الجاهلي[1] ترجمةً للاَّمية نقلاً عن نصّ لاَتينِيّ صدَر ضمن رسالة جامعيّة بمدينة «قُوَطهْ» (GOTHA) بألمانيا سنة 1814[2]. ومن هنا كان اللّبسُ في شأن هذه القصيدة عبْرَ رحْلتها إلى الغرب.

ذاك هو مصيرُ اللاَّميّة قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، ولعلّنا بهذه المحاولةِ نكون قد رَفَعْنا بعض ما تعلّق بها من شبهة، ويسّرْنا السّبيلَ لدراساتٍ أعمقَ تُعْنَى بإشكاليّةِ الشعر القديم على وجه العموم وبمُدوّنة الصَّعاليك على وجه أخصّ.

— 2 —

اللاَّميـة الثانيـة

[المديد]

1 ـ قَـدْكَ مِنّـي صَـارِمٌ مَـا يُفَـلُّ ... وابْـنُ حَـزْمٍ(1) عَقْـدُهُ لاَ يُحَـلُّ

2 ـ يَنْثَنِـي بِـاللّـوْمِ مِـنْ عَـاذِلِيـهِ ... مَـا يُبَـالِـي أكْثَـرُوا أمْ أقَلُّـوا

3 ـ لِـرَسُـولِ اللَّـهِ فِـي أقْـرَبِيـهِ ... وَبَنِيـهِ حَيْـثُ سَـارُوا وَحَلُّـوا

4 ـ عِنْـدَهُ مَكْنُـونُ نُصْـحٍ وَودٌّ ... خَـالِـصٌ لَـمْ يَقْتَـدِحْ فِيـهِ غِـلُّ

5 ـ أَهْـلُ بَيْـتٍ مَـا علَـى جَـاحِـدِيهِـمْ ... حَقَّهُـمْ فِـي الـزُّبْـرِ ألاَّ يُضِلُّـوا

6 ـ صَفْـوَةُ اللَّـهِ الأُلَـى مِـنْ لَـدُنْـهُ ... لَهُـمُ القَـدْرُ الأَعَـزُّ الأَجَـلُّ

---

(1) من الملاحظ أن «جوته» تأثر في ديوانه المذكور بصفة خاصة بآداب الفرس، وهو يخصص في الملحق لهذا الديوان الصفحات الطوال لتاريخ فارس وذكر مشاهير شعرائها والإشادة بهم والكشف عن منحاه في التأثر بهم والنقل عنهم.

(2) انظـــر: GOETHE: *Divan Occidental - Oriental,* traduit par H. LiCHTENBERGER, Aubier, Paris, pp. 328- 332.

ومن الملاحظ أن الفيلسوف الألماني «هيغيل» Hegel (توفي 1831) هو أيضاً لم يبق بمعزل عن تيار الاستشراق، وأثر ذلك واضح في مؤلفه الضخم «الجماليات» حيث يتعرض في أكثر من موطن إلى الشعر الشرقي (الفارسي والعربي) وخصائصه البلاغية.

Cf. HEGEL: Esthétique. Tome III, 2ème partie, pp. 150-152, 202-204, Ed.AUBIER 1944).

رفع المسهم

7 ـ مَـا أطـاعَ اللّـهَ قَـوْمٌ تَـوَلّـوْا مَـنْ سِـوَاهُـمْ بَـلْ عَصَـوْهُ وَضَلُّـوا

8 ـ وَبِهِـمْ شُـقَّ دُجَـى الغَـيّ عَنْهُـمْ وَعَلَـى الإيمَـانِ والـدّيـنِ دُلُّـوا

9 ـ وَبِهِـمْ صُبّـتْ عَلَـى كُـلّ بَـاغٍ بَـاذِخِ العِـزّ صَغَـارٌ وَذُلُّ

10 ـ غَصَبُـوهُـمْ حَقّهُمْ واسْتَحَلُّوا (2) ظَـالِمُـوهُـمْ مِنْـهُ مَـا لاَ يَحِـلُّ

11 ـ واقْتَـدَوْا فِيهِـمْ بِمَـا سَـنَّ رِجْسٌ بَـارَزَ اللّـهَ زَنِيـمٌ عُتُـلُّ

12 ـ لَـمْ يُـرَاقِـبْ خَشْيَـةَ اللّـهِ فِيهِـمْ آصِـرٌ مِنْـهُ وَلَـمْ يُـرْعَ إِلُّ

13 ـ فَهُـمُ شَتَّـى قَتِيـلٍ صَـرِيـعٍ دَمُـهُ فِيهِـمْ حِـذَاراً يُطَـلُّ

14 ـ وَأَسِيـرٌ فِـي طِمَـارٍ عَلَيْـهِ مِـنْ حَـدِيـدِ القَيْـنِ كَبْـلٌ وَغُـلُّ

15 ـ وَمُقِيـمٌ خَـاشِـعٌ فِـي عَـدُوّ مُسْتَضَـامٌ بَيْنَهُـمْ مُسْتَـذَلُّ

16 ـ لاَ عَلَـى جُـرْمٍ ولاَ عَـنْ شِقَـاقٍ رَكِبُـوا الـدَّحْـضَ إِلَيْهِـمْ فَـزَلُّـوا

17 ـ غَيْـرَ أَنْ فَـاءَ عَلَـى ظَـالِمِيهِـمْ بِهِـمُ لِلْمُلْـكِ فَـيْءٌ وَظِـلُّ

18 ـ وَأَنَ اوْفَـوْا بِـالنّبِـيّ المُصَفّـى جِـدِّهِـمْ مَـأْثُـرَةً لاَ تَقِـلُّ

19 ـ وَبَنَـى اللّـهُ لَهُـمْ بَيْـتَ مَجْـدٍ فِطْـرَةُ الـدّيـنِ بِـهِ تَسْتَظِـلُّ

20 ـ فِـي جَمِيـلٍ بَـارَكَ اللّـهُ فِيـهِ لَـمْ يَنَـلْ مَـا خُـوِّلُـوهُ جِبِـلُّ

21 ـ وَارِثُـو مَخْـزُونِ عِلْـمٍ عَلَيْـهِ كُـلُّ ذِي عِلْـمٍ عِيَـالٌ وَكَـلُّ

22 ـ وَعَلِـيٌّ ذُو المَعَـالِـي أَبُـوهُـمْ كَـرُمَ السّـامِـي بِـهِ وَالمُـدِلُّ

23 ـ عُلّـمَ الـدّيـنَ الـذِي مَـنْ تَـلاهُ سَـالِـكٌ سُبْـلَ الهُـدَى لاَ يَضِـلُّ

24 ـ وَأَمِيـرُ المُـؤْمِنِيـنَ المُـرَجّـي فَضْلَـهُ مُثْـرِيهِـمُ وَالمُقِـلُّ

25 ـ بَـاسِـطٌ كَفّيْـهِ فِيهِـمْ بِعَـدْلٍ وَصَبِيـرٌ صَـوْبُـهُ مُسْتَهَـلُّ

26 ـ عَـنْ سَمَـاءٍ لَهُـمُ كُـلَّ يَـوْمٍ دِيمَـةٌ مِنْـهُ وَوَبْـلٌ وَطَـلُّ

27 ـ وَشِهَـابُ اللّـهِ فِـي كُـلِّ خَطْـبٍ وَحُسَـامُ اللّـهِ وَالنّقْـعُ يَعْلُـو

28 ـ حَيْـثُ يَلْقَـى فِي ظِـلاَلِ المَنَـايَـا كُـلَّ لَيْـثٍ بَـاسِـلٍ وَهْـوَ فَـلُّ

29 ـ جَسَـدٌ يَغْفُـوهُ طَيْـرٌ عَكُـوفٌ وَضَـوَارٍ شُـرَّعٌ فِيـهِ زُلُّ

رفع المسهم

30 ـ مَكْنَـزٌ فِيـهِ مِـنْ بَعْـدِ حَـوْلٍ لِلضَّيَـاعِ العُـرْجِ لَحْـمٌ مُصِـلُّ

31 ـ بَطَـلٌ أغْلَـبُ فِـي رَاحَتَيْـهِ لِلْقَنَـا وَالبِيـضِ نَهْـلٌ وَعَـلُّ

32 ـ يَكْـرَهُ الأبطَـالُ مِنْـهُ ابْـنَ مَـوْتٍ لاَ يَمَـلُّ الحَـرْبَ حَتّـى يَمَلّـوا

33 ـ يَحْمَـدُ العَضْـبُ اليَمَـانِي شَظَـاهُ فِـي الـوَغَـى والسَّمْهَـرِيُّ المِتَـلُّ

34 ـ فَكَـأنَّ النَّقْـعَ يَنْشَـامُ عَنْـهُ ضَيْغَـمٌ جَهْـمُ المُحَيَّـا رِفَـلُّ

35 ـ قَـدْ غَـدا يُضْمِـرُ بُغْضـاً وَيُبْـدِي بِغْضَـةً أضْغَـانُهـا لاَ تُسَـلُّ

36 ـ شَـاوَرَ النَّكْـرَاءَ فِـي اللَّـهِ مِنْـهُ شَـائِـكُ الأنْيَـابِ يَقْظَـان صِـلُّ

37 ـ لاَ الـرُّقَـى تَـرْدَعُ مِنْـهُ وَلا مَـنْ مَـسَّ حَـدَّ النَّـابِ مِنْـهُ يُبَـلُّ

38 ـ مَـوْطِـنٌ مِـنْ عَهْـدِ لُقْمَـانَ عَـادٍ دُونَـهُ مِـنْ قُلَـلِ الحَـزْنِ تَـلُّ

39 ـ مُتَحَـامٍ لاَ يُـؤَدِّي إلَيْـهِ نُبُـسَ الإنْـسِ وَلاَ الجِـنُّ حَـلُّ

40 ـ كَيِّيـسِ الجَـزْلِ إلاَّ فَحِيحـاً يُضْهَـرُ المَـرْءُ بِـهِ أوْ يُمَـلُّ

41 ـ لَـوْ مَضَـتْ عَـالِيَـةُ الـرُّمْحِ فِيـهِ مَـا تَغَشّـى اللَّيْـطَ مِنْـهُ مِبَـلُّ

42 ـ أوْ نَمَـتْ أذْرُعُ ألْـفٍ إلَيْـهِ رَجَعَـتْ عَـنْ نَفْثِـهِ وَهْـيَ شُـلُّ

43 ـ كُلّمَـا مَـدَّ المَطَـا وَتَمَطّـى فَحَصَـى المَعْـزَاءِ مِنْـهُ يُصِـلُّ

44 ـ عُـدْ إلَـى مَـدْحِ الـذِيـنَ عَلَيْهِـمْ مِـنْ يَمِيـنِ اللَّـهِ ظِـلٌّ فَظِـلّ

45 ـ خَيْـرِ مَـنْ خَبَّـتْ بِهِـمْ ذَاتُ لَـوْثٍ دَامِيـاً لِلْجَهْـدِ مِنْهَـا الأظَـلُّ

46 ـ فِـي مَهَـارَى ذُبَّـلٍ كَـالسَّعَـالَـى تَحْـتَ شُعْـثٍ قَـدْ أكَلّـوا وَكَلُّـوا

47 ـ عَـامِـدِي الكَعْبَـةَ مِـنْ كُـلّ فَـجٍّ كُلّمَـا أعْـرَضَ شَخْـصٌ أهَلّـوا

التخريج:

الأشباه والنظائر ج 2 ص 116 ـ 119، ولا أثرَ لهذه القصيدة في غير حماسة الخالديّين ممّا وقفنا عليه من مصادر الأدب القديم.

ضبط النص:

1 ـ لا نَرى وجْهاً هُنا لِذكر ابن حزم «وَالِي المدينة مِنْ قِبَلِ سُليمان بن

رفع المسهم

عبد الملك (الأغاني/ دار الكتب ج 4 ص 234)، كما ذهب إلى ذلك مُحقّقُ كتاب الأشباه، إنّمَا الغرضُ يتعلّقُ بذَوي الحَزْم ـ وخَلَفٌ منهم ـ أولئك الذين لاَ يُبَالُون اللّوم في مدح آل البيت (انظر البيت 2). ونفْسُ الاستعمال يَجْرِي بالبيت 32 في قوله: «ابْن مَوْت».

2 ـ هكذا في الأصل: فعلٌ متقدّم يجعل فيه الشاعر علامة الجمع وهو ممّا يجوز في الضرورة (انظر القزّاز ص 100 حيث يورد الشاهد لذلك).

* * *

رأي في اللاّميّة الثانية

هذه القصيدة أيضاً «غَريبَةٌ لا يكاد أكثرُ النّاس يَعْرفونها» (الأشباه والنظائر، ج 2 ص 119)، ويبدو أنَّ مصيرَها لَمْ يختلْف عن مصير أخواتها الفَرَائِدِ ممّا أدرجناه في هذا المجموع، فقد قلَّ شيُوعُها بين أهلِ العصر، بشهادة القدماء أَنفسهم لأسباب ذكرناها نُضيف إليها ما كان من ضَنانَة أهل العلم بِرِوَاية شعر أبـي مُحْرِز يُكَاتِمونَهُ ويدافعون مُرِيدِيه. وهل أدلُّ على ذلك من الخبر الوَارد في الأشباه... (ج 2 ص 116)، حيث يقول أبو العَيْناء أحدُ كِبار الأخْبَاريّين في القرن الثالث:

«سَأَلْنَا العُتْبِـيّ شِعْرَ خلَف الذي ذَكَر فيه أَهْلَ البَيْت فَدَافَعَنَا مدّةً ثم أَنْشَدَنَا...» فلا غرابةَ، والحالةُ هذه، إنْ خَفِيَ أمرُ هذه اللاّمية عن أصحاب الاختيار من القدامى والمتأخّرين، فلَم يْذْكروها إطلاقاً باستثناء الخالديّيْن (القرن الرابع). وما من شكّ في أنّ هذا الأثرَ الفريدَ بقيَ مُهْمَلاً طيلةَ قرون حتّى السنوات الأخيرة، حين ظهرت الطبعةُ الأولى لكتاب «الأشباه والنظائر» الجزء الثاني منه سنة 1965.

والقصيدة كما هو بيّنٌ، لاَ تَخْرُجُ من حيثُ نَمَطُها الصّعب؛ واستغلاقُ مُعْجمِها وما انطوتْ عليه من معاني العُنْف والقَسْوة والبَغْضاء، عنْ منحىً في تَصور الخطاب الشعري هو منْحى خَلَفٍ، وإنَّ ذِكْرَ الشاعر لذوات السّوامّ من

رفع المسهم

الأفاعي في هذه القصيدة بالذات حيث يتعلّق الغرض بمدح آل البيت، (الأبيات 36 ـ 43)، يُفَصِّل القولَ في وصْفها، ويجْعلُها تَلْتَحِم بشَخْصِ الإمَامِ عَلِيّ «يَشُل بِنَفْثِهَا» الأعداءَ (البيت 42) ـ ليُؤَكّد هذا المنْحَى الذي لمسنْاه بعْدُ في أكثرَ مِنْ قصيدة ركب فيها الشاعرُ ذوات السوام لصَبِّ بَغْضَائِهِ على خُصومه. ثمّ إنّنا بعد هذا لاَ نفْصل بيْن اللاّميتين، الأولى التي تَشَبّهَ فيها بتأبّط شرّا يَرْثي الشّنفري وأوردناها في مكانها مِنْ هذا المجموع، والثانية التي بيْن أيدينا يمدَحُ فيها آلَ البيت. فكلْتاهما مصبُّ لعاطفةٍ واحدة: المحبّة والبغضاء، وكلْتاهما تَمْجيدٌ للرّجل الكامل، وكلْتَاهُمَا تجْري على نسَقٍ موحّدٍ من حيث الوزنُ والقافيةُ. فهما عندنا تَوْأَمان لا يختلف وجهُ البناء وتصوّر الخطاب في الأولى عن وجهِهِ في الثانية، ولا نظُن أنّ أحداً يستطيع أن يجْزم بأنّ الثانيةَ نسجٌ على منول الأولى، ومع ذلك نرى الخالديّين في كتاب الأشباه والنظائر (ج 2 ص 115 ـ 116)، ومَنْ نَقَل عنهُما من المعاصرين كنَاصر الدّين الأَسَد (مصادر الشعر الجاهلي... ص 460 ـ 461)، يذهبون إلى أنّ اللاّمية في آل البيت إنّما هي مجرّد معارضة لقصيدة جاهليّة صحّتْ لديهم نسبتها إلى الشنفري، مُستدِلّين في ذلك بخبر ـ هُو من أخبار الآحاد التي يغلبُ عليها الطابَعُ القَصصيّ ـ نَقَلَهُ الصّولي عن أبي العَيْنَاء، مُفادُهُ أنّ الاختلاَف في نسبة مرثية الشنْفرى مجرَّد وهْم، وأنَّ خَلَفاً نفسَه صرَّح بصحة نِسْبتها إلى الشّاعر الجاهلي. ونحن لا نقول بهذا، لأنّنا لَوْ فعلْنا، لكُنّا قد أولَيْنَا هذا الخبرَ من الثقّة ما لَمْ نُوله غيرَه من الأخبار الكثيرة التي اختلفتْ في نِسبة المرثية. إنما ما نذهبُ إليه، وبه نُؤكّد خِلاَف ما ذهبَ إليه نَاصرُ الدين الأسد، هو أنَّ خَلَفاً، وَهو مَنْ هُوَ مكاتمةً لشِعْره وضَنَانَةً به، لم يَجِدْ بُدّاً وهو يُنْشِدُ قصيدةً إسلاميةً لَهُ يُجْريها على وزْنِ لاَميّته التي نَحَلَها تأبطَ شرّا وَروِّيهَا، مِنْ أن يَتَذَرَّعَ ـ دَفْعاً لِتُهمةِ النّحل ـ بأن لاَميّتَه في آل البيت إنْ هي إلاّ معارضة لقصيدة جاهلية يُصرّحُ بِصحّة نِسْبتها إلى الشّنفرى. وَهَل مِنْ ذَريعةٍ أيْسَرُ

رفع المسهم

مدْخلاً من هذه تكون مِصْدَاقاً لدَعْواه! . ونحن لا نُسَلّم بتصريح خَلَفٍ، عِلْماً منّا بأنّ الأمرَ يتعلّق بإحْدى مَرْويّاته التي انفردَ بها دون سائر رُواة جِيلِه ـ ولمْ يخْفَ ذلك على القدماء ممّن شَكّوا في صحّتها ـ، ناهيك أنّه لَمْ يكُنْ، والخبرُ الواردُ في الأشباه يؤكدُ هذا بصريح اللّفظ، في جِلّةِ الرّواة آنذاك بالمِربَد، ومنهم الأصمعي وأبو العَيْنَاء والعُتْبيّ «أحدٌ عَرَفهَا ولاَ رَوَاهَا» قبلَه. وبعدُ فاللامية في آل البيت، سواء وضَعَها الشاعر ابتداءً، أو نحا فيها نحْوَ المُعارضة، لَتَدُلُّ دَلالةً واضحةً على أنّ خَلَفاً لم يكنْ يخْشى المسالكَ الوعرةَ في قول الشّعر، فقد أُوتِيَ من المَقْدرةِ الفنيّة مَا به تَخطى أساليبَ الخطاب العادية. وأنّ صوغه اللاّميتَيْن على النّمط الذي تَجْريان عليه يُعَدُّ محاولةً فريدة. ونحن إذا استثنيا لاَميةَ **الحَمْدَويّ**[1] التي أدرجناها في موضعها من هذا المجموع، لا نَعْثرُ إطْلاقاً في مدوّنة الشعر العربي قديمِه وحديثِه على شعر يجري على هذا النمط.

(1) الحمدوي من شعراء القرن الثالث، ويغلب على شعره المنحى الساخر الفكه (انظر ما جمعناه من شعره وبخاصة اللامية في الجزء الثالث).

رفع المسهم

الحلقة الثانية
من مسالك التصوير الساخر لدى المحدثين

ـ 3 ـ
الأرجـوزة

[مشطور الرجز]

1 ـ تَهْـــزَأُ مِنّـــي أُخْـــتُ آلِ طَيْسَلَـــهْ(*)
2 ـ قَـالَـتْ أَرَاهُ مُبْلَطـاً (1) لاَ شَـيْءَ لَـهْ (2)
3 ـ وَهَـــزِئَـــتْ مِـــنْ ذَاكَ (3) أُمُّ مَـــوْءَ لَـــهْ
4 ـ قَـــالَـــتْ أَرَاهُ دَالِفـــاً قَـــدْ دُنِّـــيَ لَـــهْ
5 ـ مَـا لَـكِ (4) لاَ جُنِّبْـتِ تبريحَ الـوَلَـهْ
6مَـــرْدُودَةً (5) أَوْ فَـــاقِـــداً أَوْ مُثْكِلَـــهْ
7 ـ أَلَسْـتِ أَيَـامَ حَضَـرْنَـا (6) الأَعْـزَلَهْ(**)
8 ـ وَقَبْـلُ (7) إِذْ نَحْـنُ عَلَى الضُّلَضِلَهْ(***)
9 ـ وَقَبْلَهَـــا (8) عَـــامَ ارْتَبَعْنَـــا الجُعَلَـــهْ
10 ـ مِثْـــلَ الأَتَـــانِ نَصَفـــاً جَنَعـــدَلَـــهْ
11 ـ وَأَنَـــا فِـــي ضُـــرَّابِ قِيـــلاَنِ القُلَـــهْ
12 ـ أَبْقَـى الـزَّمَـانُ مِنْـكِ نَـابـاً نَهْبَلَـهْ

(*) طيسلة: في الاشتقاق ص 324 شاعر معروف، وفي القاموس واللسان (مادة طسل) طيسلة اسم.

(**) الأعزلة: واد لبني العنبر (معجم البلدان ج 1 ص 315/ ط. أوروبا).

(***) الضلضلة: موضع (البلدان/ أوروبا ج 3 ص 476).

رفع المسهم

13 ـ وَرَحِمـــاً عِنْـــدَ اللِّقَـــاحِ مُقْفَلَـــهْ
14 ـ وَمُضْغَـــةً بِـــاللُّـــؤْمِ سَحًّـــا (9) مُبْهَلَـــهْ
15 ـ وَمَا (10) تَرَيْنِي فِي الوَقَارِ (11) وَالعَلَهْ
16 ـ قَارَبْتُ (12) امْشِي القَعْوَلَى وَالفَنْجَلَهْ (13)
17 ـ وَتَـــارَةً أَنْبُـــتُ نَبْـــتَ النَّقْثَلَـــهْ (14)
18 ـ خَـــزْعَلَـــةَ الضَّبْعَـــانِ رَاحَ الهَنْبَلَـــهْ
19 ـ وَهَـــلْ عَلِمْـــتِ فُحَشَـــاءَ جَهْلَـــهْ
20 ـ مَمْغُـــوثَـــةً أَعْـــرَاضُهُـــمْ مُمَـــرْطَلَـــهْ
21 ـ فِـــي (15) كُـــلِّ مَـــاءٍ آجِـــنٍ وَسَمَلَـــهْ
22 ـ كَمَـــا تُمَـــاثُ فِـــي الإِنَـــاءِ (16) الثَّمَلَـــهْ
23 ـ عَـــرَضْـــتُ مِـــنْ جَفِيلِهِـــمْ أَنْ أَجْفَلَـــهْ
24 ـ وَهَـــلْ عَلِمْـــتِ (17) يَـــا قُفَـــيَّ التَّتْفُلَـــهْ
25 ـ وَمَـــرْسِـــنَ العِجْـــلِ وَسَـــاقَ الحَجَلَـــهْ
26 ـ وَغَضَـــنَ الضَّـــبِّ وَلِيَـــطَ الجُعَلَـــهْ(*)
27 ـ وَكَشَّـــةَ الأَفْعَـــى وَنَفْـــخَ الأَصَلَـــهْ
28 ـ أَنِّـــي أَفَـــأْتُ المِـــائَـــةَ المُـــؤَبَّلَـــهْ
29 ـ ثُـــمَّ أُفِـــيءُ مِثْلَهَـــا (18) مُسْتَقْبَلَـــهْ
30 ـ وَلَـــمْ أُضِـــعْ مَـــا يَنْبَغِـــي أَنْ أَفْعَلَـــهْ
31 ـ وَأَفْعَـــلُ العَـــارِفَ قَبْـــلَ المَسْئَلَـــهْ
32 ـ وَهَـــلْ أَكُـــبُّ البَـــائِـــكَ المُحَفَّلَـــهْ
33 ـ وَأَمْنَـــحُ المَيَّـــاحَـــةَ (19) السَّبَحْلَلَـــهْ
34 ـ وَأَطْعَـــنُ السَّحْسَـــاحَـــةَ (20) المُشَلْشِلَـــهْ

(*) الجعلة : أرض لبني عامر بن صعصعة (معجم البلدان. / أوروبا / ج 3 ص 573.

رفع المسهم

35 ـ عَلَـــى غِشَـــاشِ دَهَـــشٍ وَعَجَلَـــهْ
36 ـ إِذَا أَطـــاشَ الطَّعْـــنُ أَيْـــدِي البَعَلَـــهْ
37 ـ وَصَـــدَقَ الفِيـــلُ الجَبَـــانُ وَهَلَـــهْ
38 ـ أَقْصَـدْتُهَـا فَلَـمْ أُحِـرْهَـا (21) أَنْمُلَـهْ
39 ـ مِـــنْ حَيْـــثُ يَمّمْـــتُ سَـــوَاءَ المَقْتَلَـــهْ
40 ـ وَأَضْـرِبُ (22) الخَـذْبَـاءَ ذَاتَ الـرَّعَلَـهْ
41 ـ تَـــرُدُّ فـــي نَحْـــرِ (23) الطَّبِيـــبِ فُتُلَـــهْ
42 ـ وَهَـــلْ عَلِمْـــتِ بَيْتَنَـــا إِلاَّ وَلَـــهْ
43 ـ شَـــرَبَـــةٌ مِـــنْ غَيْـــرِنَـــا وَأَكَلَـــهْ

التخريـج:

ـ أمالي القالي ج 2 ص 284 ـ 285: «أنشَدَنَا أبو بكر بن دُريد قال أنشدنا أبو حاتم [السّجستاني] عن الأصمعي قال: أنشدني خَلَفَ الأحمر لأعرابي...». وورد البيتان 20 و 22 مكرّرين بنفس الجزء ص 18. ولقد اعتمدنا أساساً رواية القالي في تخريج القصيدة لأسباب ذكرناها في موضعها من التّعاليق.

ـ الأصمعيات ص 234 ـ 238: «أنشدها الأصمعي لرجل من بني تميم يقال له صُحَيْر بن عمير وهو مجهول...» (انظر التعليق الذي ذيّلنا به الأرجوزة).

ـ سمط اللآلي ص 84 (19، 20، 22).

ـ سمط اللآلي ص 848 (20).

ـ سمط اللآلي ص 930 (1، 5 ـ 6، 32، 34، 36 ـ 37).

ـ ديوان المعاني ج 2 ص 73 (34 ـ 35، 41) معزوّة إلى خَلَف الأحمر.

ـ الجمهرة ج 3 ص 130 (16) معزواً إلى صَخْر بن عُمَيْر.

ـ المخصّص ج 17 ص 13 (24) بدون عزو.

ـ المقاييس: مادّة «جعل» (9) ـ مادة «نقثل» (17) ـ مادّة «مغث» (20) ـ مادّة «ثمل» (22).

رفع المسهم

ـ لسان العرب: مادّة «طسل» (1 ـ 2) ـ مادّة «ضلل» (7 ـ 8 معزوّين إلى صَخْر الغي)[1] ـ مادة «قعل» (15 ـ 17 معزوة إلى صَخْر بن عمير) ـ مادة «مرطل» (20 معزواً إلى صَخْر بن عميرة) ـ مادة «ثمل» ((20) معزوا إلى صَخْر بن عُمَيْر).

اختلاف الرواية:

1 ـ الأصمعيّات: «مُمْلِقاً».

2 ـ اللسان: «قَالَتْ أَرَاهُ فِي الوَقَارِ والعَلَهْ»، وهي روايةٌ تَتَدَاخَلُ مع الشطر (15).

3 ـ الأصمعيّات: «وَهَزِئَتْ مِنّي أُمُّ...».

4 ـ الأصمعيّات: «مَا لَكِ لاَ...».

5 ـ الأصمعيّات والسّمْط: «مَزْوُودَةً».

6 ـ الأصمعيّات: «حَلَلْنَا».

7 ـ اللسان: «وبَعْدُ».

8 ـ المقاييس: «وَبَعْدَهَا».

9 ـ الأصمعيّات: «سَمًّا»، ورواية القالي أفْصَحُ.

10 ـ الأصمعيّات: «إمّا تَرَيْنِي...».

11 ـ اللسان: «فَإِنْ تَرَيْنِي فِي المَشِيبِ...».

12 ـ الجمهرة: «وأنْتَ تَمْشِي» ـ واللّسان: «فَصِرْتُ أَمْشِي».

13 ـ الأصمعيّات: «الفَنْجَلَى والقَوْعَلَهْ».

14 ـ الأصمعيّات: «نَبْتاً نَقْثَلَهْ».

15 ـ الأصمعيّات: «مِنْ كُلّ...».

16 ـ الأصمعيّات: «فِي الهِنَاء».

المقاييس وسمط اللآلي: «تُلاَثُ فِي الهِنَاءِ».

اللسان: «تُلاَثُ بِالهِنَاءِ».

17 ـ المخصّص: «وَهَلْ جَهَلْتِ».

---

(1) صخر الغي من شعراء هذيل، ولم نقف على هذين البيتين في كتاب شرح أشعار الهذليين للسكري.

رفع المسهم

18 ـ الأصمعيّات: «بَعْدَهَا».
19 ـ الأصمعيّات: «وَأُنْتِجُ العَيْرَانَةَ».
20 ـ ديوان المعاني: «السّجْسَاجَةَ».
21 ـ الأصمعيّات: «فَلَمْ أُجزْهَا».
22 ـ الأصمعيّات: «وَأَطْعَنُ».
23 ـ الأصمعيّات: «وَجْهِ».

رأي في الأرجوزة

انفردتْ الأصمعيّات وكذلك أمالي القالي برواية هذه الأُرجُوزة، باستثناء أَشْطُرٍ قليلة ورد معظمُها متناثراً في مَعاجم اللّغة كاللّسان والمقاييس والجمهرة والمخصّص، وأشرْنا إلى ذلك في مواضعه من التّخريج. ولقد اضطربتْ الرّوايةُ وأسانيدُها في نَقْل هذا الأثر: فنص الأَصْمعيّات رِوايةٌ ينقُلُها الأخفشُ الأَصْغَر[1] (توفي 315هـ) عن المُبرّد[2] (توفّي 286هـ) الذي حدّثه أنّ «الأصمعي أنشدَ أصحابَه أرجوزةً لرجل من تميم يُقال له صُحَيْر بن عُمَيْر»[3]. وهْيَ كما نرَى روايةٌ مُرسلة، انقطع سندُها لِمدَّة جِيلَيْن تقريباً، وأكبرُ الظنّ أنّ هذه الأرجوزةَ ممّا أضافَه الأخفشُ إلى اختيارات الأصمعي، ولعلّه أدْرجها في الجزء الضائع من اختياره[4]، ومنْه أُلْحِقَتْ بالأَصمعيّات عند تَدْوين النّسخة التي وصلَتنا من هذا المجموع، وهي نسخةٌ معاصرة للأخفش تَحْمل خَطَّ شارحها ابن

(1) هو علي بن سليمان الأخفش صاحب الاختيارين ولم يكن في نظر بعض القدماء «متسعاً في الرواية للأخبار والعلم» (انظر نور القبس ص 341).
(2) لعل نقل الأخفش عن المبرد مجرد زعم، ناهيك أننا لا نجد أثراً للأرجوزة فيما نشر من مؤلفات المبرد.
(3) الأصمعيات ص 234.
(4) نشر الجزء الثاني من الاختيارين بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة بدمشق سنة 1974، ويضم هذا الجزء شتاتاً من الأصمعيات والمفضليات في غير ما نسق ويضيف إليها ثمان وخمسين قصيدة ليس فيما نعرفه من اختيار الأصمعي والمفضل.

رفع المسهم

الأنباري[1] (توفي 328هـ)، وممّا يؤكّد هذا الظّن أنَّ الأرجوزةَ تَرِدُ في الأصمعيات وقد انفردت دون بقيّة القصائد بِذِكْرِ مَنْ نَقَلَهَا من أعلام القرن الثالث وبداية القرن الرّابع دون ما تَوَاصُلٍ للسّنَد حتّى الأصمعي (توفي 216هـ)، أمّا روايةُ الأمالي فهي مَرْفُوعةُ السّنَدِ بدون انقطاع إلى خَلَف الأحمر يَعْزوها إلى أعرابي: يقول القالي (توفي 356هـ)، وهو مَنْ هُوَ تَحَرّياً في تقييد الشّعر وتَنْقيح روايته: «أنشدَنَا أبو بكر بن دُرَيْد (توفّي 321)، قال: أنشدنا أبو حاتم [السّجستاني] (توفي 255) عن الأصمعي، قال: أنشدني خَلَف الأحمر لأعرابيّ: . . .». وما مِنْ شكٍّ في أنّ هذه الروايةَ أوثقُ من الأولى لاتّصال سنَدِها أولاً ولمَنْزلةِ نَاقِلها ثانياً. وهو ما دفعنا إلى اعتمادها أساساً في هذا التّحقيق.

بقي للدَّارس أن يتساءل مُسْتَغْرباً عن السّرّ في بَقاء هذه الأرجوزة ـ وهي مِنْ عُيون الشّعر نمطاً ومقصداً ـ مَعْزُوّةً إلى مجهول، ومثلُها مِمّا رَوَاه غيرُ خَلَف من الفرائد وإنْ اختلَف الرواةُ فيها، لَمْ يَبْقَ مُرسلاً، وافتَنَّ أصحابُ المجاميع في نحْلها المشاهيرَ من الشعراء[2]. والرّأي عندنا أنَّ هذا الأثرَ، شأنُه شأنُ القصائدِ المُفْردات التي وضعها خلفٌ على لسان غيره، قدْ دَخَلَ في مَرْويّات الشّاعر الرَّاويةِ، ونَقَلها عنه «حُمقاً»[3] رُوَاةُ العصر. وهو ما أدركَهُ في ظنّنا أبو هلال العَسْكري عندما عَزَا بضْعة أشْطُر منها إلى خَلَف، وكذلك ابنُ سِيدَه عندما قال: «وسقَط إليّ عن الأصمعيّ أنّه قَالَ هَذَا الرَّجَزُ لَيْسَ بِعَتِيقٍ كأنّهُ قَالَ مِنْ قَوْل خَلَفِ الأحمَر»[4].

---

(1) وهي نسخة قديمة جداً جمعت بين الأصمعيات والمفضليات ونقل منها الشنقيطي، وهي محفوظة بخزانة كبرلي بإسطنبول (انظر مقدمة المفضليات بتحقيق شاكر وهارون ص 17).

(2) انظر «القصيدة اليتيمة» مثلاً المدرجة ضمن هذه المدونة (الجزء الثاني) وكيف نسبت إلى ثلة من مشاهير شعراء القرن الثاني.

(3) يقول خلف (الأغاني ج 6 ص 92): «كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ويدخلها في أشعارها، وكان فيه حمق».

(4) المخصص (طبعة بولاق) ج 17 ص 13.

رفع المسهم

* * *

ومهما يكُنْ من الأمر فالأرجوزة ـ ونحن نُرَجّح نِسبتَها إلى خَلَف ـ تُمثّل نمطاً من الشّعر انْتهج فيه ثلّةٌ من شعراء القرن الثاني وبداية القرن الثالث مَنْحًى خاصًّا خرج بهم عن أجْناس الشّعر المألوفة وذلك بِانْتِحالهم، هَازِلين، خِطاباً شعريّاً يَسْتَنِد إلى ثقافة البادية، لِتَأْدِيَة حَسَاسية عابثة هي من خصائص أهْل المدن. وإنّ ذلك لَيَبْدُو جَليّاً، في هذه الصوَر المُتراكبة الهازئة التي تَمْلأُ فضاءَ الأرْجوزة، سَواءٌ تَعَلّقَ الغرَضُ منها بالهِجاء أو بالفَخْر، والتي يقتطِعُها الشاعرُ ممّا تَسْتَحْضِرُه ذَاكِرَتُه من مَوْرُوثٍ ثقافيّ انغَرستْ أصوله في صَحْرَاء الجزيرة، لِيصُبّها متدفّقةً عنيفةً على رَجُلٍ وامرأة ـ لَعلّها زوجته ـ عَابَ أحدُهما الآخرَ بالفقْر والشّيخوخة. فترى الشّيخ وقد تَسطّحَ لفقْره فلَصِقَ بالأرض («مُبْلَطاً»)، وتَقَلّص شَخْصه لِكِبَره فَتَدَانتْ أعْضَاؤُه وأصبح يُقَارب الخَطْوَ في مَشْيِه («دَالِفاً قَدْ دُنِّيَ لَهُ»)، وبَاعَدَ بيْنَ الكَعْبَيْن («القَوْعَلَى»)، وأثَارَ الغُبَارَ بمشيتِه المُسْتَرْخية («الخزْعلَة») واعْوَجَّ كالضَّبع الأعْرَج («الهَنْبَلَةْ»). وتُذَكّرُهُ زوجُه بحالِه هذه فيَكيلُ لها هُزْءَهُ صَاعاً بِصَاع، ويُذَكِّرها بماضيها وحاضرها. أفَلَمْ تكُنْ في أوْج اكتمالها، ما بين الأربعين والخَمسين، كالأتَان غِلْظَةً وجفَاءً («جَنَعْدَلَةْ»)!؟ ثُمَّ ها هي تَتقلّصُ ويتَجمّع ما تَبَقّى منها في سِنٍّ واحدة ناتِئَة هَرِمَة («نَاباً نَهْبَلَةْ»)[1]، و «(رحِماً عِنْدَ اللّقَاحِ مُقْفَلَةْ)»، وثَدْي قَدْرُ مُضْغَةٍ من لَحْم عَارِيةٍ تَسحُّ لُؤْماً ولا صِرَارَ يشُدُّها («مُبْهَلَةْ»). وبعدُ أليس لَها منْ أنثى الثّعالب قَفَاهَا («قُفِيّ التّتْفُلَةْ»)، وَمِنَ العِجْل أنْفُهُ، ومن الحَجَلةِ سَاقُها، ومن الضَّبّ كُسُورُ جلْده، ومن الخُنْفساءِ قِشْرُهَا ولَوْنُهَا، ومن الأفْعَى حَفِيف جِلْدها وَنَفْخُها (الأبيات: 24 ـ 27)؟! ويعود الشّاعر إلى الرّجل الشّيخ فيرفعُ عنه صِفَاتِ العَجز، ويُجْري على لِسانه، هَازلاً، فخراً بالنّفس شَبيهاً بفخر الصبيان الأغْرار المتحامقين، ويمنحُهُ على كِبَر سنِّه من

(1) تصحيح قراءة «الناب النهبلة» بمعنى الناقة الهرمة.

رفع المسهم

صفات التّشمير، والحَزْم، وقُوَّةِ السّاعد (نَاهيك أنّه يَكُبُّ النّاقةَ السّمينةَ)، وإصَابةِ المَرْمَى، والعَجَلة في الإنْجاز، ما يتضخّمُ به شخْصُه بعد تَقَلّصٍ، وتتأكّد به مَلاَمِحُ الشّيخ الدّعِيّ الأهْوج الأخْرَقِ (الأبيات: 28 ـ 41).

وهكذا نَرى كيفَ أنّ مَنْحى الفكاهة ـ والقَصْدُ في رأينا هو ذاك في هذه الأرجوزة ـ يخرجُ بالهجاء والفَخْر عن المسالك المألوفة، وكيف أنّ الشّاعرَ السّاخرَ يتّخذ من الفقر والشيخوخة مطيةً ليرْسُم **صورةً هزليّةً للمَرْأةِ والرّجل تكونُ الصّورةَ المعكوسةَ أوْ المضَادّةَ للمرْأة المثلى والرّجل الكامل كما تَحَدَّدَتْ مَلامِحُهُمَا في شعْر الغَزَل وشعْر الفخر عامة**. نضيف إلى ذلك أنّ في تقاطُع الدّلالات المتفجّرَة عن أسماء الأماكن («الأعْزَلَهْ»، «الضّلَضِلَهْ»، «الجُعَلَهْ»)، وأسماء الأعلام («طيْسَلَهْ»)، وأسماء الحيوان («التّتْفُلَهْ») الواردة في القصيدة ما تتَنزّلُ به هذه الصورةُ المُضَادَّة في نسيج من التّخْييل تَلْتَحِم عبْر سَدَاهُ ما ذكرناه من معاني الفقر والشّيخوخة والقُبح، هو من حَبْك ما تُوحي به الأصولُ اللّغويّة لـِ «الأعْزَلَهْ» من معاني العَراء والعَجْز والحُمْق، و «الضُّلَضِلَهْ» من معاني التّلف والفساد والضّياع، و «الجُعَلَة» من معاني القلّة والخساسَة و «الطّيْسَلَهْ» من معاني الكذب والخداع (والطّيْسَل لغةً هو السراب)، و «التّتْفُلَهْ» من معاني القذارة والعفَن. ثم إنك ـ إن رُمتَ الاستقصاء ـ لَوَاجدٌ في بناء القصيدة ذاتِه (هياكل الكلام، هندسة المقاطع، نَسَق العروض، موسيقى الإيقاع...) ما يُوحِي بهذا المنحى السّاخر الذي انتهجَه الشّاعر في تأدية هذه المقاصد. فأنت تُدَقِّقُ النّظر في النّسق الذي تجري عليه صُوَرُ هذا المشهد المُرَكّب في تَحوّلها المُتَوَثّبِ مِنْ ذَات المرأة إلى ذات الرّجل جيئةً وذهاباً وقد انْتَصَبَا وجْهاً لِوجْه هذا يُعَيِّرُ ذاك ـ ولا يكاد يخلو شطر من أشطر الأرجوزة من عرضٍ لصورة من هذه الصور، بل قد تتجمّع الصورتان فالثّلاث في الشطر الواحد[1] ـ فتتمثّلُ مشهداً هازلاً من مشاهد الدُّمَى المتحركة يُديرُ خيوطَها فَنّانٌ حاذق، فهو يَنْضو عنها ويُلْبسها على

(1) انظر الأشطر: 16، 25 ـ 27.

رفع المسهم

التّعاقب من الأزياء ما به تَتَشكّل في الصورة هذه أو في الصورة تلك ممّا تخيّلَه الشاعر في أرْجوزته العابثة. وإنّ في جَرَيان القصيدة على بَحْر موَحّدِ التّفعيلة قصير سَريع (مشطور الرّجز)، مَطْوِيّ العروض أو مَخْبُونه معاً[1]، وفي انفتاح المقاطع الأربعة الأخيرة لكلّ شطر على قافية مُطلقة رَويُّها اللام ومجراها الفتحة، وفي جرَيان هذه المقاطع ـ ومعظمها من القصير ـ مُكَرّرَةً لحركة الرويّ مرةً فمرّتين فثلاث حسب الأشكال التّوقيعِيّة التالية[2]:

أ ـ [ح + ف + ح + س]+[ح + ف]+[ح + ف + ه]= **فعْلَلَهْ** (طَيْسَلَهْ)×21 مرة.

ب ـ [ح + ف] + [ح + ف] + [ح + ف + ه] = **فعَلَهْ** (أَكَلَهْ) × 7 مرّات.

ج ـ [ح + ف]+[ح + ف]+[ح + ف]+[ح + ف + ه]=**فعَلَلَهْ** (وَسَمَلَهْ) × 3 مرّات.

د ـ [ح + ف] + [ح + ف + ه] = **للَهْ** (دَ نْـ [ـيَ لَهْ]) × 5 مرّات.

إنّ في هذا كلّهِ ما تتنزّلُ به القصيدةُ في نَسيج إيقاعيّ خاصّ هُو من جِنْس القَلْقَلَة (والقَلْقَلَة لغةً هي التّصويت والتّحرّك) التي يحدثها الهيجان والصَّخَب: صَخَبُ زَوْجَيْن يتخاصمان ويَتَنَابَزَان بالألقاب، وكأنّ جَوْقَة من النّظارة خلف السّتارة يوقّعون بتَصْفيقهم المُتَعابث وقَهْقَهتهمْ السّاخرة ما به تتأكّد هزَليّةُ المشهد ومَنْحاه «الكاريكاتوري».

* *

تلك هي الأرجوزة فيما تَمَثّلْنَاه منها في قراءة أولى. ولا غرابةَ بعد هذا إن أدْرك الأصمعي مَنْحاها الطّريف فأدْرَجَها ضمنَ اختياره وعدَّها من النوادر مُؤَكداً بذلك أنّ جَوْدَة الشعر ليستْ وَقفاً على الشعر الرّصين، وأنّ نصيبَ الاختراع لدى

(1) الخبن: حذف الثاني الساكن في «مستفعلن» فتنقل إلى «مفاعلن» والطي: حذف الرابع الساكن في نفس التفعيلة فتنقل إلى «مفتعلن».

(2) رمزنا بـ «ح» إلى الحرف، وبـ «ف» إلى الفتحة وبـ «س» إلى السكون.

رفع المسهم

الشعراء الهازئين المتعابثين الذين افْتَنّوا في نحْتِ الإنسان «النّاقِص» لم يكن في كثير من الأحيان دون نَصِيبِ مَنْ أفْنَى شعرَه في نَحْتِ الإنسان «الكامل» من كبار المدّاحين.

وبعدُ فنحن لا نزعم أنّ خلفاً هو أوّل مَنْ أدْرك حاجةَ المجتمعات الجديدة إلى مسالك مُستَحْدثة في قول الشعر، أو أنه أوّلُ منْ حاول الخروجَ بخطاب الهجاء عن أشكاله الموروثة (القذف والتّهْجين بذكر المَثَالب) التي أمْلاَهَا الصّرَاعُ القبليّ والسياسيّ في العهود الأولى للشعر، لِيَلِجَ به بابَ التّهَزل المَحْض الذي لا يُراد به إلاّ الإحماض والضحك والإضحاك كما سَبَق أنْ أشرنا إلى ذلك. فغَيْرُ خَلَف من السّابقين كأبـي دُلاَمَةَ في بعض ما أُثِرَ له من «مضاحك»[1] ومن المعاصرين كالبَهْدَلي في قصيدة له تكادُ تكون تَوْأماً لأرجوزة خلف أدرجناها ضمن هذا القسم[2] قد حاولوا هُمْ أيضاً المزاوجة بين أشكال الشعر الموروثة وحساسية العصر وذوقه. وإنّما نقول بأنّ عبقريّةَ خلف تَكْمُنُ في أنّه استطاع أكثرَ من غيره أن ينغرس في صميم ثقافة صحراء الجزيرة، ثمَّ إنّه اقْتَطَع من هذه الثقافة لُغتَها وأنْماط تعبيرها ليُجريَ خطاباً شعريّاً له إيقاعُ الحداثة ينغرس في عميق اهتمامات الذّات[3] ويستجيب لتَطَلُّعات العصر.

* * *

(1) انظر القسم الثالث من هذه المدونة حيث نقف على نماذج متنوعة من الشعر «الهجائي» الذي يراد به الهزل، وهو ما انتهجه ثلة من شعراء القرن الثالث (ومن نحا نحوهم من شعراء اليتيمة) ممن تصرفوا في أفانين العبث وانخرطت أشعارهم في سلك «المضاحك» حسب تعبير حمزة الأصفهاني في كتابه «مضاحك الأشعار» الضائع.

(2) أبو الخطاب البهدلي من شعراء أواخر المائة الثانية (انظر ما حققناه من شعره ضمن هذا القسم الأول من المدونة، وبخاصة رقم ٤ حيث يعرض هازلاً بزوجته، وطالعها:

[الرجز]

ضجت ولجت في العتاب والعذل صخـــابــة ذات لســـان وجـــدل

(3) قارن الأرجوزة وما يجري فيها من معان تتعلق بالشيخوخة، بالمقطعة رقم 16.

رفع المسهم

ـ 4 ـ

الفـائـيـة

[الكامل]

«كان خَلَف الأحمر يعْبثُ بأبِي محمّد [يحيى] اليزيدي(*) عبثاً شديداً وربّما جَدَّ فيه وأخْرَجَهُ مَخْرَجَ المَزْح، فقال فيه يَنْسبُه إلَى اللّواط...».

الأغاني ج 20 ص 231

1 ـ إنّـي وَمَـنْ وَسَـجَ المَطِـيُّ لَـهُ ... حُـدْبَ الـذُّرَى أذْقَـانُهَـا (1) رُجُـفُ

2 ـ يَطْـرَحْـنَ بِـالبِيـدِ السِّحَـالَ إذَا ... حَـثَّ النّجـاءَ الـرَّكْـبُ وازْدَهَفُـوا

3 ـ وَالمُحْـرمِيـنَ لِصَـوْتِهِـمْ زَجَـلٌ ... بِفِنَـاءِ كَعْبَتِـهِ إذَا هَتَفُـوا

4 ـ وَإذَا قَطَعْـنَ مَسَـافَ مَهْمَهَـةٍ ... قَـذَفٍ تَعَـرَّضَ دُونَهَـا (2) شَـرَفُ

5 ـ وَافَـتْ بِهِـمْ خُـوصٌ مُحَـزَّمَـةٌ (3) ... مِثْـلُ القِسِـيّ ضَـوَامِـرٌ شُسُـفُ

6 ـ مِنِّـي إلَيْـهِ غَيْـرَ ذِي كَـذِبٍ ... مَـا إنْ رَأى قَـوْمٌ وَلاَ عَـرَفُـوا

7 ـ فِي غَابِرِ (4) النّاس الذينَ بَقُوا ... وَالفُـرَّطِ المَـاضِيـن إذ سَلَفُـوا (5)

8 ـ أحَـداً كَيَحْيَـى فـي الطعَـانِ إذَا ... افْتَـرَشَ القَنَـا وَتَضَعْضَـعَ الحَجَـفُ

9 ـ فِـي مَعْـرَكٍ يُلْقَـى الكَمِـيُّ بِـهِ (6) ... لِلْـوَجْـهِ مُنْبَطِحـاً وَيَنْحَـرِفُ

10 ـ وَإذَا أكَـبَّ القِـرْنُ يُتْبِعُـهُ (7) ... طَعْنـاً دُوَيْـنَ صَـلاَهُ يَنْخَسِـفُ

11 ـ لِلَّـهِ دَرُّكَ أيُّ ذِي نُـزُلٍ ... فِـي الحَـرْبِ إذْ هَمُّـوا وإذْ وَقَفُـوا (8)

(*) أبو محمد اليزيدي هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، سمي اليزيدي لصحبته يزيد بن منصور خال المهدي. أدب المأمون وكان شاعراً فصيحاً، عالماً باللغة والنحو، راوية للشعر متصرفاً في علوم العرب. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب وأكابر البصريين. توفي سنة 202هـ (الأغاني ج 20 ص 216 ـ 262/ نور القبس ص 80 ـ 89). جمع ما تبقى من شعره الدكتور محسن غياض ضمن غياض ضمن «شعر اليزيديين» النجف الأشرف، 1973: انظر الكشف النقدي لما نُشر من شعر المقلين خلال العقود الأخيرة في الجزء السادس من هذا العمل.

رفع المسهم

12 ـ لاَ تُخْطِـيءُ الـوَجْعَـاءَ أَلَّتُـهُ وَلاَ تَصُـدُّ إذَا هُـمُ زَحَفُـوا(*)

13 ـ وَلَـهُ جِيَـادٌ لاَ يُفَـرِّطُهَـا الإِحْـلاَلُ (9) وَالمضْمَـارُ وَالعَلَـفُ

14 ـ جُـرْدٌ يُهَـانُ لَهَـا السَّـويـقُ وأَلْـ بَـانُ اللِّقَـاحِ كَـأَنَّهَـا نُـزُفُ (10)

15 ـ مُـرْدٌ وَأَطْفَـالٌ تَخَـالُهُـمُ دُرّاً تَطَـابَـقَ فَـوْقَـهُ الصَّـدَفُ

16 ـ فَهُـمُ لَـدَيْـهِ يَعْكِفُـونَ بِـهِ وَالمَـرْءُ مِنْـهُ اللّيـنُ واللُّطُـفُ

17 ـ وَمَتَـى يَشَـا يُجْنَـبْ لَـهُ جَـذَعٌ نَهْـدٌ أَسِيـلُ الخَـدِّ مُشْتَـرِفُ

18 ـ يَمْشِي العِرَضْنَةَ تَحْتَ فَارِسِهِ عَبْـلَ الشَّـوَى فـي مَتْنِـهِ (11) قَطَـفُ

19 ـ رَبِـذٌ إذَا عَـرِقَـتْ مَغَـابِنُـهُ ذَهَـبَ السُّكُـونُ وَأَقْبَـلَ العُنُـفُ

20 ـ فَـأَعَـدَّ ذَاكَ لِسَـرْجِـهِ وَلَـهُ فِـي كُـلِّ غَـادِيَـةٍ لَهَـا عُـرُفُ

21 ـ فِـي حَقْـوِهِ عَـرِدٌ تَقَـدَّمُـهُ صَلْعَـاءُ فِـي خَـرْطُـومِهَـا قَلَـفُ (12)

22 ـ جَـرْدَاءُ تُشْحَـذُ بِـالبُـزَاقِ إذَا دُعِيَـتْ نَـزَالِ وَهَـبَّ مُـرْتَـدِفُ (13)

23 ـ أَوْفَى عَلَى قَيْدِ (14) الذِّرَاعِ شَدِيـ ـدُ الجَلْـزِ فـي يَـافُـوخِـهِ جـوَفُ

24 ـ خَـاظِ مُمَـرٌّ مَتْنُـهُ ضَـرِمٌ لاَ خَـانَـهُ خَـوَرٌ وَلا قَضَـف

25 ـ عَـرْدُ المَجَـسِّ بِمَتْنِـهِ عُجَـرٌ فِـي جِـذْرِهِ عَـنْ فَخْـذِهِ جَنَـفُ

26 ـ فَلَـو أَنَّ فَيّـاضـاً تَـأَمَّلَـهُ نَـادَى بِجهْـدِ الـوَيْـلِ (15) يَلْتَهِـفُ

27 ـ وإذَا تَمَسَّحَـهُ لِعَـادَتِـهِ وَدَنَـا الطعَـانُ فَمِـدْعَـسٌ ثَقِـفُ

28 ـ وإذَا رَأى نَفَقـاً رَبَـا وَنَـزَا (17) حتّـى يَكَـاد لُعَـابُـهُ يَكِـفُ

29 ـ لاَ نَـاشِئـاً يُبْقِـي وَلا رَجُـلاً فَنِـداً وَهَـذَا قَلْبُـهُ كَلِـفُ

30 ـ يَـا لَيْتَنِـي أَدْرِي أُمْنْجِيَتِـي وَجْنَـاءُ نَـاجِيَـةٌ بِهـا شَـدَفُ

31 ـ مِـنْ أَنْ تَعَلّقَنِـي حَبَـائِلُـهُ أَوْ أَنْ يُـوَارِي هَـامَتِـي لُجُـفُ (18)

32 ـ وَلَقَـدْ أَقُـولُ حِـذَارَ سَطْـوَتِـهِ إيهـاً إلَيْـكَ تَـوَقَّ يَـا خَلَـفُ (19)

(*) البيت 12 : في التفعيلة الأولى من الشطر الثاني سقط الحرف الثاني المتحرك، وهو ما يسمى بـ «الوقص»، ولا يكون إلا في «متفاعلن» فتنقلب «مفاعلن».

رفع المسهم

33 ـ وَلَـوْ أنَّ بَيْتَـكَ فِـي ذُرى عَلَـمٍ مِـنْ دُونِ قُلّـةِ رَأسِـهِ شَعَـفُ

34 ـ زَلِـقٍ أعَـالِيـهِ وَأسْفَلُـهُ وَعْـرُ التّنَـائِـفِ (20)بَيْنَهَـا قُـذُفُ

35 ـ لَخَشِيـتُ عَـرْدَكَ (21)أنْ يُبَيِّنَنِي إنْ لَـمْ يَكُـنْ لِـي عَنْـهُ مُنْصَـرَفُ

التخريـج:

ـ الأغاني ج 20 ص 231 ـ 235 وهو المصدر المعتمد (1 ـ 35).

ـ نور القبس ص 75 ـ 77 (باستثناء الأبيات: 8، 16، 20، 25، 29).

ـ الحيوان ج 6 ص 409 (32، 33، 35) بدون عزو.

ـ معجم الأدباء ج 11 ص 17 (1، 3، 6 ـ 10).

ضبط النص واختلاف الرواية:

1 ـ نور القبس: «أقْرَابُها» معجم الأدباء: «إرْقَالُهَا رُجُفُ».

2 ـ نور القبس: «مَهْمَهَةٍ... تَأتِي تعَرَّضَ دُونَهُ...».

3 ـ نور القبس: «فُرُضٌ مُزَمَّمَةٌ».

4 ـ نور القبس: «فِي غُبَّرٍ».

5 ـ معجم الأدباء: «مَنْ سَلَفُوا».

6 ـ نور القبس: «تَلْقَى الكَمِيَّ به».

7 ـ نور القبس: «أتْبَعَهُ».

8 ـ نور القبس: «... ذي دَلَفٍ... في الحرْبِ أنتَ إذا همُ وَقفوا».

9 ـ نور القبس: «... ليس تَعْوِزُهَا الأجْلالُ...».

10 ـ نور القبس: «... كأنَهَا تَرَفُ».

11 ـ نور القبس: «فِي مَشْيِهِ».

12 ـ نور القبس: «... فِي يَافُوخِهَا قَنَفُ».

13 ـ نور القبس: «... تَرْتَدِفُ» وهو تحريفٌ واضح.

14 ـ نور القبس: «أقْعَتْ عَلَى قَيْد...».

رفع المسهم

15 ـ نور القبس: «لَوَ أنَّ قنّاصاً . . . نَادَى بِحَرّ الوَيْلِ . . .».

16 ـ نور القبس: «ودَنَا الطرَادُ فَمُذْعِسٌ قَطِفُ».

17 ـ نور القبس: «وإذَا أبَسَّ به رَبَا وَثَرَا».

18 ـ نور القبس: «. . . هَا مَتِي اللُّجُفُ».

19 ـ الحيوان:

«وَبمـا أقُـول لِصَـاحِبـي خَلَـفٍ إيهـاً إليـكَ تَحَـذَّرْن خَلَـفُ»

وهي رواية نور القبس مع اختلافٍ جزئي في العَجُز: «هُدِيتَ» عِوَضاً عن إليْك».

20 ـ نور القبس: «ذَلَقِ أعالِيه . . . وَعَلاَ تَنَائِفُ . . .» وهو تحريف واضح.

21 ـ نور القبس: «لخشيتُ جُزْرَكَ». الحيوان: لَخَشِيتُ قَدْرَكَ أنْ يُبيِّنَهَا».

رأي في الفائيّة

نُذكّر هنا بما كنّا أشرْنَا إليْه في المقدّمة (ص 17 و 20: الإحالة 3) من أنّ خلَفاً قصد إلى الهَزْل في هذه القصيدة. فهو يعْبثُ بأحَد معاصريه من جلّة أهْل العِلْم، فيَرْميه باللّواط. على أنّه لا ينْبغِي، في رَأينا أنْ نَخْرُجَ بهذا القَذْفِ من باب الفُكاهة إلى بَاب الجدّ. فلطالما كان المعلّمون ـ واليزيدي منهم، وخلف نفسُه قد عرَّض به في بعض شعره أنّه معلّمٌ ـ عُرضةً للشّبهات ومصبّا للسخرية، ورسالةُ الجاحظ في المعلّمين وغيرُها من كُتب الأخبار تُؤكّد هذه الظاهرة[1]. وعندنا، أنّ ما شاع من نوادرَ في خُلُقِ المعلّمين وسلوكهم وما لَحقَهُم من ضروب الاستهزاء على مَرّ العصور واختلاف البلدان «يقَعُ إثْمُهُ ـ كما أكّد ذلك أدام متز («الحضارة الإسلامية . . .» ج 1 ص 344 ـ 345) ـ على الرّوايات

(1) انظر كتابنا «الفكر التربوي عند العرب»، تونس 1985، حيث أوردنا جملة من النصوص للجاحظ، وابن حوقل، وابن شهيد، والحريري تتعلق بسير المعلمين وما شاع من نوادر في شأنهم.

رفع المسهم

اليونانية الهزليّة[1]، وكان فيها المعلّمُ من الشّخصيات المضحكة»[2].

نُضيف إلى هذا أنّ ما يَجْري في هذه القصيدة من سُخْف صريح واستِهْتَارٍ رخيص ليس في رأينا بدعةً من البِدَع في الأدب العربي، وسنعرض أمثلةً من ذلك ضمْنَ ما جمعناه من شعر المقلّين ممّن أسرفوا في السّخْف والرَّقَاعَة ولَمْ تأنَفْ أمهاتُ المجاميع من ذكرهم والإشادة بجوْدة أشعارهم، وهو ما تَتَحاشاه منشوراتُنا اليوم[3]، وليس أدلَّ على أخْذ القدماء بحقوق الحريّة في مجال التعبير من تعْقيب المقرّي على إحدَى هزليّات الفقيه عمر المالقي إذ يقول: «ومثل هذا الهزل قد وقع لكثير من الأئمة على سبيل الإحماض ولم يعنوا به غالباً إلاّ إظْهار البلاغة والاقتدار. . .»[4].

— 5 —

اللاّمية الصّغرى

[الوافر]

«قال الأصمعي: خرج قومٌ بالبَصْرة وقَدِمُوا، فأهدَى إليهم خَلَفٌ هديةً

(1) نلاحظ هنا كيف أن الفضاء الثقافي العربي على ما تميز به قديماً وحديثاً من رفع لشأن التعليم وإشادة بذكر المعلمين، لم يبق بمعزل عن المؤثرات الإغريقية في هذا الباب.

(2) انظر اللوحة الزيتية الرائعة مما صنعته المدرسة الصينية في الرسم في عهد دولة سونق SONG (960 ـ 1279 ميلادياً) والتي تمثل معلماً مكباً برأسه على مكتبه نائماً، وتلاميذ حوله هازلون (مجموعة من الرسوم في نشرة ممتازة من القطع الكبير بتجليد مغلف بالحرير، منشورة ببيكين Pékin في الخمسينات بدون ضبط للسنة. ونسخة منها في خزانتي الخاصة).

(3) مثال ذلك «أخبار أبي نواس لأبي هفان» تحقيق عبد الستار فراج (1953) حيث نقف في أكثر من موضع على فقرات من النص مطموسة بالحبر الأسود بعد طبعها (انظر في هذا السياق تعليقاً جريئاً لأحمد محمد شاكر ورد ذيلاً لترجمة أبي نواس بكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة/ طبعة القاهرة 1364، ج 2 ص 770، حيث يستنكر المحقق ما تعرض له الأستاذان الشيخ محمد عبد الرسول وعباس أفندي الشربيني من إنذار بالفصل من العمل إن هما طبعا النصف الثاني من «أخبار أبي نواس» المستخرجة من مختار الأغاني لابن منظور، ومعلوم أن النصف الأول من هذا الكتاب طبع بمصر سنة 1345).

(4) انظر «أزهار الرياض» ج 1 ص 124 ـ 125.

رفع المسهم

فقصَّروا في ثَوابِه فقال(*):

1 ـ سَقَـى حُجّـاجَنَـا نـوْءُ الثُّـرَيّـا ... علَـى مَـا كَـانَ مِـنْ لُـؤْمٍ وَبُخْـلِ (1)
2 ـ هُمُ شَدُّوا القِبَابَ (2) وأحْرَزُوهَا ... فَلَـوْ زَادُوا لَهَـا (3) بَـابـاً بِقُفْـلِ
3 ـ وَقَـدْ عَـدُّوا لَنَـا شَيْئـاً بِشَـيْءٍ ... مُقَـايَضَـةً لَـهُ مِثْـلاً بِمِثْـلِ
4 ـ فَـإِنْ أهْـدَيْـتُ فَـاكِهَـةً وكَبْشـاً (4) ... وَعَشْـرَ دَجَـائِـجٍ بَعَثُـوْا بِنَعْـلِ
5 ـ وَمِسْـوَاكَيْـنِ طُـولُهُمَـا (5) ذِرَاعٌ ... وَعشْـرٍ مِـنْ صِغَـارِ (6) المُقْـلِ خَشْـلِ
6 ـ فَـإِنْ أهْـدَيْـتُ ذَاكَ لِيَحْمِلُـونِـي ... عَلَـى نَعْـلٍ فَـدَقَّ اللـهُ رِجْلِـي
7 ـ أنَـاسٌ مَـائِهُـونَ (7) لَهُـمْ رُوَاءٌ ... تَغِيـمُ سَمَـاؤُهُـمْ مِـنْ غَيْـرِ وَبْـلِ
8 ـ إذَا نُسِبُـوا فَحَـيٌّ (8) مِـنْ قُـرَيْـشٍ ... وَلَكِـنَّ الفِعَـالَ فِعَـالُ عُكْـلِ(**)

التخريـج:

- نور القبس ص 74 (1 ـ 8) وهو المصدر المعتمد وبه أتمّ الروايات.
- الحيوان ج 5 ص 284 ـ 285 (باستثناء البيت 3).
- البيان والتبيين ج 3 ص 111 ـ 112 (1 ـ 2، 4، 6).
- الشعر والشعراء ج 2 ص 764 ـ 765 (1 ـ 2، 4 ـ 5، 7 ـ 8).
- الوحشيات ص 235 (7 ـ 8).
- طبقات الشعراء لابن المعتز ص 148 (1 ـ 2، 4 ـ 5، 7 ـ 8).
- عيون الأخبار ج 3 ص 83 (باستثناء البيت 3).
- بهجة المَجالس وأنس المُجالس القسم 1 ص 285 (1 ـ 2، 4 ـ 8).

اختلاف الرواية:

1 ـ الحيـوان والبيـان: «مَطْـلٍ وَبُخْـلِ» ـ الشّعـر، والعيـون، وبهجـة

(*) القصيدة تمثّل أنموذجاً لفن من فنون الشعر العربي تواصلت سنّته على مدى العصور: انظر للمقارنة القصيدة الميمية التي أوردناها لمنصور الفقيه: الجزء 3 ص... انظر كذلك «التحف والهدايا» للخالديين.

(**) عكل: «أبو قبيلة فيهم غباوة اسمه عوف بن عبد مناة... والعكل اللئيم... والعاكل القصير البخيل» (القاموس المحيط مادة: «ع ك ل»).

رفع المسهم

المجالس: «بُخْلٍ وَمَطْلٍ» ـ الطبقات: «مَنْعٍ وَبُخْلٍ».

2 ـ الطبقات: هُمُ ضَمُّوا النعَالَ» وسائر الروايات: «هُمُ جَمَعُوا النِعَالَ».

2 ـ الحيوان، والبيان، والعيون، وبهجة المجالس: «وسَدُّوا دُونَهَا» ـ الشّعر والطبقات: «وشَدُّوا دُونَهَا».

4 ـ الحيوان، والبيان، وبهجة المجالس: «إذا... وَشاةً» سائر الروايات: «فَإنْ... وَجَدْياً».

5 ـ الشعر: «قَدْرُهُمَا».

6 ـ سائر الروايات: «رَدِيءِ المُقْلِ».

7 ـ سائر الروايات: «تَائِهُونَ» باستثناء بهجة المجالس: «يأنَفُونَ».

8 ـ سائر الروايات باستثناء الطبقات: «إذَا انْتَسَبُوا فَفَرْعٌ...».

رأي في اللاميّة

يَبْدو أنّ هِجَاءَ البُخَلاءِ كان من الأغراض المُحَبّبَة لدى خَلَف، ولعلَّ الدَّاعيَ لذلك لم يكنْ ـ كما قد يَتبادر للذّهن ـ مجرّد الهِجَاءِ[1] يركبُه الشاعرُ للنّيل مِنْ خُصُومه بِقَدْر ما كان استجابةً لهذه الروح الفَكِهة السّاخرة التي استَأثرتْ بجانب غير قليل من شعره (القصائد والمقطعات: 4، 5، 12، 13). وإنَّ هذه الظاهرةَ لَتَتّضِحُ جَليّةً في هذه القصيدة حيث نقفُ على صورة الدَّعِيّ وقد تَمَثّلَهُ الشاعرُ في هذه الأحياء العربيّة الذين اسْتَقَرّوا بالعواصم الجديدة فانْتَحلوا أساليبَ العيش الحَضَريّ، وتَيَسّر لَهُمْ مِنَ الثّراء مَا بِه يَحجّون ويأكلون طيّبات الفواكه ولُحومَ الضّأنِ والدّجاج، وهُمْ مع ذلك بَاقُون على مَا أَلِفُوه من

(1) يقول ابن رشيق: «أما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل» (العمدة ج 2 ص 171)، وهو النهج الذي سار عليه خلف الأحمر في كثير من شعره الهازل.

رفع المسهم

أَنْماطٍ للسّلوك هِي منْ خصائص أَهْل البادية، يُهْدُون «المَقْلَ» و «المَسَاويك» و «النّعَال». وفي هذه المُزواجة ـ التي يَدْعُونَا إليها خلفٌ في أكثرَ من قصيدة من شعره ـ بَيْنَ أَنْماط الخطاب التي تَتَحَدَّدُ بِهَا جوامعُ القِيَم المميِّزَة لثقافَة البادية وثقافةِ المدينة، ما يؤَكّد مرَّة أخرى مَنْزعَ شاعر وحَسَاسيةَ رَجُلٍ[1].

* * *

(1) قارن هذه القصيدة بالمقطعة رقم 11.

رفع المسهم

الحلقة الثالثة

ثقافة صحراء الجزيرة كما تمثلها المحدثون

ـ 6 ـ

المقصورة الكبرى

[المتقارب]

1 ـ نَأَتْ دَارُ سَلْمَى (1) فَشَطَّ المَزَارُ ... فَعَيْنَايَ (2) مَا تَطْعَمَانِ الكَرَى

2 ـ وَمَرَّ (2م) بِفُرْقَتِهَا بَارِحٌ ... فَصَدَّقَ ذَاكَ غُرَابُ النَّوَى

3 ـ فَأَضْحَتْ بِبَغْدَانَ فِي مَنْزِلٍ ... لَهُ شُرُفَاتٌ دُوِينَ السَّمَا

4 ـ وَجَيْشٌ وَرَابِطَةٌ عِنْدَه (3) ... غِلاَظُ الرِّقَابِ كَأُسْدِ الشَّرَى

5 ـ بِأَيْدِيهِمُ مِحْدَثَاتُ الصِّقَالِ ... سُرَيْجِيَّةٌ يَخْتَلِبْنَ (4)الطُّلَى

6 ـ وَمِنْ دُونِهَا بَلَدٌ نَازِحٌ ... يُجِيبُ بِهِ البُومُ رَجْعَ (5) الصَّدَا

7 ـ وَمِنْ مَنْهَلٍ آجِنٍ مَاؤُهُ ... سُدىً لا يُعَاذُ بِهِ قَدْ طَمَى (6)

8 ـ يَبِيتُ الذِّئَابُ تَعَاوَى بِهِ ... وَيُصْبِحْنَ فِي مَهَوَاتِ المَلاَ (7)

9 ـ وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ مَهْمَهٍ ... وَمِنْ أَسَدٍ جَاحِرٍ فِي مَكَى (8)

10 ـ وَمِنْ حَنَشٍ لاَ يُجِيبُ الرُّقَا ... ةَ أَسْمَرَ (9) ذي حُمَةٍ كَالرِّشَا

11 ـ أَصَمَّ صَمُوتٍ (10)طَوِيلِ السُّبَا ... تِ مُنْهَرِتِ الشِّدْقِ عَارِي القَرَا (11)

12 ـ لَهُ فِي اليَبِيسِ نُفَاثٌ يَطِيرُ (12) ... عَلَى جَانِبَيْهِ كَجَمْرِ الغَضَا

13 ـ وَعَيْنَانِ حُمْرٌ مَآقِيهِمَا ... تَبِصَّانِ فِي هَامَةٍ كَالرَّحَا

14 ـ إِذَا مَا تَثَاءَبَ أَبْدَى لَهُ ... مُذَرَّبَةً عُصُلاً كَالمُدَى

رفع المسهم

15 ـ كَـأَنَّ حَفِيفَ الـرَّحَـى جَـرْسُـهُ إذَا اصْطَـكَّ أَثنـاؤه وانْطَـوَى

16 ـ وَلَـوْ عَـضَّ حَـرْفَـيْ صَفَـاة إذاً لأَنْشَـبَ أَنْيَـابَـهُ فِـي الصَّفَـا

17 ـ كَـأَنَّ مَـزَاحِفَـهُ أَنْسُـعٌ خُـرِزْنَ (13) فُـرَادَى وَمِنْهَـا ثُنَـا

18 ـ وَقَـدْ شَـاقَنِـي نَـوْحُ قُمْـرِيَّـةٍ طَرُوبِ العَشِيِ هَتُوفِ الضُّحَى (14)

19 ـ مِـنَ الـوُرْقِ نَـوَّاحَـةٍ بَـاكَـرَتْ عَسِيـبَ أَشَـاءٍ بِـذَاتِ الغَضَـا

20 ـ فَغَنّتْ (15) عَلَيْه بِلَحْنٍ (16) لهَا يُهَيِّـجُ للصَّـب (17) مَـا قَـدْ مَضَـى

21 ـ مُطـوَّقَـةٌ كُسِيَـتْ زِينَـةً بِـدَعْـوَةِ نُـوحٍ لَهَـا إذْ دَعَـا

22 ـ فَلَـمْ أَرَ بَـاكِيَـةً مِثْلَهَـا تُبَكِّـي وَدَمْعَتُهَـا لاَ تُـرَى

23 ـ أَضَلّتْ فُرَيْخاً فَطَافتْ لَهُ (18) وَقَـدْ عَلِقَتْـهُ حِبَـالُ الـرَّدَى

24 ـ فَلَمّا بَدَا اليَأْسُ مِنْهُ (19) بَكَتْ عَلَيْـهِ وَمَـاذَا يَـرُدُّ البُكَـا

25 ـ وَقَـدْ صَـادَهُ ضَـرِمٌ مُلْحَـمٌ خَفُـوق الجَنَـاحِ حَثِيـثُ النّجَـا

26 ـ حَدِيدُ المَخَالِبِ عَاري الوَظِيـ ـفِ ضَارٍ مِنَ الـزُّرْقِ (20) فيـهِ قَنَـا

27 ـ تَرَى الوَحْشَ والّطيْرَ (21) من خَوْفِهِ جَـوَاحِـرَ (22) مِنْـهُ إذَا مَـا اغْتَـدَى

28 ـ فَبَـاتَ عَـذُوباً عَلَـى مَـرْقَـبٍ بِشَـاهِقَـةٍ صَعْبَـةِ المُـرْتَقَـى

29 ـ فَلَمّـا أَضَـاءَ لَـهُ صُبْحُـهُ وَنَكّـبَ (23) عَـنْ مَنْكِبَيْـهِ النّـدَى

30 ـ وَحَـتَّ بِمِخْلَبِـهِ قَـارِتـاً (24) عَلَـى خَطْمِـهِ مِـنْ دِمَـاءِ القَطَـا

31 ـ فَصَعّدَ (25) في الجَوّ ثُمَّ اسْتَدَار فَطَـارَ حَثِيثـاً إذَا مَـا انْصَمَـى

32 ـ فَأَبْصَرَ (26) سِرْبَ قَطاً قَارِبٍ جَبَـى مَنْهَـلٍ لَـمْ تَمِحْـهُ الـدِّلا

33 ـ غَـدَوْنَ بِـأَسْقِيَـةٍ (27) يَـرْتَـوِينَ لِـزُغْـبٍ مُطـرَّحَـةٍ بِـالفَـلاَ

34 ـ يُبَادِرْنَ وِرْداً فَلَمْ (28) يَرْعَوِينَ عَلَـى مَـا تَخَلّـفَ أَوْ مَـا وَنَـى (29)

35 ـ تَـذَكّـرْنَ ذَا عَـرْمَـضٍ طَـامِيـاً يَجُـولُ عَلَـى حَـافَتَيْـهِ الغُثَـا

36 ـ بِـهِ رُفْقَـةٌ مِـنْ قَطَـا وَارِدٍ (30) وَأُخْـرَى صَـوَادِرُ عَنْـهُ رِوَا

37 ـ فَمَـلاَّنَ أَسْقِيَـةً لَـمْ تُشَـدَّ بِخَـرْزٍ وقَـدْ شُـدَّ مِنْهَـا العُـرَى

رفع المسهم

38 ـ فَـأَقْعَـصَ مِنْهُـنَّ كُـذْرِيّـةً وَمَـزَّقَ حَيْـزُومَهَـا وَالحَشَـا

39 ـ فَطَـارَ وَغَـادَرَ أَشْـلاَءَهَـا تَطِيـرُ الجَنُـوبُ بِهَـا وَالصَّبَـا (31)

40 ـ يَخَلْنَ (32) حَفِيفَ جَنَاحَيْهِ إِذْ تَـدلّـى مِـن الجَـوِّ بِـرْقـاً بَـدَا

41 ـ فَـوَلّيْـنَ مُجْتَهِـدَاتِ النَّجَـا جَـوَافِـلَ فِـي طَـامِسَـاتِ الصُّـوَى

42 ـ فَـأُبْـنَ عِطَـاشـاً فَسَقَّيْنَهُـنَّ مُجَـاجَـاتِهِـنَّ كَمَـاءِ السَّـلاَ

43 ـ فَبِتْـنَ يُـرَاطِـنَّ رُقْـشَ الظُّهـو رِ حُمْرَ الحوَاصِلِ صُفْرَ (33) اللُّهَى

44 ـ فَذَاكَ وَقَدْ أَغْتَدِي (34) فِي الصَّباحِ بِـأَجْـرَدَ كَـالسِّـيـدِ عَبْـلِ الشَّـوَى

45 ـ طَوِيلِ الذِّرَاعَيْنِ ضَامِي الكُعُو بِ نَابِي (35) الحَمَاتَيْن عارِي النَّسا

46 ـ لَـهُ كَفَـلٌ أَيِّـدٌ مُشْـرِفٌ (36) وَأَعْمِـدَةٌ لاَ تَشَكَّـى الـوَجَـى

47 ـ وَأُذْنٌ مُـوَلَّلَـةٌ حَشْـرَةٌ وَشِـدْقٌ رُحَـابٌ وَجَـوْفٌ هَـوَا

48 ـ وَلَحْيَـانِ مُـدَّا إِلَـى مَنْخَـرٍ رَحِيـبٍ وَفَـرْجٌ (37) طُـوَالُ الخُطَـى

49 ـ لَـهُ تِسْعَـةٌ طُلْـنَ مِـن بَعْـدِ أَنْ قَصُـرْنَ لَـهُ تِسْعَـةٌ فِـي الشَّـوَى[1]

50 ـ وَسَبْعٌ (38) عَرِينَ وَسَبْعٌ (38) كُسِينَ وَخَمْسٌ ظِمَـاءٌ وَخَمْسٌ (39) رِوَا[2]

51 ـ وَتِسْعٌ غِلاَظٌ وَسَبْعٌ (38) رِقَاقٌ وَصَهْـوَةُ عَيْـرٍ وَمَتْـنٌ خَظَـا[3]

52 ـ وَسَبْعٌ (38) قَرُبْنَ وَسَبْعٌ (38) بَعُدْ نَ منْـه فَمَـا فيـهِ عَيـبٌ يُـرَى[4]

---

(1) نظراً لما ورد في المقصورة من مغالق تتعلق بصفات الفرس (الأبيات: 44 ـ 60) قد يتعذر فكها على القارىء من غير ذوي الاختصاص، فإننا نأتي هنا ببعض ما ورد من شروح لطيفور في هذا الغرض:

البيت 49: التسع الطوال: عنقه وخداه ووظيفا رجليه وذراعيه وبطنه، والقصار: أربعة أرساغه ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه.

(2) البيت 50: السبع العارية: خداه وجبهته والوجه كله وأن يكون عاري القوائم من اللحم، والسبع المكسوة: فخذاه وحماته ووركاه وحصير جنبه.

(3) البيت 51: التسع الغلاظ: أوظفته الأربعة وأرساغه وعكوته، والسبع الدقاق: منخراه وأذناه وجحفلتاه وجلدة رأسه.

(4) البيت 52: السبع اللواتي قربت: أي سبع خصال صالحة قربت منه وسبع خصال رديئة =

رفع المسهم

53 ـ عَريضُ الثّمَانِي حَدِيدُ (40) الثّمَانِي شَـدِيـدُ الصّفَـاقِ شَـدِيـدُ المَطَـا(*)

54 ـ وَفِيهِ مِنَ الطّيْرِ (41) خَمْسٌ فَمَنْ رَأى فَـرَسـاً مِثْلَـهُ يُقْتَنَـى

55 ـ غُـرَابَـانِ فَـوقَ قَطَـاةٍ لَـهُ وَنَسْـرٌ وَيَعْسُـوبُـهُ قَـدْ بَـدَا

56 ـ كَـأنَّ بِمَنْكِبِـهِ إنْ جَـرَى جَنَـاحـاً يُقَلّبُـهُ فِـي الهَـوَا

57 ـ مَصَرْنَا (42) لَهُ مِنْ خِيَار اللِّقَا ح خمساً مَجاليجَ كُومَ (43) الذُّرَى

58 ـ يُغَـادَى بِعُـضٍّ لَـهُ دَائِبـاً (44) وَنَسْقِيـهِ (45) مِـنْ حَلَـبٍ مَـا اشْتَهَى

59 ـ وَيُـؤْثَـرُ بِـالـزّادِ دُونَ العِيَـالِ وَفِـي كُـلّ سَيْـرٍ (46) بِـهِ يُقْتَفَـى

60 ـ فَقَـاظَ صَنِيعـاً فَلَمّـا شَتَـا أَخـذْنَـاهُ بـالقُـرْب (47) حَتّى انْطَوَى

61 ـ فَهِجْنَـا بِـهِ عَـانَـةً فِـي الغُطَـاطِ خِمَـاصَ البُطُـونِ صِحَـاحَ العُجَـى

62 ـ يُثِـرْنَ الغُبَـارَ بِمَلْثُـومَـةٍ وَيُـوقِـدْنَ بِـالمَـرْوِ نَـارَ الحَبَـا

63 ـ فَـوَلّيْـنَ كَـالبَـرْقِ فِـي نَفْـرِهِـنَّ جَـوَافِـلَ يَكْسِـرْنَ صُـمَّ الصَّفَـا

64 ـ فَصَـوَّبَـهُ العَبْـدُ فِـي إثْـرِهَـا فَطَـوْراً يَغِيـبُ وَطَـوْراً يُـرَى

65 ـ فَجَـدَّلَ خَمْسـاً فَمِـنْ مُقْعَـصٍ وَشَاصٍ كُـرَاعَـاهُ دَامِـي الكُلَـى (48)

66 ـ وَثِنْتَانِ خُضْخِضَ قُصْبُهُما (49) وَثَـالِثَـةٌ شُحِّطَـتْ (50) بِـالـدّمَـا

67 ـ فَـرُحْنَـا بِصَيْـدٍ إلَـى أهْلِنَـا وَقَـدْ جَلّـلَ الأرضَ ثَـوْبُ الـدُّجَـى

68 ـ وَبِتْنَـا نُقَسِّـمُ أعْضَـاءَهُ لِجَـارٍ وَيَـأكُلُـهُ مَـنْ عَفَـا

69 ـ وَرُحْنَـا بِـهِ مِثْـلَ وَقْـفِ العَـرُو سِ أهْيَـفَ لا يتشكّـى الـوجَـى (51)

70 ـ وَبَـاتَ النّسَـاءُ يَغَـدّينَـهُ (52) وَيَـأكُلْـنَ مِـنْ صَيْـدِهِ المُشْتَـوَى

71 ـ وَقَـدْ قَيّـدُوه (53) وَغَلُّـوا لَـهُ تَمَـايِـمَ يُنْفَـثُ فِيهَـا (54) الـرُّقَـى

= بعدت عنه.

(*) البيت 53: عريض الثمان: صدره وصهوته وفخذاه ووركاه ووظيفاه وحديد الثمان: عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه (لاحظ هنا كيف أغفل طيفور عضواً من الأعضاء الثمانية الحديدية).

رفع المسهم

التخريـج:

ـ «قصيـدة خلـف الأحمـر» للمستشـرق الألمـانـي آلـوَرْدت ص 397 ـ 403 (*Chalaf El Ahmar's Qasside* de W. Ahlwardt, Greifswald/ Allemagne, 1859-456 .pages)

وهو المصدر المعتمد (باستثناء البيت 63 الذي ينفرد به كتاب الأمالي للقالي وكتاب المنثور والمنظوم) مع الإشارة إلى أنّ آلوردت استند في تَخْريجه المَقْصُورةَ إلى مخطوطة «جَمْهَرة الإسْلاَم»[1] المحفوظة في خزانة مدينة ليدن لمؤلفها أمين الدّين أبـي الغنائم مُسلم بن محمود الشّيْزَرِيّ، والتي يجد الباحث فهرساً مُفصّلاً لِما احتَوتْ عليه من مادّة في مجلّة المجتمع العلمي العربـيّ بدمشق، الجزء الأول، المجلد 23 لسنة 1958، والقصيدة ترد في الباب الثالث من هذه المخطوطة وهي **معزوّة إلى خلَف الأحمر**.

ـ المنثور والمنظوم: قسم القصائد المفردات التي لا مثل لها (1977)، ص 80 ـ 85. وهي معزوّة إلى جَهْم بن أخت أبـي عمرو بن العلاء ويُعقِّبُ المؤلف بقوله: «وقد زَعم قومٌ أنّها لأَبـي البَيْداء». والقصيدة مرتبة كما يلي: 1 ـ 6/ 8 ـ 7/ ، 9 ـ 11/ 14، 13، 15، 12/ 16 ـ 44/ 46 ـ 50/ 52، 51/ 53 ـ 55/ 57 ـ 58/ 60 ـ 61/ 63 ـ 64/ 56/ 65 ـ 71.

ـ كتاب الزهرة القسم الثاني (1975) ص 238، 243 ـ 244، 248 ـ 249 وهي موزّعة على فقرات ثلاث. الفقرة الأولى بدون عزو: الأبيات 1، 3، 6، 7، 9، 10 ـ الفقرة الثانية معزوّة إلى أبـي البيداء الأعرابـيّ: الأبيات 21 ـ 25/ 30، 32، 31 ـ 34/ 36 ـ 38/ 40 ـ الفقرة الثالثة معزوة إلى أبـي البَيْدَاء الأعرابـي أو **خَلَف** أو ابن جَهْم المَازنيّ: الأبيات 44، 56/ 45 ـ 46/ 49 ـ 55/ 57، 59، 60.

ـ الأشباه والنظائر (1965) ج 2 ص 317 ـ 318 معزوّة إلى أبـي صفوان الأسدي: الأبيات 18 ـ 20/ 22 ـ 26/ 28 ـ 41.

---

(1) يتضح من اختلاف الروايات التي وقفنا عليها عند التحقيق أن رواية «جمهرة الإسلام» هي أوفاها تقييداً لنصها، وأتمها ضبطاً للغتها، وأدقها أحكاماً لانتظام أبياتها.

رفع المسهم

ـ أمالي القالي ج 2 ص 237 ـ 240 تمام القصيدة معزوّة إلى أبـي صفوان الأسدي باستثناء الأبيات 8 ـ 9، 45، 59، 62، 68 وإضافة البيت 63 وجَعْل البيت 52 سابقاً للبيت 51 والبيت 56 تابعاً للبيت 64. مع شرح لغوي مُطوّل للمقصورة نقلاً عن ابن الأعرابـي.

ـ سمط اللآلي ص 865 مع تعليق الميمني في الذيل رقم 3 (8 ـ 9، 45، 59، 62، 68، وهي أبيات ينقلها عن طبعة «آلْوَرْدْت».

ـ الحيوان ج 3 ص 199 ـ 200 (18 ـ 27) معزوّة إلى جَهْم بن خَلَف/ ج 4 ص 179 (10 ـ 11) بدون عزو/ ص 180 (البيت 11 مكرر مع اختلاف جزئي في الرواية).

ـ «ما يجوز للشاعر في الضرورة» للقزّاز القيرواني: ص 147 (2 ـ 3) بدون عزو.

ـ الحماسة البصرية (1964) ج 2 ص 344: الأبيات 10 ـ 17 معزوة إلى أبـي صفوان الأسدي.

ـ نهاية الأرب ج 10 ص 143 (البيت 17 وقد أورده النّويري وَهْماً في باب صفات الأفاعي).

اختـلاف الروايـة:

1 ـ سائر الروايات: «لَيْلَى».

2 ـ سائر الروايات: «فَعَيْنَاكَ».

2مكرر ـ ما يجوز للشاعر في الضرورة: «وَشَطَّ» وهو أفصح.

3 ـ الأمالي: «رَابِطَةٌ حَوْلَـهُ».

4 ـ المنثور... والأمالي: «يَخْتَلِينَ».

5 ـ المنثور والمنظوم: «صَوْتَ» وهي رواية ضعيفة.

6 ـ الزّهرة: «شَدَى [وهو تحريف واضح] لاَ يُعَاجُ...»، المنثور... «صَرٍ لاَ يُعَاجُ بِهِ قَطُّ مَا» وهو عَجَزٌ محرَّف لاَ معنى له.

رفع المسهم

7 ـ المنثور. . . «ويصحر في سفراملا» عَجَزٌ محرّف لاَ معنى له.

8 ـ المنثور. . . «وَمِنْ أسْوَدِ. . .». والبيت ممّا أهمَلَهُ القَالي ونبّه إلى ذلك المَيْمني في سَمْط اللآلي. وقَد وَهَمَ الدّكتور غياض عندما ألحقه برواية الأمالي.

الزهرة: «. . . مِنْ صَفْصَفٍ وَمِنْ أَسَدٍ خادرٍ في وَغَى».

9 ـ الحيوان، والزهرة، والمنثور: «أرْقَشَ».

10 ـ الحيوان: «سَمِيعٍ».

11 ـ المنثور. . . «عَارِي الشّوَا». الحيوان: «عَارِي النّسا» و «عَارِي القَرَا».

12 ـ المنثور. . . «لَهُ زعبَدٌ في نَفَاة اليَبِيس».

13 ـ المنثور. . . ونهاية الأرب: «حُرِزْنَ».

14 ـ الأشباه والنظائر: «هَتُوفِ الغَدَاةِ طَرُوبِ العِشَا».

15 ـ الحيوان: «تَغَنّتْ» وهي أَفْضَلُ.

16 ـ المنثور. . . «بِصَوْتٍ».

17 ـ الأشباه. . . «يَهِيجُ عَلَى الصَّبّ».

18 ـ الزهرة والمنثور، والأشباه: «فَطَافَتْ بِهِ».

19 ـ الأشباه والنظائر: «مِنْهَا».

20 ـ المنثور، وأمالي القالي، والحيوان: «الوُرْقِ»، والزُّرْق أفْضَلُ دَلالةً على لَوْن الصَّقْر الأزرق، وقد سَبَقَ أنْ وصف الشاعر الحَمامة بالوَرْقاء (البيت: 19)، ولا نظنه يردّد نَفْسَ اللّون بالنّسبة إلى الصَّقر.

21 ـ الحيوان: «تَرَى الطّيْرَ والوَحْشَ».

22 ـ الحيوان: «جَوَامِزَ» مِنْ جَمَزَ إذَا عَدَا. وهي روايةٌ ضعيفة.

23 ـ المنثور: «ونَفّضَ».

رفع المسهم

24 ـ الأشباه. . . «. . . بِمِخْطَمِهِ جَامِداً».

25 ـ الزهرة: «وَصَعْدَ» ـ الأشباه: «تَصَعَّدَ».

26 ـ الزهرة: «فَآنَسْنَ» وهو تحريف يَنِمّ عَنْ خَلْطٍ في الفَهْم قد يكون مَرَدُّه إلى اضْطراب النسّاخ في رواية داود الأصْبَهاني (انظر تسلسل الأبيات 30، 32، 31، 34، 36 كما ورَد في كتاب الزهرة وهو تسلسلٌ يخْتل معه الفَهْم).

الأشباه، والأمالي: «فَآنَسَ».

المنثور. . . «فَغَادَرَ».

27 ـ المنثور. . . «بِأَرْشِيَةٍ».

28 ـ سائر الروايات باستثناء الأمالي: «فَمَا».

29 ـ الزهرة: «عَلَى مَا تَذَكّرَ أوْ مَا دَنَا» وهو تحريفٌ يختل معه المعنى.

30 ـ المنثور: «قَارِبٍ» وهو تحريفٌ صريحٌ ونَسَقُ المعنى بالبيت يدلّ على ذلك (المقابلة بين الوَارِدِ والصَّادِر).

31 ـ الزهرة: «. . . أشْبَاهَهَا تَطيرُ الحَتُوفُ بها وَالضَّنَا».

32 ـ المنثور. . . «تَخَالُ».

33 ـ الأمالي: «حُمْرُ اللُّهَى».

34 ـ الزهرة: «أَلَمْ تَرَنِي أغْتَدِي».

35 ـ الزهرة: «. . . أطْمَى الكُعُوبِ نَاتِي. . .».

36 ـ المنثور. . . «مُشْرِفٌ أيّدٌ».

37 ـ المنثور. . .، والأمالي: «وَعُوجٌ».

38 ـ جمهرة الإسلام: «تِسْعٌ» وقد رجّحنا ما وَرد في سائر المصادر (لاحظ ارتباك الرّواية في تَعْدَادِ صِفَاتِ الخَيْل)[1].

---

(1) نظراً لاختلاف الشروح في تعداد صفات الخيل وتحديدها نحيل القارىء على دراسة ■

رفع المسهم

39 ـ سائر الروايات: «خَمْسٌ رُوَاءٌ وَخمْسٌ ضِمَا».

40 ـ المنثور، والأمالي: «حَديدُ، عَريضُ»، الزهرة: «دَقيقُ، عَريضُ».

41 ـ في الأصل: «الضَّيْر» وهو تحريف وفي سائر الروايات ما أثبتنا وهو الصحيح.

42 ـ سائر الروايات: «جَعَلْنا».

43 ـ المنثور والأمالي: «شُمَّ».

44 ـ المنثور... «يُغَادِي بِعَضٍّ لَهُ دَامِياً» وهي قراءةٌ تُحَرّفُ النّصَّ ويسْقُط مَعَهَا المعنى.

45 ـ المنثور، والأمالي: «ونَقْفِيهِ».

46 ـ الزهرة: «فَكُل مَسِير...».

47 ـ سائر الرّوايات «بِالقَوْدِ».

48 ـ المنثور... «الطُّلَى».

49 ـ المنثور...، والأمالي: «خَضْخَضَ قُصْبَيْهِمَا»، ورواية جمهرة الإسلام أفضل، نظراً إلى السياق.

50 ـ المنثور... «مُسِحَتْ».

الأمالي: «رُوِيَتْ».

51 ـ المنثور... «لاَ يتشَكّى الحَفَا».

52 ـ المنثور... والأمالي: «يُعَوّذْنَهُ».

53 ـ المنثور... «وقَدْ قَلّدُوهُ».

54 ـ المنثور... «يُنْفَثُ فِيهِ».

= «الوردت» المذكورة وهي تبرز نموذجية المقصورة في وصف الخيل، كما نحيله على شرح القالي المطول الذي ذيل به القصيدة في أماليه.

رفع المسهم

رأي في المقصـورة

يقول طَيْفور متحدّثاً عن المقصورة: «هي من مُختار أشعار المُحدَثين التي لا نَظيرَ لها، وقد تصرَّف قائلُها في صفات كثيرة، وقد قال فيها فأحْسن الاتِّباعَ والابتداع، وقليلاً ما تجدُ لأحدٍ من المُحْدثين مثلَها، ولَوْلا عِزَّتُهَا بين أيدي الناس وأنّا رأينا قليلاً من يَرْويها لَمْ نُثْبِتْها»[1] وقد أدرك ذلك منذ قرن ونيف المستشرق الألماني الكبير «آلوَرْدت» فَحَقّقَ نصَّها بعد مُرَاجعَةٍ جذْرِيّةٍ لتحقيقٍ أوَّلٍ ضعيفٍ للغاية[2] قام به «فُونْ هَمّرْ» (Von Hammer) وتَرْجمها وخصَّها بمؤلّفٍ مُستقلٍّ كما سبق أنْ ذكرنا غزير المادّة يدل على مدَى تعمُّقِه في دراسة الأدب العربـيّ القديم[3]. ومع ذلك فإنّ مصيرَ المقصورة لم يَخْتلفْ عن مصير أخواتها ممّا أدرجناه ضمن هذا المجموع من فرائد المقلّين. فقد قلّت روايتُها، واختلَف القدماءُ في عَزْوها، واضْطرَبَ نصها على أيدي النسّاخ وأصحاب الاختيار. وليس غريباً أن تَتَعرَّض لِمِثْلِ هذا المصير وقد استقلّتْ عن مسالك التّدوين العادية حتى نهاية القرن الثالث وخرجتْ من أيْدي الورَّاقين لِتَسْتَأثِرَ بها خزائنُ الكتب الخاصة ينقُلها نسّاخون ليْسوا من أهل الصناعة. ولعلَّ ذلك ممّا يفسِّر انعدامَ أثَرها، على نَفَاسَتِها، في كتب الطبقات والاختيار ودواوين الأدب عامةً،

---

(1) المنثور والمنظوم: قسم القصائد المفردات ص 80.

(2) يجده القارىء وجهاً لوجه ونص (آلوردت» ص396 ـ 406. (مرّ ذكر هذا المرجع الهام ص 14)

(3) يجد الباحث في هذه الدراسة المعمقة شرحاً مستفيضاً بالألمانية للمقصورة جر المؤلف في أكثر من موضع إلى استطرادات قيمة تذكرنا بشروح القدماء، ومنها حديثه عن الخيل وصفاتها وما ورد في شأنها من مختار الأخبار والأشعار، مستنداً في ذلك إلى مصادر أمهات منها: الخيل للأصمعي والخيل لأبـي عبيدة، وأنساب الخيل في الجاهلية والإسلام لابن الكلبـي، وأسماء خيل العرب وفرسانها لابن الأعرابـي.
انظر كذلك المقامة الحمدانية للهمذاني (شرح محمد عبده، ص 151 ـ 156).

رفع المسهم

باستثناء ما اقتَطعَهُ منها في غير ما نَسقٍ صاحبُ كتاب الزهرة، والأبيات المفردات التي أدرجها الجاحظ في كتاب الحيوان. وإنّ فضلَ السّبْق في تَدْوينها كاملةً يرجع إلى طَيْفور (نهاية القرن الثالث)، ولا نشكّ في أنّ الخالديين في الأشباه والنظائر وكذلك القالي في أماليه قد اعتمدُوا روايتَه أو روايةً موازيةً في تدْوينِ فقراتٍ منها. وللباحث أن يتساءَلَ في بقاء هذه القصيدة على هامش المدوّنة العامة للشعر العربي، عزيزةً في أيدي الناس، يرويها القلّةُ، وهي ما هي في «حُسْن الاتّباع والابتداع»! على أنّ حيرتَه تقلّ حدّةً إنْ هو تَتبّع مسالكَ الرواية النّزيرةَ التي نقلتْ لنا المقصورة، ولاحظ أنّ جميعَها ـ باستثناء رواية القالي المتأخرة[1] ـ ورد مُرسَلاً لا سندَ له. وفي ظنّنا أن هذا وحدَه يكفي لتزهيد الرّواة فيها. فإذا أضفتَ إلى ذلك أنّ هذه الروايات اختلفت في عزْوِها[2]، بلْ إنّ الروايةَ الواحدةَ قد تتردَّدُ بين ثلاث كما هو الشّأن في كتاب الزهرة، وعَلِمْتَ إلى هذا كلّه أنّ مِن بيْن مَنْ تُعْزَى إلَيهم المقصورة خَلَفاً الأحمر، وهو مَنْ تَعَلّقَتْ به شبهةُ النّحل كما ذكرنا ذلك في أكثر من موضع، أدْرَكْتَ كيف أنّ هذه القصيدةَ بقيتْ مُهْملةً وطَوَاهَا النسيان. وعلى كلّ فالأَثَرُ بين أيدينا اليوم، وأتمُّ روايةٍ له هي روايةُ الشّيْزري في جمهرة الإسلام (70 بيتاً) المعزوّة إلى خلف، وهي الرواية التي اعتمدها المستشرق «آلْوَرْدت» وأخرجها في طبعةٍ نَعُدّها أحسنَ الطبعات حتى اليوم[3].

* *

وسواء لدينا اختلف القدماء في نسبة المقصورة أو لَمْ يختلفوا، فإنّ ما لاحظناه في هذا الأثر الفريد من إحكام في النّسج، وعُمقٍ في المقاصد، ومنْحى

(1) يرفع القالي سند روايته إلى ابن الأعرابي في نوادره.
(2) انظر ذلك في باب التخريج.
(3) تحسن الملاحظة هنا أن المحقق الحجة عبد العزيز الميمني هو أول من نبه إلى هذه الطبعة التي صدرت بـ «قريسفالد»/ ألمانيا 1859، وأن من نقل عنه من المحققين في العقود الأخيرة ـ وإن هم نبهوا إليها بدورهم ـ لم يرجعوا إليها ولم يفيدوا منها.

رفع المسهم

خاصّ في تَمثُّل ثقافة البادية ـ وهو ما أشرنا إليه في الدّراسة المدخلِ ـ، معَ صِدْقٍ في الرؤية وَعفوية في العبارة، ليَجْعَلُنَا نُرجّحُ نِسْبتَه إلى خَلف الأحمر، وهو ما فعلنا عندما أدرجناه ضمن هذا المجموع. أضفْ إلى ذلك أنَّ المقْصورة تَرُدّنا إلى نظام ثُنَائيّ في اسْتِبْصار الكيان يقوم على تَناظُر قِيَم الخَير والشّرّ في كلّ ما يأتيه الأحياءُ في هذا العالم، ممّا يَجعلها تَنْخَرط في سلك أخوات لها[1] عبّر فيها الشاعر من خلال هذه الجَدَلِيّة عن موْقفه من قَضايا المصير: فَمنَازعُ الخَير ومَا هيَ به مَحبّةٌ وشوقٌ واستجابةٌ لداعي البَذْل والوئام وإشادةٌ بعزّة الإنسان وكرم الحياة، تَرْويها في المقصورة دِيارُ لَيْلَى النّائية وذكْراها (الأبيات: 1 ـ 9)، ونُواحُ القُمْريّةِ الثكْلَى (الأبيات: 18 ـ 25)، ووُرودُ أسْرَابِ القَطَا المتآلفَةِ مناهل الماء الحيّ، وحُنُوُّهُنَّ عند الصدور على فِرَاخِهنَّ الزُّغْب «يسقيهُنَّ» و «يُرَاطِنَهُنَّ» (الأبيات 32 ـ 43)، وأخيراً مشهدُ العُرْس إثْر جولة الصَّيد عنْد العَوْدة إلى الحيّ حيث تلتَئِمُ العشيرةُ بحضور نِسَائِها «القَيْمَاتِ» وقد انْضَمَّ إليها الفرسُ في علاقة سِلْم وعطاءٍ ورعاية ناسخةٍ لِعَلاقة العُدوان ـ عُدْوان الصَّيد ـ الذي ذَهب ضَحيَّتَه إخوَتُه من الحيوان في المشهد السابق (الأبيات: 44 ـ 71). أمّا منازع الشرّ وسوء المصير وما يقترن بها من معاني القطيعة والعِداء، والنّزوح والضياع، والقسْوة وسَفك الدّماء، فيَرْويها غُرابُ النّوى (البيت 2)، وحُصونُ القَصْر المَنيعة (البيت 3)، وغِلاظُ الرّقَاب مِنْ حَرَس الجُنْد (البيت 4)، والبومُ النّاعقةُ (البيت 6) والذّئابُ العاويةُ (البيت 8) والمياهُ الآجنةُ (البيت 7) والحيّةُ الهَوْلُ (الأبيات 9 ـ 17)، والصقور الضَّاريةُ (الأبيات 25 ـ 31، 38 ـ 40)، ومصارعُ الحيوان الدّاميةُ (الأبيات 25، 38 ـ 39، 65 ـ 66).

هذا بعض ما انتهينا إليه في قراءة أولى للمقصورة، ولعلّنا بذلك نكون قد وفّينا هذا الأثرَ النادر بعض ما يستحقّه من الدرس.

---

(1) نعني اللاميتين (انظر ص 31 وص 44).

رفع المسهم

ـ 7 ـ

العينيـة

[الكامل]

1 ـ إنَّ الخَلِيـطَ نَسَـاكَ أجْمَعُـهُ ... ونَسَـاكَ بَعْـدَ البَيْـنِ مَـرْبَعُـهُ

2 ـ وَأجـنَّ قَلْبُـكَ مِـنْ فِـرَاقِهِـمُ ... شَـوْقاً فَكَـادَ الـوَجْـهُ يَصْـدَعُـهُ

3 ـ أوَ كُلّمَـا دَعَـتِ الحَبِيـبَ نَـوًى ... جَـادَتْ مَسَـاربَهُـنَّ أدْمُعُـهُ

4 ـ «فكـأنّ سنّـة محلـف حلفـاً ... فـالـدمـع يسبقـه وتقـرعه» (1)

5 ـ وَإذَا أقُـولُ صَحَـتْ عَمَـايَتُـهُ ... عَـادَ الهَـوَى لِلْقَلْـبِ يَـرْدَعُـهُ

6 ـ فَـرَمَيْـتُ بـالعَيْنَيْـنِ ظَعْنَهُـمُ ... فَـدَنَـا فَـأرْوَى الشعْـرَ (2) رَعْـرَعُـهُ

7 ـ والبِيـدُ قَـدْ نَشَـرَتْ سَبَـاسِبَهَـا ... آلاً (3) تُسَـرْبِلُـهُ وَتَخْلَعُـهُ

8 ـ وكـأنّهُـم فَـوْقَ العُيُـون ضُحًـى ... نَخْـلٌ يَهَـابُ البَسْـرَ مُـونِعُـهُ

9 ـ هَبّـتْ لَـهُ ريـحٌ شَـآمِيَـةٌ ... فَـالآلُ يَخْفَضُـهُ ويَـرْفَعُـهُ

10 ـ فَـوْقَ الهَـوادِجِ رَبْـرَبٌ كَنُـسٌ ... مَيْـلَ الفُـرُوعِ يَمِيـدُ خِـرْوَعُـهُ

11 ـ هِيـفٌ خَـرَاعِـبُ يَـأتَـزِرْنَ عَلَـى ... رَمْـلٍ تَمِيـلُ بِهِـنَّ أكْـرُعُـهُ

12 ـ وَإذَا ابْتَسَمْـنَ جَلَـوْنَ عَـنْ بَـرَدٍ ... عَـذْبٍ كَـأنَّ الـرَّاحَ مَكْـرَعُـهُ

13 ـ فِيـهِ جَـوًى وَبِـهِ الشفَـاءُ لَـهُ ... مِـنْ غُلّـةِ الحَـرَّانِ يَنْقَعُـهُ

14 ـ «وعسلاً بـالعَشـيّ وحَـادِراً ... أمسـى بلـونيّهـن مـردُعـهُ» (3 م)

15 ـ فَـأرَجْـنَ مِـنْ قَطَـنٍ (4) وَعنْبَـرِهِ ... وَذَكِـيُّ فَـأرِ المِسْـكِ يَسْفَعُـهُ

16 ـ فَسَقَـى بِـلاداً هُـنَّ سَـاكِنُهَـا ... غَيْـثٌ رُكَـامُ المِسْـكِ يَـرْفَعُـهُ

17 ـ جَـوْدٌ تُـزَجّـي الـرّيـحُ عَـارِضَـهُ ... غَيْـثٌ كَثِيـرُ النّجْـدِ يُطْلِعُـهُ

18 ـ وَألَـحَّ يَكْسُـو الأُكْـمَ وَابِلُـهُ ... بِصَـدًى مِـنَ الأعْبَـاءِ يُقْلِعُـهُ

رفع المسهم

19 ـ جافٍ عَنِ الدَّفَيْنِ مِرْفَقُهُ غَوْجَ اللِّبَانِ أُمِرَّ مَصْنَعُهُ(*)

20 ـ وَكَأَنَّ فَوْقَ مُتُونِهِ رَخَماً أَوْفَى عَلَى الأُذُنَيْنِ مَوْضِعُهُ

21 ـ لِكَ المصـــع أعظمــه (5) وَنَمَا عَلَيْهِ النَّيُّ يَقْرَعُهُ

22 ـ رَحْبُ الفُرُوجِ (6) كَأَنَّ قَنْطَرَةً حَيْثُ التَقَى فِي الصُّلْبِ أَضْلُعُهُ

23 ـ مِنْ سِرّ أَرْحَبَ جَانِبٌ سَدِسٌ أَوْ بَارِكٌ قَدْ مُدَّ مَضْبَعُهُ

24 ـ . . . شَظَّى المَرْوُ مَنْسَمَهُ (7) صَكًّا يُغَنِّي الشَّذْوَ وَغْوَعُهُ

25 ـ فَكَأَنَّهُ بَعْدَ الكَلاَلِ وَقَدْ جَفَّ التَّمِيلُ وَمَاجَ أَنْسُعُهُ

26 ـ حَنَّتْ لَهُ نُصُعٌ مجَلَّلَةٌ حَادٍ عَنِ الرُّكْبَانِ مَذْرَعُهُ

27 ـ مِنْ وَحْشِ حَوْمَلَ مُفْرَدٌ لَهِقٌ أَحْوَى الفَرَا وَالخَدُّ أَسْفَعُهُ

28 ـ سَلِبٌ قَشِيبُ الرَّوْقِ أَسْحَمُهُ وَمُشَبَّهٌ بِالقَارِ أَكْرَعُهُ

29 ـ ظَلَّ النَّهَارَ يَرُودُ مُؤْتَنِفاً أَفْغَى يَقُودُ العِيْنَ مَرْبَعُهُ

30 ـ حَتَّى إِذَا أَفِدَ الزَّمَانُ رَأَى بَرْقاً أَحَالَ عَلَيْهِ لُمَّعُهُ

31 ـ فَنَمَى إِلَى سَدِرٍ بِمَرْبَكَةٍ قَدْ كَانَ يَلْوِيهِ وَيَصْنَعُهُ

32 ـ فِي غَرْقَدٍ هُدْبٍ جَوَانِبُهُ نَجَفٍ يَلُوذُ بِهِ وَيَمْنَعُهُ

33 ـ حَتَّى إِذَا أَلْقَى أَكَارِعَهُ لِمَبِيتِهِ فَأَطَاعَ مَضْجَعُهُ

34 ـ هَدَمَ الشَّمَالُ عَلَيْهِ بَيْتَهُ فَابْتُزَّ عَنْ عَيْنَيْهِ مَهْجَعُهُ

35 ـ فَاحْتَمَّ يَكْحَلُ عَيْنَهُ سَهَدٌ والمَاءُ يَرْكَبُهُ وَيَدْفَعُهُ

36 ـ يُسْدِي بِهِ وَيَبِيتُ لَيْلَتَهُ خَضِلاً مِنَ التَّهْتَانِ أَزْمَعُهُ

37 ـ وَيُثِيرُ رَوْنَقَهُ وَيُفْزِعُهُ وَقْعٌ مِنَ الثُّعْبَانِ يَسْمَعُهُ

38 ـ وَيَظَلُّ يَرْكَبُ أَنْفَهُ عَرَصاً بِمَبِيتِهِ طَوْراً وَيَتْبَعُهُ

(*) لاحظ الانتقال في هذا البيت من وصف الغيث إلى وصف الراحلة من دون رابط لفظي أو معنوي، وهو ما يؤكد لدينا ما تعرضت له رواية هذه القصيدة من اضطراب كان من نتائجه سقوط مقطع منها ما بين البيت 18 والبيت 19.

رفع المسهم

39 ـ وَأفَاقَ بَعْدَ النَّحْسِ طَائِرُهُ ... وَجَلاَ ظَلاَمَ اللَّيْلِ يَقْشَعُهُ

40 ـ فَغَدَا كنصْلِ السَّيْفِ مُضْطَمِراً ... وَحشاً بِظِهْرِ الغَيْبِ يَسْمعُهُ

41 ـ فَكأنَّ سُنْدُسةً لَهَا كَنَفٌ ... جِيبَتْ بِحَيْثُ الرَّوْقُ يَرْفَعُهُ

42 ـ فَغدا لهُ من سِنْبِسٍ (8) لحِمٌ ... كالسيِّدِ صَعْلُ الرَّأسِ أَصْمَعُهُ

43 ـ مُتَقَلِّداً قَوْساً وَأرْشِيَةً ... وَالنَّبْلُ فِي قَرْنٍ يُقعْقِعُهُ

44 ـ مَعَهُ ضَوَارٍ مِنْ سَلُوقَ لَهُ ... طَوْراً تُعانِدُهُ وَتتْبعُهُ (9)

45 ـ أشْلاَؤُها فإذَا سَبَقْنَ مَعاً ... وَعدَا وَقُورُ القلْبِ أَصْمعُهُ

46 ـ دُونَ المُجِدِّ وَفوْقَ مَهْزِلِهِ ... مُسْتَغْرِزٌ لِلْكرّ مُزْمِعُهُ

47 ـ فَلحِقْنهُ هُبَّى وَقدْ طَمِعتْ ... غَضْبان ثَانِي الجِيدِ أخْضَعُهُ

48 ـ يَنْحُو لَهَا الرَّوْقَيْنِ عَنْ سَرَبٍ ... صَدْقٌ بِجَلْحِ الطَّعْنِ مُسْرِعُهُ

49 ـ فَتَرَى لَهَا طَمَعاً فَتَرْكَبُهُ ... والمَرْءُ أحْمَرُ حَيْثُ مَطْمَعُهُ

50 ـ فَلَهُ بَرَاثِنُ بَيْنَهَا وَبِهَا ... نَضْحٌ مِنَ الأَجْوَافِ تَدْسَعُهُ

51 ـ وَرَأى المُكَلَّفُ طَيْرَهُ بَرَحَتْ ... نَحْساً وَلاَقَى المَوْتَ أجْدَعُهُ

52 ـ وَتَرَمَّلَتْ بِدَمٍ قَدَامَاه (10) وَقَدْ ... أوْفَى اللِحَاقُ وَحَانَ مَصْرَعُهُ

53 ـ وَمَضَى عَلَى صَدْرٍ كَأنَّ بِهِ ... جِنًّا يَطِيفُ بِهِ وَيَنْسَعُهُ

54 ـ كَالكَوْكَبِ الدُّرِيّ مُسَّدِلاً ... سَدّاً كَحِسّ النَّارِ مَقْمَعُهُ (11)

55 ـ وارْفَضَّ عَنْ أظْلاَفِهِ وَبِهَا ... فِلَقُ الحَصَى وَيَطِيرُ يَرْمُعُهُ

56 ـ مُسْتَقْبِلاً وَجْهَ الشَّمَالِ لَهُ ... زَجَلٌ عَلَى رَوْقَيْهِ يَقْرَعُهُ

57 ـ وَكَأنَّمَا جَهَدَتْ أَلِيَّتُهُ ... ألاَّ تَمَسَّ الأَرضَ أرْبَعُهُ (12)

58 ـ وَيْلَ أمِّهِ حَمِشاً بِصَعْدَتِهِ ... وَمُوَائِلاً إذْ جَدَّ مَفْزَعُهُ

59 ـ وَمُلَعَّنٍ يَنْأى بِسَافِيَةٍ ... غُفُلِ الصُّوَى حَذْبٍ مُجَعْجَعُهُ

60 ـ سُدْمٌ مَنَاهِلُهُ تَهِيمُ بِهِ ... سِرْبُ القَطَا الجَوْنِيِّ مَوْقِعُهُ

61 ـ نَفَرَتْ عَلَى أرْجَاءِ مَنْهَلِهِ ... خُلُطاً مِنَ الوُرَّادِ يَجْمعُهُ

رفع المسهم

62 ـ وَاللَّيْـلُ قَـدْ أَلْقَـى بَـوَانِيَـهُ والصُّبْـحُ ذُو طُـرُقَيْـنِ مَقْنَعُـهُ

63 ـ فَكَشَفْتُ عَـنْ ذِي جَمّـةٍ عُصُباً تَنْـزُو عَلَـى بَـرَّيْـهِ ضَفْـدَعُـهُ

64 ـ فَثَنَـى لَـهُ الـرُّكْبَيْـنِ ثُـمَّ حَنَـا فَـاسْتَـدَّ بِـالعَلْبَـاءِ أَخْـدَعُـهُ

65 ـ وَكَـأَنَّمَـا ارْتَجَسَـتْ مَـلاَغِمُـهُ بِـالصَّخْـرِ هَـذَا المَـاء يجْـرَعُـهُ

66 ـ «فنحـا إلـى الحيـزوم فنحـا الضفيـر وكـاد يقطعـه» (1)

67 ـ فَحَمَيْـتُ مُقْلَتَـهُ وَقَـدْ وَهَمَـتْ دَلْواً يَصَـبُّ بِـهِ وَيُمْنَعُـهُ

68 ـ وَغَـدَا لَـهُ بِـالبِيـدِ خَطْـرَفَـةٌ مُتَـرَغِّمـاً غَضْبَـانَ أَقْـدَعُـهُ

69 ـ تَكْسُـو مَشَـافِـرَهُ مُكـرَّرَةٌ هَـذّاً يَطِيـرُ عَلَيْـهِ خُـرْفُعُـهُ

70 ـ «وَعُـدُولَـةٍ عُنُـدٍ مُبَـرَّكَـةٍ حيـران يعـوي حيـث مشرعـه» (13)

التخريـج:

ـ المنثور والمنظوم/ قسم القصائد المفردات التي لا مثيل لها: (ص 109 ـ 113) وبه تمام القصيدة (1 ـ 70)، وهو الأصل المعتمد.

ـ كتاب الزهرة ج 2 ص 239 ـ 240 (22، 56 ـ 57).

ـ كتاب الحيوان ج 2 ص 22 (البيت 52 معزواً لِضابىء بن الحارث) وص 35 (البيت 57 بدون عزو) وص 198 (البيت 44 معزواً للقطامي مع إشارة المحقّق إلى أنه لَم يجدْه في الديوان).

ـ كتاب التشبيهات ص 38 (البيت 57).

ـ كتاب الصناعتين ص 82 (54، 57).

ـ المنصف في نقد الشعر: ص 80 (57).

ـ ديوان المعاني ج 2 ص 134 (57).

ـ حلية المحاضرة ص 90 (البيت 57).

ـ الأنوار ومحاسن الأشعار ص 157 (52).

رفع المسهم

ضبط النص واختلاف الرواية:

1 ـ لم نقف على وجه مرضيّ في قراءة هذا البيت فتركناه مُرْسلاً بدون ضَبْط.

2 ـ في الأصل «السّيْر» ولا معنى له، ولعلَّ الصواب ما أثبتنا، وبه يتمّ المعنى وهو قَوْل الشاعر بأنّ شِعرَه إنّما هو مِنْ وحْي مَشْهدِ الظّعْن هذا.

3 ـ في الأصل: «ألاَ» ولا معنى للتحضيض هنا، مع ما في ذلك من «وَقْص» (حذف الثاني المتحرّك من تفعيلة الكامل). ولعلّ الصواب ما أثبتْنا إذْ أنّ معنى السّراب أو ما إليه ممّا يَتَوَافَقُ تماماً والسياق بل ممّا يزيد في طرافة الصُّورة. لاحظ، إلى هذا، القرابة بين هذا البيت والبيت 9: فكأنّ هذا صدًى لذاك.

3 مكرر ـ هكذا ضبطه الدكتور محسن غياض مُحقّق «القصائد المفردات...» وعلّق عليه بقوله: «في البيت وصفٌ للثغر بالجمال وحلاوة الريق وطيب النكهة. ومردعه: فيه أثر الطيب». ونحن لا نرى وجهاً لما ذهب إليه المحقّق والبيت مختلُّ الوزن والتركيب.

4 ـ قطن: جبل لبني أسد (معجم البلدان/ أوروبا: ج 4 ص 138).

5 ـ نقص بالصدر يتعذَّر معه ضبطُ النّص.

6 ـ بالأصل «فروع» وهو تحريف، والصواب ما ورد في كتاب الزهرة، وهو ما أثبتنا.

7 ـ بياض في الأصل لا يختلّ معه السياق (فالشاعر هنا يواصل وصف بعيره متحدثاً عن الحجر الصلد كيف شقّق منسمَه...).

8 ـ سِنْبِس: قبيلة من طي (جمهرة أنساب العرب ص 402).

9 ـ الحيوان: «وتنفعه».

10 ـ الحيوان: «وتَرمّلتْ بدَم قَدَام وَقَدْ...» وهي رواية أفضلُ لبقائها على نفس العروض (فَعِلُنْ) ـ و «قَدَامِ» هنا من أسماء الكلاب كما نبّه إلى ذلك الجاحظ.

رفع المسهم

11 ـ كتاب الصناعتين: روي البيت كما يلي:

كـــالكـــوْكـــبِ الـــدُّرّيِّ مُنصلِتـــاً شـــدّاً يفُـــوتُ الطّـــرْفَ أسْـــرَعُـــهُ

12 ـ أورد صاحب كتاب الزهرة هذا البيت والبيت السابق والبيت 22 فيما اختاره من القول في صفات الخيل، وقدْ وَهمَ في ذلك لأنّ الغرَضَ هنا يتعلّق بوصف الثّور.

13 ـ نلاحظ انفصاماً في نسق المعنى بين الصّدر والعجز، لذلك تركنا البيت مرسلاً بدون ضبط.

رأي في العينيّة

نُشِرتْ هذه القصيدةُ لأوّل مرّة سنة 1977 ضمن «القصَائِد المُفْردات التي لاَ مثلَ لها»[1] لمؤلّفها طَيْفور بتحقيق الدكتور محسن غيّاض[2]، وقد أشار المحقّقُ إلى ما لقيه من معاناة في ضبط النّص من جرّاءِ كثرة التّصحيف والتّحريف، ووقفْنا على ذلك، وحاولنا قدْر الجهْد مراجعةَ ما أمكنَ مراجعتُه. ومع ذلك فالنصُّ الذي نقدّمه اليومَ لا يخْلو في أكثرَ منْ موطن من خللٍ جرّ إليه ما يتخلّلُ القصيدةَ من بياض، وما سقط عنها من أبيات (ما بين البيت 18 والبيت 19)، وما تعرّض لهُ ترْتيبُها من ارْتباك، وما عجزَ النسّاخُ عن تقْويمه من ضروب التّصحيف والتّحريف هُم أكّدُوها أو ذهبوا في تخْريجها مذاهبَ شتّى. ثمَّ إن القصيدةَ ممّا انفرد طيْفور بروايته باستثناء أبياتٍ قلائلَ وردتْ متفرقةً في كُتب الأدب وأشرْنا إليها في مواضعها، فبقيتْ على هامش مدونَّةِ الشّعر العربي

(1) وهو جزء من ثلاثة أجزاء وصلتنا من كتاب «المنظوم والمنثور» الذي يعد أربعة عشر جزءاً. وقد طبع الجزء المتعلق ببلاغات النساء وكذلك القسم الخاص بمفردات الرسائل (وهذا الجزء الأخير ورد مفرقاً في جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت).

(2) بيروت ـ باريس (دار عويدات) 1977، وهي نشرة لها فضل السبق إلا أنها في حاجة إلى مزيد من الإثراء (والمراجعة)، نظراً لما يكتسيه النص من قيمة تراثية فريدة تتمثل في احتفاظه بجملة من القصائد تفرد طيفور (توفي 280هـ) بروايتها ولا أثر لها في مجاميع الشعر ومظان الأدب القديم.

رفع المسهم

تتنَاقلُها الأيدي في نُسَخٍ قليلة ولا شكَّ، يُرَدّدُ جميعُها الروايةَ الواحدةَ، وانْعَدَمتْ بذلك سُبُلُ المقارنة، وتيسّرَ للنّسخ أن يعْملَ فيها عَمَلَه. نُضيف إلى هذا أَنَّ تعَدُّدَ أغراض القصيدة وتداخُلها أحياناً ممّا يَسّر سُبُلَ الارتباك في شأنها لَدى أصْحاب الاختيار، وهو ما حمل صاحبَ كتاب الزهرة مثلاً على الوَهْم كما ذكرنا في باب التّخريج[1]. والقصيدةُ تَنْدرج في باب الطرديّات، اسْتَهلّها الشاعرُ بالنّسيب (الأبيات 1 ـ 15) ثم تخلّصَ إلى وصْف الغَيْثِ (الأبيات 16 ـ 18) فالرَّاحلةِ (الأبيات 19 ـ 25) فالثّوْرِ (الأبيات 26 ـ 41) فالصَّيادِ والقوْس والكلابِ والمُطَارَدَةِ (الأبيات 42 ـ 58) ثمَّ خَتَمَهَا بذكْر مناهلِ الماء وَوَصْفِ الرَّاحلة عند الوُرُود (59 ـ 70). وهي كما ترى، أغراضٌ لا يخرجُ فيها خلَفٌ عن مجالات التّصوّر التي أقرَّتْها ثقافةُ البادية، وإنْ هُو اسْتَقْصَى بعضَها (مشهد الصيد ومطاردة الكلاب للثور) وأضْفَى عليه من معاني العُنْف والقَسْوَة والعِدَاء ما ألْفَيْناه في غَيْر هذه القصيدة من أراجيز الشاعر في ذَوات السّوامّ[2]. ومع ذلك فالقصيدة تُعدّ من النوادر، ولَعَلَّ مَصيرَها كان مصيرَ شِعْر خَلَفٍ عامةً، اشْتَبَه أمرُها على المعاصرين لِمَا تَعلّقَ بصاحبها من شُبُهات النّحل فقَلَّ شيوعُها، وأدركَ ذلك طيفور أحدُ أعلام التدوين في القرن الثالث، فتداركها وأدرجها ضمن قصائده المختارة.

* * *

والقصيدةُ إلى هذا كله مِنَ الفَرائِدِ حقّاً، إذَا أَنْتَ نَظَرتَ في بَحْرها وَرَوّيهَا، ناهيك أنك لا تكاد تعْثر في أُمّهات الأصول كالأصمعيات والمفضّليات وجَمْهرة أشعار العرب والاختياريْن[3] وسائر كتب الحماسة[4] وكتاب الأغاني،

---

(1) أدرج ابن داود (توفي 297هـ) بعض أبيات هذه القصيدة في سياق ذكره لصفات الخيل في حين أن الغرض يتعلق بوصف الثور.

(2) في هذا ما يكشف عن جانب من شخصية الشاعر، فنحن نعلم أن خلفاً كان سيء الظن بمعاصريه، كثير الازدراء بهم، «ضنيناً بأدبه» على حد قول الأنباري في نزهة الأنباء (ص 35)، فلا غرابة إن انطوت نفسه على مثل هذه المعاني تجد في ذكر مشاهد الصيد الدامية ووصف ذوات السوام القاتلة مجالاً للتعبير عن مقاصدها الدفينة (انظر القصائد: 8 و 9 و 12 و 21 و 24 حيث يدعو ربه ليصبّ على خصومه عذاب السموم).

(3) كتاب الاختيارين للأخفش الأصغر (توفي 315هـ): انظر هذا الجزء ص 54 الهامش 4.

(4) نذكر هنا ببعض ما نشر في طبعة أولى خلال السنوات العشرين الأخيرة من كتب الحماسة =

رفع المسهم

على قصيدة واحدة تَجْري على مِثْل هذا البحْر وَهذا الرّوي ولَها هذا الإيقاع. ولعلّه تكون لنا عودة إلى هذا الأثر لمراجعة تحقيقه ودراسته، حالما نتحصّل على جملة المخطوطات التي احْتفظتْ بها خَزَائنُ لَنْدَنْ والقاهرة لِقسم الشّعر من كتاب المنظوم والمنثور[1].

ـ 8 ـ

المقصُورة الصّغرى

[الكامل]

1 ـ صَبَّ الإلَهُ عَلَى عُبَيْدِ حَيّةً ... لاَ تَنْفَعُ النّفَثَاتُ فِيهَا وَالرُّقَى

2 ـ جَبَليّةٌ تَسْرِي إذَا مَا جَنّهَا ... لَيْلٌ وَتَكْمُنُ بِالنّهَارِ فَمَا تُرَى

3 ـ مَهْرُوتَةُ الشِدْقَيْنِ يَنْطُفُ نَابُهَا ... سُمّاً تَرَى مَا إنْ يُهَابُ وَيُتّقَى

4 ـ خضِرَتْ لها عُنُقٌ وَسَائِرُ خَلْقِهَا ... بَضٌّ يبِينُ كمِثْلِ مِصْباحِ الدُّجَى

5 ـ وكأنّما لَبِستْ بأعْلى لوْنِها (1) ... بُرْداً مِنَ الأثْوَابِ أنْهجَهُ (2) البِلى

6 ـ رَقْشَاءُ تقْتَصِدُ الطّريقَ إذَا دَنَا ... مِنْهَا المساءُ كأنّهَا ثِنْيَا رِشا (3)

7 ـ قرْناءُ أنْسَاها الزّمانُ فأدْرَكتْ ... عاداً فليْسَ لِنَهْشِهِ مِنْهَا شفا (3)

8 ـ أوْحيّةً ذَا طُفْيَتَيْنِ أحلّهُ ... آبَاؤُهُ في شَامِخٍ صَعْبِ الذُّرَى

= والاختيار، ومنها ما لا غنى عنه للباحث في نصوص التراث:

ـ الحماسة البصرية للبصري، حيدر أباد الدكن، 1964.

ـ حماسة الخالديين أو الأشباه والنظائر، القاهرة، الجزء الثاني 1965.

ـ حماسة الظرفاء للعبد لكاني، بغداد 1973 (ج 1).

ـ التذكرة السعدية في أشعار العربية للعبيدي، بغداد 1972 (ج 1).

ـ قطب السرور للرقيق، دمشق 1969.

ـ الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي، بغداد، 1967.

(1) انظر ملاحظاتنا حول نصوص التراث المخطوطة المودعة في الخزائن العامة وما قد يتعرض له الباحث من عقبات كثيراً ما تحول دون الوقوف عليها أو مجرد اقتناء مصورات منها (انظر القسم الأول من هذا العمل: ص 103 ـ 104).

رفع المسهم

9 ـ فَنَشَا (4) بغَار مُظْلِمٍ أَرْجَاؤُهُ لاَ الرِيحُ تُصْرِدُهُ وَلاَ بَرْدُ الشَّتَا

10 ـ لَمْ تَغْشَهُ شَمْسٌ وَحَالَفَ قَعْرَهُ فَنَهَارُهُ وَمَسَاؤُهُ فيهِ سَوَا (3)

11 ـ لَوْ عَضَّ حَرْفَيْ صَخْرَةٍ لَتَطَايَرَتْ مِنْ نَابِهِ فَلَقاً كَأَفْلاَقِ النَّوَى

12 ـ أَوْ حَالِكاً أَمَا النَّهَارُ فَكَامِنٌ مُتَطَرِّقٌ فَإِذَا رَأَى لَيْلاً سَرَى

13 ـ في عَيْنِهِ قَبَلٌ (5) وَفِي خَيْشُومِهِ فَطَسٌ وَفِي أَنْيَابِهِ مِثْلُ المُدَى

14 ـ يَلْقَى عُبَيْداً مَاشِياً مُتَفَضِّلاً مُتَخَلِّقاً قَدْ مَلَّهُ طُولُ السُّرَى

15 ـ فِي لَيْلَةٍ نَحْسٍ يَحَارُ هُدَاتُهَا لاَ لاَبِساً خُفًّا يَقِيهِ وَلاَ حِذَا (3)

16 ـ فَيَحُوصُهُ فِي كَعْبِهِ بِمُذَرَّبٍ مَاضٍ إِذَا أَنْحَى عَلَى عَظْمٍ فَرَى

التخريج:

- نور القبس ص 78. (وهو المصدر المعتمد).
- البرصان والعرجان ص 273 بدون عزو (البيت 13).
- نهاية الأرب في فنون الأدب ج 10 ص 143 (5، 13).

ضبط النص واختلاف الرواية:

1 ـ نهاية الأرب: «أَعلَى جِسْمِهَا».

2 ـ في الأصل: «أَنْعَجَهُ» وهو تحريفٌ، والصواب ما أثبتنا استناداً إلى نهاية الأرب. و «أَنْهَجَهُ» بمعنى أَخْلَقَهُ وأَبْلاَهُ.

3 ـ لاَحِظْ سقوطَ الهمزة وهو ممّا يجوز للشاعر في الضرورة.

4 ـ لاَحظ تخفيف الهمزة وهو أيضاً ممّا يجوز للشاعر في الضرورة.

5 ـ البرصان والعرجان: «حَوَلٌ».

رأي في المقصُورة

هذه القصيدةُ ممّا تفرّد المَرْزُبَانِي بروايته غيرَ بَيْتَيْن وَرَدَا في «نهاية الأرب»، وهي تندرج في سياق مجموعة من القصائد والمُقَطّعات احْتَفَظَ بها كتاب «المُقْتبس»

رفع المسهم

وأدرجناها ضمن هذا المجموع، أجْرَاها خَلَفٌ على نَسَقٍ واحدٍ مِنْ حيثُ البناءُ، ونَهَجَ فيها منحًى خاصّاً من حيثُ الغرضُ، وطرافتُها تَكْمُنُ في أنّ الشّاعر ـ إذْ يَهْجُو أشخاصاً لا نَعْلَمُ عنهم شيئاً سوى أنّهم من «المُتَأَثِّمِينَ» «المُذْنِبِينَ» «الكَذَّابِينَ» «الأدْعِيَاءِ» ـ يَخْرُجُ بالهجاء عن أنْمَاطِهِ المألُوفة لِيُقَدّمَ لَنا لوْحاتٍ لا تَتَعَلَّق أَصْبَاغُهَا بذاتِ المَهْجُو بقَدْرِ ما تَتَعلّقُ بذواتِ السّوامّ من أفاعٍ وعقَارِبَ ورتَيْلَى، يَصفُها وصَف العارفين، ويَبْعَثُ بها في لَمْحَةٍ خاطِفَةٍ على مَهْجُوّيهِ «تأْخُذُهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ وَمِنْ عَلِ» (المقطوعة21) و «تَأكلُ مِنْ لَحْمِهِمْ وتَشْرَبُ (القصيدة 12) وتُذِيقُهُم مِنَ العَذاب ما «يَحُوصُ فِي الكَعْبِ» و «يَفْري العَظْمَ» (القصيدة 8) و «يَظل منْهُ اللّحمُ مُقَسّماً» (القصيدة 22).

ففي هذه القصيدةِ مثلاً ـ وهي تَحْتَوي على سِتّةَ عشرَ بيْتاً ـ يقُوم البناءُ على جُملةٍ نَحويّة مركبّة وَاحِدَة: «صَبَّ الإلهُ على عُبَيدٍ حَيّةً... تَلْقَاهُ... فِي لَيْلَةِ نَحْسٍ... فَتَحُوصُهُ...». وهذَا البناءُ من شأنِهِ أنْ يَجْعَلَ مُخْتَلِفَ العناصر تنتظمُ انْتِظَاماً يَخضَعُ لقاعدة التَّسَلْسل الأُفقِيّ مع إمْكَان تَفْريع كلّ عنصر رُكْنِيّ إلى عناصر جُزئيّة مِمَّا يَنْجُمُ عنه تبسّطٌ في ذكْر الأوصاف والأحوال لا يَنْتَفِي معه التّطَالُبُ الشديدُ بين عنْصرٍ وما يجاورُهُ، أَيْ بين الحيّة الموجّه لها دعاءُ الشاعر في البيت الأول وما ذُكِر من أوصافها في الأبيات (2 ـ15) وانْصِبَابها على المَهْجوّ في البيت 16 والأخير. ومن هذه الناحية يُبرهن خلف على مقدرته الفَنيّة وحُسْنِ تَصرُّفه في أساليب الخطاب. أمّا من حيث الغَرض فَبيّنٌ أنّ خلفاً إنّما أراد العبْثَ بمهجّوه، وقدْ حَمّلَ ذلك من روحه الفَكِهَةِ الساخِرة ما تميّزتْ به جملةٌ من قَصائده. فهْو يُوهِمُنَا ـ وقد خصَّ مَهْجُوَّه في مطلع القصيدة بمُجَرَّدِ إشارة خَاطفةٍ تخلّص إثرَهَا إلى وصفٍ مُستَفيضٍ للحيّةِ ـ بأنَّ الغرضَ يتعلّق أَسَاساً بوَصْف ذوات السّوامّ كَعَهْدِنا به في كثير من شعره. إلا أننا نُدْرك بعد مُضِيّ ثَلاَثَة عشر بيتاً، وقد أشرفْنا على نِهَاية القصيدة، بأنَّ القَصْدَ إنّما هو العَبْثُ

رفع المسهم

بصاحبه ينْهَالُ عليه بأَفْعَاهُ الدَّاهِيةِ، النَكْرَاء، الهَوْل، لِتَجدَه حَافياً، أعزلَ، تَائهاً في ليلةِ نَحْس، فتَكْشِف عن حَقيقَتِهِ رَجُلاً «متخَلّقاً» يتكلّف ما لَيْس من خُلُقِه، «متفضّلاً»، يدَّعي مَا ليْس لهُ من الفَضْل. وإنَّ في هذا الالتحام بين الأفْعى والشّاعر الهَاجي ما يكشفُ عن وَجْهٍ من وجُوهِ خَلَف (وقد أشرنا بعْدُ إلى ذلك بمناسبة القصيدة 2)، وهو الرَّجلُ الذي تَنْطوي نفْسُه على مَعَاني العِدَاء والعُنْف والقَسْوة فَيجِدُ مجَالاً للتّعبير عن ذلك فِي ذِكْر ذواتِ السّوامّ يصبُّ جَام عَذَابِهَا عَلى عيُوبِ عَصْره، نَاحِياً في ذلك مَنْحى الحَضَر فيما اصطنَعوه قَدِيماً وحديثاً من أَساليبَ للدّعاء تتلخّصُ في تَرْدَاد عِباراتٍ بعَيْنِهَا. وما العبارة التونسية «يَعْطِكْ عَقْرَبْ» أو «يَعْطِكْ لَفْعَهْ». تَتَردَّد على أفواه الحَضَر إلاّ ترجيعاً لعبارة خَلَفٍ التي صَدَّرَ بهَا هذه القصيدة وجُملَةً من القصائد التي ذكرناها في سياق هذا التّعليق.

رفع المسهم

الباب الثّاني

سائر شعر خلف

رفع المسهم

ـ 9 ـ

قال يصف حيّةً:

[الوافر]

1 ـ يَرَوْنَ المَوْتَ دُونِي (1) إنْ رَأَوْنِي ... وَصِلَّ صَفاً لِنَابَيْهِ ذُبَابُ

2 ـ منَ المُتَحَرِّمَاتِ (2) بكَهْفِ طَوْدٍ ... حَرَامٍ (3) مَا يُرَامُ لَهُ جَنَابُ

3 ـ أَبَى الحَاوُون أنْ يَطَئُوا حِمَاهُ ... وَلاَ تَسْرِي بِعَقْوَتِهِ الذِّئَابُ

4 ـ كَأَنَّ دَماً أُمِيرَ عَلَى قَرَاهُ ... وَقُطْرَاناً أُمِيرَ بِهِ كُبَابُ

5 ـ إذَا مَا اسْتَجْرَسَ الأَصْوَاتَ أَبْدَى ... لِسَاناً دُونَهُ المَوْتُ العُبَابُ

6 ـ يَظَلُّ نَهَارَهُ نَوْماً سُبَاتاً ... وَنَزْوَتُهُ طُمُورٌ وانْسِيَابُ

7 ـ إذا مَا اللَّيْلُ أَلْبَسَهُ دُجَاهُ ... سَرَى أَصْمَى تَصِيحُ لَهُ الشِّعَابُ

8 ـ كَأَنَّ جَرَادَةً نَشَرَتْ عَلَيْهِ ... جَنَاحاً فَارْتَدَى مِنْهَا الحُبَابُ

9 ـ مَتَى مَا يَرْمِ عَنْ عَيْنَيْهِ شَخْصاً ... فَلَيْسَ إِلَى الحَيَاةِ لَهُ إِيَابُ

التخريج:

- الحيوان ج 4 ص 279 ـ 280 (1 ـ 5، 7) وهو المصدر المعتمد.
- نور القبس ص 77 (1 ـ 3، 5 ـ 6، 8 ـ 9).

اختلاف الرواية:

1 ـ نور القبس: «دُونَكَ»، وهو تحريف يختلُّ معه المعنى.

2 ـ نور القبس: «من المُتَطَوّيَاتِ».

3 ـ نور القبس: «عُرَام».

4 ـ الحيوان: «الضَّبابَ» ولا معنى له، ولعلّه «الصّهاب» كما أشار إلى

رفع المسهم

ذلك المحقق في الذيل. وفضّلنا روايةَ نور القبس.

ـ 10 ـ

[الرَّجز](*)

1 ـ يَـا أَيُّهَـا اللّيْـلُ الطّـوِيـلُ ذَنَبُـهْ
2 ـ كَـأَنَّ دَيْنـاً لَـكَ عِنْـدِي تَطْلُبُـهْ
3 ـ أَمَـا لِهَـذا اللّيْـلِ صُبْـحٌ يَقْـرُبُـهْ

التخريـج:

نور القبس ص 79.

ـ 11 ـ

[الطويل]

1 ـ أَتَـانِـي أَخٌ مِـنْ غَيْبَـةٍ كَـانَ غَـابَهَـا وَكُنْـتُ إِذَا مَـا غَـابَ أَنشُـدُهُ رَكْبَـا
2 ـ فجَـاءَ بِمَعْـرُوفٍ كَثِيـرٍ فَـدَسّـهُ كَمَادَسَّ رَاعِي السوءِ فِي حِضْنِهِ الوَطْبَا (1)
3 ـ فَقُلْـتُ لَـهُ هَـلْ جِئْتَنِـي بِهَـدِيّـةٍ فَقَالَ بِنَفْسِي قُلْتُ أَتْحِفْ بِهَا الكلْبَا (2)
4 ـ هِيَ النَّفْسُ لاَ أَرْثِي لَهَا [مِنْ] (3) بليّةٍ (4) وَلاَ أَتَمَنّـى أَنْ رَأَيْـتُ (5) لَهَـا قُـرْبَـا

التخريـج:

ـ عيون الأخبار ج 3 ص 36 وهو المصدر المعتمد.
ـ محاضرات الأدباء: ج 1 ص 259.

اختلاف الرواية:

1 ـ المحاضرات: وَطْبَا.
2 ـ المحاضرات: أطعَمْتُهَا الكَلْبَا.

(*) قال هذا الرجز في مرض موته (نور القبس).

رفع المسهم

3 ـ تكملة يقتضيها المعنى والوزن وتؤكّدها روايةُ المحاضرات.

4 ـ المحاضرات: مُلِمّة.

5 ـ المحاضرات: إنْ نَأَيْتُ.

ـ 12 ـ

[الرَّجز]

1 ـ يَـا رَبَّنَـا رَبَّ الشَّمَـالِ وَالصَّبَـا ... وَمَـنْ سَعَـى بـالْبَيْـتِ أوْ تَحَصَّبَـا

2 ـ ابْعَـثْ لَـهُ تَحْـتَ الظَّـلاَمِ عَقْـرَبَـا ... مُصْفَـرَّةً تَنْمِـي إلَيْـه خَبَبَـا

3 ـ تَسُـلُّ مَحْجُـوباً نَحيفـاً نيْـرَبـاً ... أَكْلَـفَ لَـوْ مَسَسْتَـهُ لأَنْـدَبَـا

4 ـ كَـأَنَّمَـا تَمَـسُّ منْـهُ حَـرِبَـا ... حَتّـى إذَا خَـالَطْتَـهُ (1) فَضَـرَبَـا

5 ـ أَتَـاكَ مِنْـهُ سَـائِـلاً مُحَبَّبَـاً ... فَـإِنْ نَجَـا فَـابْعَـثْ إلَيْـهِ القُـرْطُبَـا

6 ـ يَمُـرُّ (2) يَفْـرِي سَبْسَبـاً فَسَبْسَبَـا ... مُصَعِّـداً (3) دِمَـاغَـهُ مُصَـوّبَـا (4)

7 ـ وَآكِلاً (5) من لَحْمِهِ وشَارِبَا (6) ... جَـزَاءَ خَطَّـابٍ بِمـا تَحَـوَّبَـا

التخريـج:

نور القبس ص 79/ تحقيق المستشرق الألماني زلهايم.

ضبط النص:

1 ـ في الأصل: «خَالَطَهُ» وهو تحريف صوّبناه حسب ما يقتضيه معنى البيت.

2 ـ في الأصل: «فَمَرَّ» وهو تحريف.

3 ـ في الأصل: «فصعّدا» وهو تحريف واضح لم يهْتَدِ إليه المحقّق «زلهيام».

4 ـ في الأصل: «وَصَوَّبَا» وهو تحريف كذلك.

5 ـ في الأصل: «وَأَكَلاَ» وهو تحريف كذلك.

6 ـ في الأصل: «شَرِبَا» وصوابُه شَارِبَا.

رفع المسهم

ـ 13 ـ

قال خلف يهجو أبا العتبي[1]:

[المتقارب]

1 ـ لَنَا صَاحِبٌ مُولَعٌ بِالخِلَافِ ... كَثِيرُ الخَطَاءِ قليلُ الصَّوَابِ

2 ـ أَشَدُّ (1) لَجَاجاً مِنَ الخُنْفُسَاءِ ... وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غُرَابِ

3 ـ إِذَا ذَكَرُوا عِنْدَهُ عَالِماً ... رَبَا حَسَداً أَوْ رَمَاهُ بِعَابِ

4 ـ وَلَيْسَ مِنَ العِلْمِ فِي كَفِّهِ ... إِذَا ذُكِرَ العِلْمُ غَيْرُ التُّرَابِ

5 ـ أَضَالِيلُ جمّعَهَا شوْكَرٌ[2] ... وَأُخْرَى مُوَلّدَةٌ لِابْنِ دَابِ[3]

التخريج:

1 ـ الأوراق/ قسم أخبار الشعراء ص 35، وهو المصدر المعتمد.

2 ـ الحيوان ج 3 ص 500 (1 ـ 2) ج 6 ص 469 البيت 2 مكرر.

3 ـ فصل المقال للبكري ص 492 (1 ـ 2) في هجاء أبي عبيدة معمر بن المثنّى.

4 ـ مجمع الأمثال ج 1 ص 327 (1) في هجاء العتبي.

5 ـ معجم الأدباء ج 16 (1 ـ 2، 4 ـ 5) في هجاء محمد بن عبيد الله أبي العيناء[4].

---

(1) هو عبيد الله بن عمرو... بن عتبة (نور القبس ص 191)، وله أخبار مع أبان بن عبد الحميد وخلف الأحمر (أخبار الشعراء ص 34 ـ 35)، وقد خلط عبد السلام هارون (الحيوان ج 1 ص 54 / الذيل) بينه وبين ابنه أبي عبد الرحمن محمد بن عبيد الله... أحد الأخباريين من أهل العصر (توفي 228هـ).

(2) شوكر: «شاعر بالبصرة يضع الأخبار والأشعار» (معجم الأدباء ج 16 ص 161 نقلاً عن ابن المعتز عن عمر بن شبه).

(3) أبو دأب: ممن عاصر خلف من الرواة «وكان يتشيع ويضع أخباراً لبني هاشم وكان خلف ينسبه إلى الكذب» (معجم الأدباء ج 16 ص 160 ـ 162).

(4) وهم ياقوت في ذكره أبا العيناء (ولد 191 ولم يدركه خلف) ومحمد بن عبيد الله المذكور إنما هو العتبي كما ورد في رواية الصولي.

رفع المسهم

6 ـ حياة الحيوان الكبرى ج 1 ص 541 (1 ـ 2) في هجاء العتبي.

7 ـ بهجة المجالس ج 1 ص 440 (1 ـ 2).

اختلاف الرواية:

1 ـ مجمع الأمثال، وحياة الحيوان وبهجة المجالس «أَلَجُّ».

ـ 14 ـ

[الرجز]

1 ـ أَفْعَـــى رَخُـــوفُ العَيْـــنِ مِطْـــرَاقُ البُكَـــرْ

2 ـ دَاهِيَـــةٌ (1) قَـــدْ صَغُـــرَتْ مِـــنَ الكِبَـــرْ

3 ـ صِـــلُّ صَفـــاً (2) مَـــا يَنْطَـــوِي (3) مِـــنَ القِصَـــرْ

4 ـ طَـــوِيلَـــةُ الإِطْـــرَاقِ مِـــنْ غَيْـــرِ حَسَـــرْ(5)

5 ـ كَـــأَنَّمـــا قَـــدْ ذَهَبَـــتْ بِهَـــا الفِكَـــرْ

6 ـ شُقَّـــتْ لهـــا العَيْنَـــانِ طُـــولاً فِـــي شَتَـــرْ

7 ـ مَهْـــرُوتَـــةُ الشِّـــدْقَيْـــنِ حَـــوْلاَءُ النَّظَـــرْ

8 ـ تَفْتَـــرُّ عَـــنْ عُـــوجٍ حِـــدَادٍ كَـــالإِبَـــرْ

9 ـ جَـــاءَ بِهَـــا الطَّـــوفَـــانُ أَيَّـــامَ زَخَـــرْ

10 ـ كَـــأَنَّ صَـــوْتَ جِلْـــدِهَـــا إِذَا اسْتَـــدَرْ

11 ـ نَشِيـــشُ جَمْـــرٍ عِنْـــدَ طَـــاهٍ مُقْتَـــدِرْ

التخريج:

ـ الحيوان ج 4 ص 286 كامل القصيدة باستثناء البيت 8، مع الملاحظة أنَّ الأبيات 2 ـ 5، 9 مكرّرة بدون اختلاف في الرواية ص 119 ـ 120.

ـ ديوان المعاني ج 2 ص 145 (3 ـ 4، 7 ـ 8، 2).

ـ الحماسة الشجرية/ ط. حيدر آباد ص 273 ـ 274 (3 ـ 4، 2، 7 ـ 8) والأبيات معزوّة إلى النابِغَة ولا أثَر لها في ديوانه.

رفع المسهم

- نهاية الأرب ج 10 ص 145 (3 - 4، 2، 7 - 8).

- المخصص ج 8 ص 109 (2 بدون عزو).

اختلاف الرواية:

1 - المخصص: بعد أن أورد روايةَ الأصل، أضاف روايةً ثانية هذا نصها «قال أَبو علي [الفارسي؟ القالي؟]: روايتُه: حَارِيَةٌ» و «الحَارِيَة الأفْعَى التِي كَبُرَتْ ونَقُصَ جِسْمُها وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ رَأْسُهَا وَنَفَسُهَا وسُمُّهَا» (القاموس).

2 - سائر المصادر باستثناء الحيوان: «مَا...».

- 3 - الحماسة: «يَنْتَوِي» وهو تحريف، ولعلّه: يَلْتَوِي كما ذكر المحقّقُ.

4 - ديوان المعاني ونهاية الأرب: «الإطْرَافِ» بالفاء وليس تصحيفاً كما ذهب إلى ذلك عبد السلام هارون.

5 - ديوان المعاني والحماسة الشجرية: «خَفَرْ».

- 15 -

[الرجز]

1 - اِبْعَثْ عَلَى الكَذَّابِ فِي بَرْدِ السَّحَرْ حَيَّةَ غَارٍ فِي مُنِيفٍ مُشْمَخِرّ

التخريج:

نور القبس ص 79.

- 16 -

وهَجا رجلاً كَوْسجاً يقال له مُحْرِزٌ:

[الوافر]

1 - أَمُحْرِزُ مَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ إلاَّ ذَكَرْتُ مِنَ النِّسَاءِ عَجُوزَ لُوطِ

2 - أَرَى شَعَراً بِخَدِّكَ غَيرَ حُلْوٍ شَبِيهاً حِينَ يُمْشَطُ بِالخُيُوطِ

3 - فَمَا شَيْءٌ بِأَشْبَهَ مِنْ عَجُوزٍ إِذَا فَكَّرْتَ مِنْ شَيْخٍ سَنُوطِ

رفع المسهم

التخريـج :

نور القبس ص 77.

ـ 17 ـ

[الطويل]

1 ـ لَـهُ حَنْجَـرٌ رَحْـبٌ وَقَـوْلٌ مُنَقّـحٌ وَفَصْـلُ خِطَـابٍ لَيْـسَ فِيـهِ تَشَـادُقُ

2 ـ إِذَا كَانَ صَوْتُ المَرْءِ خَلْفَ لَهَاتِهِ وَأَنْحَـى بِـأَشْـدَاقٍ لَهُـنَّ شقَـاشِـقُ

3 ـ وَقَبْقَـبَ يَحْكِي مُقْرَمـاً فِي هِبَابِهِ فَلَيْـسَ بِمَسْبُـوقٍ وَلاَ هُـوَ سَـابِـقُ

التخريـج :

ـ البيان والتبيين ج 1 ص 129.

ـ الأشباه والنظائر ج 2 ص 208 (معزوّة إلى خلف يمدح خطيباً).

ـ 18 ـ

[المتقارب]

1 ـ فَلَمّـا أَصَـاتَـتْ عَصَـافِيـرُهُ وَلاَحَـتْ تَبَـاشِيـرُ أَرْوَاقِـهِ

2 ـ غَـدَا يَقْتَـرِي أُنُفـاً عَـازِبـاً وَيَلْتَـسُّ نَـاضِـرَ أَوْرَاقِـهِ

التخريـج :

الحيوان ج 5 ص 228.

ـ 19[1] ـ

[الرجز]

1 ـ قَـدْ طَـرَقَـتْ بِبَكْـرِهَـا أُمُّ طَبَـقْ[2]

(1) أورد الثعالبي في شأن الأبيات الخبر التالي: «قال الأصمعي: أول من نعى المنصور بالبصرة خلف الأحمر، وكنا في حلقة يونس، فجاء خلف الأحمر، فسلم ولم يكن الخبر فشا ثم قال: . . . (الأبيات)، فارتفعت الضجة والبكاء والاسترجاع».

(2) هي الداهية الكبيرة.

رفع المسهم

2 ـ فَنَتَجُوهَا خَبَراً ضَخْمَ العُنُقْ
3 ـ مَوْتُ الإمَامِ فِلْقَةٌ مِنَ الفِلَقْ

التخريج:

ـ ثمار القلوب ص 260 (1 ـ 3).
ـ رسالة الغفران ص 239 (3).
ـ الكامل للمبرّد ج 1 ص 108 (3).

ـ 20 ـ

[الرجز]

1 ـ وَحَيَّةٍ مَسْكَنُهُ الرِّمَالُ
2 ـ كَأَنَّهُ إذا انْثَنَى خَلْخَالُ

التخريج:

نور القبس ص 79.

ـ 21 ـ

[الرّجز]

1 ـ اِبْعَثْ لَهُ يَا رَبِّ ذَاتَ أَرْجُلِ فِي فَمِهَا أَحْجَنُ مِثْلُ المِنْجَلِ
2 ـ دَهْمَاءَ مِثْلَ العَنْكَبُوتِ المُحْوِلِ تَأْخُذُهُ مِنْ تَحْتِهِ وَمِنْ عَلِ

التخريج:

نور القبس 78 ـ 79.

ـ 22 ـ

[الرّجز]

1 ـ اِبْعَثْ لَهُ مِنَ الرُّتَيْلَى سَقَمَا مَذْبُوبَةً تَبْعَثُ فِيهِ أَلَمَا
2 ـ يَظَلُّ مِنْهُ لَحْمُهُ مُقَسَّمَا دَهْمَاءَ مِثْلَ العَنْكَبُوتِ أَيِّمَا
3 ـ لَمْ تُبْقِ بَعْلاً لاَ وَلَمْ تُبْقِ إمَا(ء) (1) جَزَاءَ خَطَّابٍ بِمَا تَأَثَّمَا

رفع المسهم

التخريـج:

نور القبس ص 78.

ضبـط النـصّ:

1 ـ في الأصل: «أينما» وهو تحريف صريح، ولعله ما أثبتنا بِقَصْر الممدود وهو ما يجوز في الضرورة.

ـ 23 ـ

[الطويل]

1 ـ لَـهُ عُـنُـقٌ مُخْضَـرَّةٌ مَـدَّ ظَهْـرِهِ وَشُـومٌ كَتحْبِيـرِ اليَمَـانِـي المـرَقَّـمِ

2 ـ إِلَى هَامَةٍ مِثْلِ الرَّحَى مُسْتَدِيرَةٍ بِهَـا نُقَـطٌ سُـودٌ وَعَيْنَـانِ كَـالـدَّمِ

التخريـج:

نهاية الأرب ج 10 ص 145.

ـ 24 ـ

[الرجز]

1 ـ لاَ هُمَّ[1] إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمْ

2 ـ وَخَـانَنِـي فِـي عِلْمِـهِ وَقَـدْ عَلِـمْ

3 ـ فَابْعَثْ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمْ

4 ـ لُمَيْمَـةً مِـنْ حَنَـشٍ أَعْمَـى أَصَـمْ

5 ـ أَسْمَرَ زَحّافاً مِنَ الرُّقْطِ العُرُمْ

6 ـ قَدْ عَاشَ حَتّى هُوَ لاَ يَمْشِي بِدَمْ

7 ـ فَكُلّمَـا أَقْصَـدَ مِنْـهُ الجُـوعُ شَـمْ

8 ـ حَتّـى إِذَا أَمْسـى أَبُـو عمْـرٍو وَلَـمْ

(1) تخفيف «اللهم».

رفع المسهم

9 ـ يَمَسَّ مِنْهُ مَضَضٌ وَلاَ سَقَمْ
10 ـ قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يقُمْ
11 ـ وَلَمْ يَقُمْ لإِبِلٍ وَلاَ غَنَمْ
12 ـ وَلاَ لِخَوْفٍ رَاعَهُ وَلاَ لِهَمْ
13 ـ حَتّى دَنا مِنْ رَأْسِ نَضْنَاضٍ أَصَمْ
14 ـ فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالقَدَمْ
15 ـ بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كِمْ
16 ـ كَأَنَّ وَخْزَ نَابِهِ إِذَا انْتَظَمْ
17 ـ وَخْزَةُ إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمْ

التخريج:

الحيوان ج 4 ص 283 ـ 284 (كامل القصيدة معزوّة إلى جاهلي).
ج 6 ص 129 (4، 6 ـ 7 مكرّرة دون اختلاف في الرواية).
ج 6 ص 402 (4، 6 مكرّرين دون اختلاف في الرواية).

التعليق:

نشك في كون هذه الأرجوزة لشاعر جاهلي ونرجّحُ نسبتَها إلى خَلَف الأحمر للأسباب التالية:

1 ـ يبْدو أنّ أبا عمْرو الوارد ذكْرُه في الشّطر الأول والشّطر الثامن، وهو مَنْ «خَانَ [الشّاعِرَ] فِي عِلْمِهِ وَقَدْ عَلِمْ»، أَحَدُ رُوَاة بغْداد الأربعة الذين يذْكُرُهُم المَرْزبانِيّ في مُقْتَبَسِه[1].

2 ـ القصيدةُ يتعلّق غرضُها بِرَاوِية يتّهِمهُ الشاعرُ بالكذب وهو ممّا يدْخُلُ في باب مَألُوف التّهاجي بين الرّواة في القرن الثاني. ولنا في هذا

(1) انظر نور القبس ص 269 حيث يقول المرزباني: «ورواة بغداد أربعة: أبو عمرو الراوية والأثرم وابن الأعرابي والطوسي».

رفع المسهم

نموذجٌ لخلفٍ نفسِه (انظر القصيدة 13).

3 ـ القصيدة من حيث نَمَطُها وبناؤها ومنحاها السّاخر تكاد تكون توْأَماً لمجموعة من القصائد قالها خَلَف في هجاء «المتأثِّمين» «الكذَّابين» «الأَدعياء» (انظر القصائد: 8، 12، 21، 22).

ـ 25 ـ

[الرجز]

1 ـ هَـــلاَّ أَتَيْـــتَ بِقُمْـــرِيٍّ أُرَبِّيـــهِ ... أَوْ سَـاق حُـرٍّ إِذَا مَـا شِئْـتُ غَنّـانِـي

2 ـ فَلَيْسَ لِلْبِرّ والتّقْوَى حَجَجْتَ وَلاَ ... مِـنْ خَشْيَـةِ الله يَـا يَحْيـى بْـنَ وَرْدَانِ

3 ـ كُنْت الخَبِيثَ إِذَا شَدُّوا مَحَامِلَهُمْ ... أَيّـامَ مَكّـةَ أَنْـتَ الفَـاسِـقُ الـزَّانِـي

التخريـج:

نور القبس ص 74 ـ 75.

رفع المسهم

الباب الثالث

إطار عام لدراسة شعر خلف

I ـ عناصر أساسية لترجمته.

II ـ متفرقات من أخباره.

III ـ أبو نواس يرثي خلف الأحمر.

IV ـ ثبت فيما اعتمدناه أساساً من المصادر والمراجع.

رفع المسهم

ـ I ـ

عناصر لترجمته[1]

«هو خلف بن حسّان، ويكنى أبا محمد وأبا مُخْرِز،

قال أبو حاتم عن الأصمعيّ: كان خلف مولى أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ أَعتقَه وأعتَق أَبَوَيْه، وكانا فَرغانيّيْن: وكان أعلمَ الناس بالشعر، وكان شاعراً، ووضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعاً كثيراً وعلى غيرهم عَبَثاً بهم، فأَخَذَ عنه أَهلُ البصرة وأهلُ الكوفة.

أخبرنا محمد بن يحيى قال: أخبرنا محمد بن يزيد [المبرد] قال: كان خَلف أَخَذَ النّحو عن عيسى بن عمر [توفي نحو 149هـ]، وأخذ اللّغة عن أبي عمرو [ابن العلاء: توفي 155هـ] ولم يُرَ أَحدٌ قّط أعلمَ بالشعر والشعراء منه، وكان يُضرب به المثلُ في عمل الشعر، وكان يَعْمل على ألسنة الناس فيشَبِّهُ كلَّ شعر يقوله بشعر الذي يضَعهُ عليه ثُم نَسَكَ، فكان يختم القرآن في كل يوم وليلة، وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً خطيراً على أَنْ يتكلّم في بيت شعر شَكُّوا فيه فأَبَى ذلك وقال: قَدْ مضى لِي في هذا ما لا أحتاجُ إلى أن أزيدَ فيه.

وعليه قرأ أهلُ الكوفة أشعارهم، وكانوا يقصدونه لما ماتَ حمّاد الرّاوية [توفي 156هـ]؛ لأنه كان قد أَكْثَرَ الأخذَ عنه، وبلغ مبْلغاً لَم يقاربْه حمّاد، فلمّا تَقَرَّأَ ونَسَكَ خرج إلى أهل الكوفة فعرَّفهم الأشعار التي قد أدْخلها في أَشعَار

(1) الزيادات بين معقفين من وضع المؤلف.

رفع المسهم

الناس، فقالوا له أَنْتَ كنتَ عنْدنا في ذلك الوقت أَوثقَ منكَ الساعةَ، فبقي ذلك في دواوينهم إلى اليوم.

وممّنْ أَخذ عنه واختصَّ به أبو نواس [توفي 199هـ؟]، وقد أَخذ عن أبـي عبيدة أيضاً، وله في خلف مراث»[1].

مراتب النحويين ص 46 ـ 47
لأبـي طالـب اللغوي الحلبـي ـ توفي 351هـ

(1) نضيف إلى نص «مراتب النحويين» أن خلفاً كان يتعصب لليمنية (الكامل للمبرد ج 2 ص 208)، وأن ابن النديم ذكر له ديواناً بخمسين ورقة حمله عنه أبو نواس كما ذكر له من الكتب «كتاب حيات العرب وما قيل فيها من الشعر» (الفهرست/ طهران/ ص 55، 84) ـ وتوفي خلف في حدود سنة 180هـ.

رفع المسهم

ـ II ـ
متفرقات من أخباره

ـ 1 ـ

«وكان [أبو نُواس] قد استأذن خلفاً الأحمر في نظم الشّعر فقال: لا آذنُ لَكَ في عَملِ الشعر إلى أنْ تحفظ ألفَ مقطوع للعرب ومائة أُرجوزة قصيدٍ ومقطوعٍ، فغابَ عنه مدّة وحضر إليه فقال له: قد حفظتها، فقال: أَنْشِدْها، فأنشده أكثرَها في عدّة أيام. ثم سأله أنْ يأذن له في نظم الشعر فقال له: لَا آذنُ لك إلى أن تَنْسى هذه الألف أرجوزة كأنّك لَمْ تحفظها. فقال له: هذا أمرٌ يصعب عليّ فإنّي قَدْ أتقَنْتُ حِفْظها فقال: لا آذن لك أَوْ تنْساها. فذهب إلى بعض الدّيرَة وخَلَا بنفسه وأقام مدةً حتى نَسِيها، ثم حضر إليه فقال: قد نسيتُها حتى كأنْ لم أكنْ حفظتها قط. فقال: الآن فانظم الشعر».

مختار الأغاني ج 3 ص 34

ـ 2 ـ

«وجاء رجلٌ إلى خلف فقال: إنّي قد قلْتُ شعراً أحبَبتُ أن أَعْرضه عليك. قال: هات! فأنشده:

[من الكامل]

رَقَـدَ النّـوَى حَتّـى إذَا انْتَبَـهَ الهَـوَى ... بَعَـثَ النّـوَى بـالبَيْـنِ والتَّـرْحَـالِ

يَـا للنّـوَى جَـدَّ النّـوَى قُطِـعَ النّـوَى ... بِـالـوَصْـلِ بَيْـنَ مَيَـامِـنٍ وَشَمَـالِ

فقال له خلف: قَوْلِي، واحْذَر الشّاة! فوالله لئِنْ ظَفِرَتْ بهذا الشّعْرِ لَتَجْعله بَعَراً، عَلَى أنّي ما ظَنَنْتُ بك هذا كلّه.

نور القبس ص 74

ـ 3 ـ

«أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنْزِي

رفع المسهم

قال حدّثنا أحمد بن خَلاَّدٍ عن الأصمعيّ، وأخبرني ابن الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني أحمد بن خلاَّد عن الأصمعي قال:

كنت أشهَدُ خلَف بنَ أبـي عَمْرو بن العَلاء وخلفاً الأحمرَ يأْتِيان بشّاراً ويُسَلّمان عليه بغاية التّعظيم ثم يقولان: يا أبا معاذ، ما أَحْدَثْتَ؟ فيُخبرهُما ويُنْشدهُما ويسْألانِه ويكتُبان عنه متواضعَيْن له حتّى يأْتيَ وقتُ الظّهر ثم ينصرفان عنه، فأتياه يوماً فقالا له: ما هذه القصيدة التي أحدثْتهَا في سَلْم بن قُتَيْبَة؟ قال: هي التي بَلَغَتْكُمَا، قالا: بَلَغَنا أنّك أكثرتَ فيها من الغريب، فقال: نعم، بلغَنِي أنّ سَلْماً يَتَبَاصَرُ بالغَريبِ فأَحببْت أن أُورد عليه ما لا يعرفه، قالا: فأنشدْنَاهَا، فأنشدَهُما:

بَكِّـرَا صَـاحِبَـيَّ قَبْـلَ الهَجِيـرِ إنّ ذَاكَ النّجَـاحَ فِـي التّبكِيـرِ

حتى فرغ منها، فقال له خَلَفٌ: لو قُلْتَ يا أبا معاذ مكان «إنّ ذَاكَ النّجَاحَ»:

بَكِّرَا فَالنّجَاحُ فِي التّبْكِيرِ

كَان أَحْسَنَ، فقال بشّار: بنَيْتُها أَعْرَابيّةً وحشيّةً، فقلت: «إنّ ذاك النّجاح» كما يقول الأعراب البَدَويُّون، ولو قلتُ: «بَكِّرَا فَالنّجَاحُ» كان هذا منْ كَلاَم المولّدين ولا يُشْبهُ ذلك الكلامَ ولاَ يدخلُ في معنى القصيدة، فقام خَلف فقبّل بيْن عَيْنيْه، وقال له خلف بن أبـي عَمْرو يُمَازحه: لو كان عُلاَثَةُ ولدَك يا أبا معاذ لفعلتُ كما فَعَل أخي، ولكنّك مولىً، فمدّ بشار يده فضربَ بها فخذَ خلف وقال:

أرْفُـقْ بعمـرِو إذا حَـرَّكْـتَ نِسْبَتَـهُ فَـإنّـهُ عَـرَبِـيٌّ مِـنْ قَـوَاريـرِ

فقال له: أَفعلْتَها يا أبا معاذ! قال: وكان أُبو عَمْرو يُغْمَزُ في نَسَبِه».

الأغاني/ دار الكتب ج 3 ص 190 ـ 191

رفع المسهم

— 4 —

«قال الأصمعي: قرأت على خَلَفٍ شعْرَ جَرِير، فلمّا بلغتُ قولَه:

[من الطويل]

وَيَـوْمٍ كَـإِبْهَـامِ القَطَـاةِ مُحَبَّـبٍ إلـيَّ هَـوَاهُ غَـالِـبٌ لِـي مَـاطِلُـهْ
رُزِقْنَـا بِـهِ الصَّيْـدَ الغَـرِيـرَ ولَـمْ نكُـنْ كَمَـنْ نَبْلُـهُ مَحْـرُومَـةٌ وَحَبَـائِلُـهْ
فَيَـا لَـكَ يَـومـاً خيـرُه قبْـل شـرّهِ تغيّـبَ وَاشِيـهِ وَأقْصَـرَ عَـاذِلُـهْ

فقال: ويْله! وَما ينفعُه خيرٌ يؤول إلى شرّ؟ فقلت له: كذا قرَأْتُهُ على أبي عمْرو، فقال لي: صَدَقْتَ وكذا قال لي جرير، وكان قليلَ التّنقيح مُشرَّد الألفاظ فقلت: فكيفَ كان يجب أَنْ يقولَ؟ قال: الأَجودُ لو قال: «فيا لكَ يوماً خيرُه دون شرّهِ فأَرْوِهِ هكذا! فقد كانت الرواةُ قديماً تُصْلِحُ أَشْعَارَ القُدماء. فقلت: والله لاَ أَرْويه بعدَها إلاَّ هكذا».

نور القبس ص 73

— 5 —

«وقد زَعم قومٌ من العُلماء أنّ الشّعر[1] الذي كتبْنَا للشّنْفَرَى هَو لِخَلَفِ الأحمر، وهذا غَلَطٌ، ونَحْنُ نَذْكر الخبرَ في ذلك: أَخْبَرنَا الصّولي عن أَبي العَيْنَاء قال: حضرْتُ مجلسَ العُتْبِيّ ورجلٌ يقْرأُ عليه الشِعرَ للشّنفرى حتّى أَتى على القصيدة التي أوّلها:

إنَّ بـالشّعْـبِ الـذِي دُونَ سَلْـعٍ لَقَتِيـلاً دَمُـهُ مَـا يُـطَـلُّ

فقال بعضُ منْ كان في المَجْلس: هذه القصيدةُ لخَلَف الأحمر، فضحك العُتْبي من قوله، فسألناه عن سَبَب ضَحِكه، فقال: والله ما قال أبو محرز خَلَف من هذه القصيدة بيتاً واحداً، وما هي إلاَّ للشّنْفَرى، وكان لها خبرٌ طريفٌ لَم يَبْق

(1) يعني اللامية رقم 2 الواردة في هذا المجموع ص 44.

رفع المسهم

منْ يعرِفُه غَيْري، قلنا: وما خَبرُها؟ قال: جلسنا يوماً بالمِرْبَد ونحنُ جماعةٌ من أَهْل الأدب ومعنا خَلفُ الأحمر، فتذاكرْنا أشعَارَ العرب، وكان خلف الأحمر أَرْوَانَا لها وأَبْصَرَنَا بها، فتذاكرْنا منها صدراً، ثم أَفضيْنا إلى أَشْعَارنَا فَخُضْنا فيها ساعةً، فبينَا خلفٌ يُنشدنا قصيدةً له في رويّ قصيدةِ الشّنفرى هذه وقَافيتِها يذكُر فيها وُلْدَ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السّلام وما نالَهم وجَرَى عليهم من الظّلم إذْ هَجَم علينَا الأصمعيّ، وكان مُنْحَرِفاً عن أهْل البيت عليهم السلام وقد أنشَد خلفٌ بعضَ الشّعر فلمّا نَظَرَ الأصمعيَّ قطعَ ما كان يُنْشدُ من شعره ودخلَ في غيره إلاَّ أنّه على الوزنِ والقافية ولم يكنْ فينا أحدٌ عرَف هذا الشّعر ولا رواه للشّنفرى، فتحيّرْنا لذلك وظننّاه شيئاً عملَهُ على البديهة، فلمّا انصرف الأصمعي قلنا له: قد عرفْنا غرضَك فِيما فعلتَ وأقبلنا نُطْريهِ ونُقَرّظُه فقال: إنْ كان تَقْريظُكم لِي لأني عملتُ الشّعرَ فما عملتُه والله ولكنّه للشّنفرى يرْثي تأبّط شرّاً، ووالله لَوْ سمعَ الأصمعيُّ بيتاً من الشّعر الذي كنتُ أُنْشِدُكُمُوهُ ما أَمْسَى أو يقُومَ به خطيباً على مِنْبر البَصرة فيُتْلف نفسي، فادّعاءُ شعرٍ لَو أردتُ قولَ مثله ما تعذَّرَ عليّ أَهونُ عِندي من أَنْ يتّصلَ بالسلطان فألْحقَ باللّطيف الخبير. قال أبو العيناء: فسألنا العتبيّ شعرَ خَلَف الذي ذَكَر فيه أَهْلَ البيت عليهم السلام فَدَافَعَنَا مدَّة ثم أنشدنا:

قَــدْكَ مِنّــي صَــارِمٌ مــا يُفَــلُّ وَابْــنُ حَــزْمٍ عَقْــدَهُ لاَ يُحَــلُّ . . .»

الأشباه والنظائر ص 115ـ 116

ـ 6 ـ

«قال خَلفٌ: كنت أَسمع ببشّار وما كنتُ رأيتُه، فَذَكَرُوه لِي يوماً وذَكَرُوا بَيَانَه وسُرعةَ جوابه وجوْدة شِعره، وأنشدُوني شعراً لَيْس بالمَحْمُودِ عِندِي. فقلت: والله لآتِيَنّهُ وَلأُطَأْطِئَنَّ مِنْهُ! فأتيتُه وهو جالسٌ على بابِ داره، فرأيتُ أَعْمَى قَبيحَ المنظر عظيمَ الجُثّة، فقلتُ: لَعَنَ اللَّهُ منْ يُبَالِي بهذا! فَوقفتُ أَتأمّلهُ

رفع المسهم

طويلاً، فبينَمَا أَنا كذلك إذْ جاءَه رجلٌ فقال: إنَّ فلاناً سَبَعَكَ عند الأمير محمّد بن سليمان وَوَضَعَ منك. فقال: أَفَعَلَ؟ قال: نَعم! فأَطرقَ، وجلَس الرجلُ عنده وجلستُ، وجاء قومٌ فسلّمُوا عليه فلم يرْدُدْ عليهم السلام، فجلسوا ينظرون إليه، فنَدَرَتْ أَوْدَاجُهُ فَما نَشِبَ أن أنشدَنا بأعلى صَوْتِه وأَفْخَمِه:

[الكامل]

نُبِّئْتُ رَاكِبَ أُمِّهِ يَغْتَابُنِي ... عِنْدَ الأميرِ وَهَلْ عَلَيَّ أَمِيرُ

نَاري مُحرَّقَةٌ وَسيْبِيَ وَاسِعٌ ... لِلْمُعْتَفِينَ وَمَجْلِسِي مَغْمُورُ

وَلِيَ المَهَابَةُ في الأَحِبّةِ والعِدَى ... وكأَنَّنِي أَسَدٌ بِهِ تَامُورُ

غَرِثَتْ حَلِيلَتُه وأَخْطَأَ صَيْدَهُ ... فَلَهُ عَلَى لَقَمِ الطّرِيقِ زَئِيرُ

فارتعدَتْ والله فَرائصي وعَظُمَ في عيْنِي جِدّاً وقلتُ في نَفْسي: الحمدُ لله الذي أَنقذَنِي من شَرّكَ».

نور القبس ص 75

ـ 7 ـ

«... إنَّ أشعارَ العُلماء على قَديم الدّهر وحَديثِه بَيِّنَة التّكَلفِ وشعرَهم الذي رُوِيَ لهم ضعيفٌ، حَاشَا طائفةٍ منهم خَلف الأحمر فإنَّ له ما يُسْتندَرُ...».

الذخيرة/ ط. القاهرة ق 1 م 2 ص 92

رفع المسهم

ـ III ـ

أبو نواس يرثي خلف الأحمر

ـ 1 ـ

قال أبو نواس يرثي خلفاً وهو حيّ:

[المنسرح]

1 ـ لاَ تَئِلُ العُصْمُ فِي الهِضَابِ، وَلاَ ... شَغْـوَاءُ تَغْـذُو فَـرْخَيْـنِ فـي لُجُـفِ

2 ـ يُكِنُّهَـا الجَـوُّ فـي النّهَـارِ، وَيُـؤْ ... ويهَـا سَـوَادُ الـدُّجَـى إلـى شَـرَفِ

3 ـ تَحْنُـو بِجُـؤْشُـوشِهَـا عَلَـى ضَـرِمٍ ... كَقِعْـدَةِ المُنْحَنِـي مِـنَ الخَـرَفِ

4 ـ وَلاَ شَبُـوبٌ بـاتَـتْ تُـؤَرِّقُـهُ النّـ ... ـشْـرَةُ مِنْهَـا بِـوَابِـلٍ قَصِـفِ

5 ـ دَانٍ عَلَـى الأَرْضِ وَالـوَصِيدِ وَفِـي ... بَهْـوٍ أَمِيـنِ الإِيَـادِ ذِي هَـدَفِ

6 ـ دَيْـدَنُـهُ ذَاكَ طُـولَ لَيْلَتِـهِ ... حَتّـى إِذَا انْجَـابَ حَـاجِبُ السَّـدَفِ

7 ـ غَـدَا كَـوَقْـفِ الهَلُـوكِ يَنْهَفِـتُ الـ ... ـقِطْقِـطُ عَـنْ مَنْبَتَيْـهِ وَالكَتِـفِ

8 ـ كَـأَنَّ شَـذْراً وَهَـتْ مَعَـاقِـدُهُ ... بَيْـنَ صَـلاَهُ فَمَلْعَـبِ الشّنَـفِ

9 ـ وَأَخْـدَرِيٍّ صُلْـبِ النّـوَاهِـقِ صَلْـ ... ـصَـالٍ أَمِيـنِ الفُصُـوصِ وَالـوَظَـفِ

10 ـ مُنْفَـرِدٍ فـي الفَـلاَةِ تُـوسِعُـهُ ... رَيًّـا، ومَـا يَخْتَلِيـهِ مِـنْ عَلَـفِ

11 ـ مَـا تَـرَكَ المَـوْتُ بَعْـدَهُ شَبَحـاً ... بَـادٍ بِتَـلِّ القِـلاَلِ والشّعَـفِ

12 ـ لَمّـا رَأَيْـتُ المَنُـونَ آخِـذَةً ... كُـلَّ شَـدِيـدٍ وَكُـلَّ ذِي ضَعَـفِ

13 ـ بِـتُّ أُعَـزِّي الفُـؤَادَ عـنْ خَلَـفٍ ... وَبَـاتَ دَمْعِـي إِنْ لاَ يَفِـضْ يَكِـفِ

14 ـ أَنْسَـى الـرَّزَايَـا مَيْـتٌ فُجِعْـتُ بِـهِ ... أَمْسَـى رَهِيـنَ التـرَابِ فِـي جَـدَفِ

15 ـ كَـانَ يُسَنِّـي بِـرِفْقَـةٍ عَلَقـاً ... فِـي غَيْـرِ عِـيٍّ مِنْـهُ وَلاَ عُنُـفِ

16 ـ يَجُـوبُ عَنْـكَ التِي عَشِيتَ بِهَـا ... مِـنْ قَبْـلُ حَتّـى يَشْفِيـكَ فِـي لَطَـفِ

17 ـ لاَ يَهِـمُ الحَـاءَ فِـي القِـراءة بِـالـ ... ـخَـاءِ وَلاَ لاَمَهَـا مَـعَ الأَلِـفِ

18 ـ وَلاَ يُعَمِّـي مَعْنَـى الكَـلاَمِ وَلاَ ... يَكُـونُ إِنْشَـادُهُ عَـنِ الصُّحُـفِ

رفع المسهم

19 ـ وَكَـانَ مِمّـنْ مَضَـى لَنَـا خَلَفـاً فَلَيْـسَ مِنْـهُ إِذَا بَـانَ مِـنْ خَلَـفِ[1]

الديوان ص 431 ـ 432

ـ 2 ـ

قال أبو نواس أيضاً في رثاء خلف وهو حيّ:

[الرجز]

1 ـ لَـوْ كَـانَ حَـيٌّ وائِـلاً مِـنَ التّلَـفْ لَـوَأَلَـتْ شَغْـوَاءُ فِـي أَعْلَـى شَعَـفْ
2 ـ أُمُّ فُـرَيْـخٍ أَحْـرَزَتْـهُ فِـي لَجَـفْ مُـزَغَّـبِ الأَلْغَـادِ لَـمْ يَـأْكُـلْ بِكَـفّ
3 ـ كَـأَنّـهُ مُسْتَقْعِـدٌ مِـنَ الخَـرَفْ هَـاتِيـكَ أَوْ عَصْمَـاءُ فِـي أَعْلَـى شَـرَفْ
4 ـ تَـرُوغُ فِـي الطِّبَـاقِ والنّـزْعِ الأَلَـفّ أَوْدَى جِمَـاعُ العِلْـمِ مُـذْ أَوْدَى خَلَـفْ
5 ـ مَـنْ لاَ يَعُـدُّ العِلْـمَ إِلاَّ مَـا عَـرَفْ قَلَيْـذَمٌ مِـنَ العَيَـالِيـمِ الخُسُـفْ
6 ـ فَكُلّمَـا نَشَـاءُ مِنْـهُ نَغْتَـرِفْ رِوَايَـةً لاَ تُجْتَنَـى مِـنَ الصُّحُـفْ[2]

الديوان ص 433

التعليق:

يذكر ابن رشيق القصيدتين (العمدة ج 2 ص 115) أنموذجا لشعر الرثاء الذي «جرى فيه أصحابه على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذاً بسننهم».

---

(1) أورد الجاحظ في كتابه «البرصان والعرجان» ص 150 الأبيات 1 ـ 2، 6 ـ 9، 12 ـ 14، مع اختلاف جزئي في الرواية.

(2) وردت هذه القصيدة كاملة في نفس المصدر مع اختلاف جزئي في الرواية (انظر البرصان... ص 151).

رفع المسهم

المصـادر والمراجـع
(حسب الترتيب الأبجدي)

- أزهار الرياض (ج 1 ص 124 ـ 125).
- الأشباه والنظائر (ج 2 ص 113 ـ 119، 208، 317 ـ 318).
- الأصمعيات (ص 234 ـ 238).
- الأغاني/ دار الكتب (ج 15 ص 223، ج 20 ص 231 ـ 235).
- أمالي القالي (ج 1 ص 156 ـ 157/ ج 2 ص 237 ـ 255، 234 ـ 285).
- أمالي المرتضى (ج 1 ص 280 ـ ج 2 ص 185).
- إنباه الرّواة (ج 1 ص 348 ـ 350).
- الأنوار ومحاسن الأشعار (ص 157).
- الأوراق/ قسم أخبار الشعراء (ص 35).
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (ج 3 ص 25).
- بهجة المَجالس وأنس المُجالس (ج 1 ص 285، 440).
- البيان والتّبيين (ج 1 ص 129/ ج 4 ص 23).
- تاريخ الأدب العربـي (بلاشير): ص 105 ـ 107.
- تاريخ الآثار العربيّة المدونة (فؤاد سزقن): ج 2 ص 460 ـ 461.
- كتاب التشبيهات (ص 38).
- التّنبيه على حدوث التّصحيف (278).
- التّيجان (ص 247 ـ 248).
- ثمار القلوب (ص 260).
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع (ج 1 ص 344 ـ 335).
- الحماسة البصرية (ج 2 ص 344).
- حماسة أبـي تمام/ شرح التبريزي (ج 2 ص 313 ـ 318).

رفع المسهم

- الحماسة الشجرية/ حيدر آباد (ص 273 ـ 274).
- كتـاب الحيـوان (ج 1 ص 182 ـ 183/ ج 3 ص 68 ـ 69، 119 ـ 200، 500/ج 4 ص 234، 279 ـ 280، 283 ـ 284/ج 5 ص 228، 248/ج 6 ص 129، 402).
- حوليات الجامعة التونسية (العدد 15، السنة 1977، ص 83 ـ 94).
- حياة الحيوان الكبرى (ج 1 ص 541).
- خزانة الأدب/ بولاق (ج 3 ص 532).
- ديوان المعاني (ج 2 ص 73، 134).
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ ط. القاهرة (القسم 1 المجلد 2 ص 321).
- رسالة الغفران (ص 259).
- الزهرة (ج 2 ص 238 ـ 249.
- سمط الآلي (865، 919).
- شعر تأبط شراً (ص 59 ـ 60، 161 ـ 169).
- الشعر والشعراء (ص 761 ـ 763.
- الصَّعلكة والفتوة في الإسلام (ص 38 ـ 39).
- كتاب الصناعتين (ص 82).
- طبقات فحول الشعراء (ص 8 ـ 21)
- طبقات ابن المعتز (ص 147 ـ 149).
- الطرائف الأدبية (ص 39).
- عيون الأخبار (ج 3 ص 36، 83).
- الفائق في غريب الحديث (ج 2 ص 69).
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ص 140).
- الفهرست/ ط. طهران (55، 184).
- قصيدة خلف الأحمر لـ «آلوردت» (ص 303 ـ 397).

رفع المسهم

- العقد الفريد (ج 3 ص 298 ـ 300).
- عيون الأخبار (ج 3 ص 36)
- قواعد العشر (ص 66).
- الكامل للمبرّد (ج 3 ص 208).
- مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (1958/ الجزء 1 المجلد 23).
- مجمع الأمثال (ج 1 ص 327).
- محاضرات الأدباء: (ج 1 ص 259).
- مراتب النحويين لعبد الواحد الحلبي (46 ـ 47).
- المزهر (ج 1 ص 105 ـ 107، ج 2 ص 251).
- مصادر الشعر الجاهلي (ص 460 ـ 461.
- المصائد والمطارد (ص 147).
- المعاجم: الجمهرة، المقاييس، المخصص، المحكم، اللسان (مواد متفرقة أشرنا إليها في مواضعها من التخريج).
- المعاني الكبير (ج 1 ص 214، ج 2 ص 260).
- معجم الأدباء (ج 11 ص 66 ـ 74/ ج 16 ص 161).
- معجم ما استعجم (ج 3 ص 747).
- معجم المطبوعات العربية (ص 623).
- منتهى الطلب في أشعار العرب (مخطوطة «يال» بالولايات المتحدة) الجزء الثالث، القصيدة الواحدة والأربعون.
- المنثور والمنظوم/ قسم القصائد المفردات (ص 80ـ 85، 109ـ113).
- الموشح (ص 392، 453).
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص 34 ـ 35).
- نهاية الأرب (ج 10 ص 143، 145).
- نور القبس (ص 72 ـ 80).
- الوحشيات (ص 235).

رفع المسهم

ما جمعناه من شعر خلف

القافية	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الباء	5	28
الراء	2	12
الطاء	1	3
الفاء	1	35
القاف	3	8
العين	1	70
اللام	6	128
الميم	3	22
النون	1	3
الألف المقصورة	2	87
المجموع	25	396

البحر	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الكامل	3	121
الرجز	11	95
المتقارب	3	78
المديد	2	73
الوافر	3	20
الطويل	3	9
المجموع	25	396

رفع المسهم

- 2 -

ابن أبـي كريمة

(عاصر الجاحظ)

«وَإِنِّـي عَلَـى مَـا كَـانَ مِـنْ عُنْجُهِيّتِـي
ولَـــوْثَـــةِ أَعْـــرَابِيّتِـــي لأَدِيـــبُ»

ابـن أبـي كريمة

رفع المسهم

ابن أبـي كريمة وما تبقى من شعره

هو أحمد بن زياد بن أبـي كَريمَة[1] من المَنْسِيين الذين كاد يمّحي ذكرُهم في كُتب الطبقات والمجاميع وإنْ نوَّه بعضُ القدماء بجَودةِ شِعره[2]، ويُستفاد من الأخبار النّزيرة التي احتفظت بِهَا بعضُ المصادر أنه من معاصري الجاحظ الذين رَوَى عنهم بعض التّجارب المُتعلقة بالحيوان[3]، وكان أبو كريمة «شاعراً يقول الشعر ويرْويه»[4]، وجلَس إلى أبـي مالك عمرو بن كِرْكِرَة وأخذ عنه اللّغةَ[5]، ويَذْكر الطّبري أنه كانت له صلةٌ بالبرامكة[6]، ويعدُّهُ الجاحظ من بخلاء مرو[7].

ما تبقّى من شعره يُمثل أحسنَ تمثيل مَنْحَى ثُلّة من شعراء العصر ذكرنا شعرَهم في هذا القسم الأول من المجموع، لم يَقْطعوا الشعرَ عن أصوله القديمة وزَاوَجوا فيه بين نَهْج الأعراب ونَمَط المُحدَثين، نلمسُ ذلك من ناحية، في اللّغة وأساليب الخطاب يقتطعهما الشاعرُ من صميم ثقافة البادية، ومن ناحية أخرى في الصُّورة يَسْتَنْبطها ويُحَمِّلُها من مظاهر الحياة اليومية ما تَسْتَقرُّ به الدَّلالة

(1) يذكر الجاحظ في البيان والتبيين ج 1 ص 143 و 167 أن اسمه أسود، وأكبر الظن أنه تحريف، إذ أن سائر المصادر بما في ذلك الحيوان (ج 2 ص 367) تثبت اسم أحمد.
(2) انظر المصائد والمطارد لكشاجم (توفي 360هـ) ص 144 حيث ينوه بفحولته.
(3) الحيوان ج 3 ص 349، 525.
(4) الحيوان ج 4 ص 485، ج 5 ص 334.
(5) الحيوان ج 3 ص 525 ومعجم الأدباء ج 16 ص 131.
(6) تاريخ الطبري ج 8 ص 301.
(7) البخلاء ص 17.

رفع المسهم

في صَميم اهتمامات الذات والمشاغل الظرفية[1]. أضف إلى ذلك ما نلمسُه في معظم شعره من دقّةٍ في الملاحظة ومَنْزَع خاصّ في المُفَاكهة والتّملُّح هما من خصائص الحضر.

بهذا وذاك تَلَوَّنتْ أغراضُ شعره، فانطبعتْ قصائدُه بأصباغ انتظمتْ فيها جنباً لجنب ظِلالُ القديم وإِشْرَاقَةُ الحديث[2]. فهو يوقفُك على صورة الفَهْد والكَلْب من حيوان الصَّيد عند المُطاردة (القصيدة 3)، فيميلُ بك عن المدينة وثقافةِ الحَضَر لِيَنْغَرِسَ بك في صميم البادية حيث تتّحدُ النُّعُوتُ والصّفات بما أقرَّته ثقافةُ الصَّحراء، منذُ امرىء القيس، مِنْ صورٍ مُثْلَى تحدَّدتْ بها معالم الكون الرحيب في مَعَادِنِه الأولى، بمناخِه وحيوانِه ونباتِه، خَيْرِه وشَرّه، شأْنُه في ذلك شأنُ أبي نواس ومن ذَكَرهم كُشَاجِم والشّمْشَاطِيّ[3] من المُولّدين، مِمّن قالوا الشعر في المصائد والمطارد، أُنْساً بحضارة البادية وما أفرَزَتْه من قِيم الفُتوَّة والفروسيّة كادت تمّحي معالمُها بِالاسْتقرار في العواصم المُسْتَحدثَة. ويعُودُ بكَ الشاعرُ إلى المدينة فَتَقِفُ على وجْهٍ جديدٍ لَهُ: هو وجهُهُ فتًى ظريفاً من أهْل المُروءات والأدَب (القصيدة 1)، وهو وَجْهُهُ مدنِيّاً ساخراً بأَسْباب الحياة بالمدينة يطالِعُك بكنيفِ منْزِلِه وقد ضَاقَ ذرْعاً بنَتْنِه (القصيدة 5)، وهو وجْهه متفكّهاً «يَلْقَى منَ الفَأْرْ جَهْداً» فيرْكُنُ لِقِطِّه، فيدْعوه باسْمه «زُهَيْر»، ويَسْتَعْدِيه على الفَأْر في لَهْجَةِ المُعَاتب لخُمُولِه[4] (القصيدة 2) وهو وَجْهُهُ

(1) يحدد الشاعر نفسه ذلك في قوله: (المقطوعة رقم 1).
«وإني على ما كان من عنجهيتي ولوثة أعرابيتي لأديب»

(2) انظر القصيدة رقم 3/ البيت 28، حيث نلاحظ المزاوجة في البيت الواحد بين الصورة ذات الطابع البدوي (ثقافة صحراء الجزيرة) وبين الصورة ذات الطابع الحضري (ثقافة المولدين).

(3) كالناشيء الأكبر وعبد الصمد بن المعذل وابن المعتز: انظر المصائد والمطارد لكشاجم والأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي.

(4) لاحظ أنه يؤثر لثلة من شعراء القرنين الثاني والثالث مجموعة من جيد القصائد قالوها في =

رفع المسهم

مُتَملِّحاً، يُواجهُ غُرَمَاءَه بلُغةٍ يضمنُهَا عبثاً كلماتٍ وعبارات فارسيّة (القصيدة 4)، وهو وجْهُه جَادّاً هَازلاً، يَرْثي قَميصاً لَهُ قَرَضَهُ الفأرُ، فَيَتَتَبّع «قصَّتَه» و «يَصِفُ الرَّوضة ومَنْبَتَ القُطْن وخُروجَه وبُلُوغَه ويَذْكرُ النساءَ اللّواتي غَزلْنَه والحائكَ الذي نَسجَه والقَصَّارَ الذي قصَّره والخيّاطَ الذي خَاطَه»[1] (القصيدة 7).

هو ذاك ابن أبـي كَريمة، ولعلّنا بجمع ما تبقّى من شعره ضمن مدوَّنة المقلّين، قد أَولَيْنا الشاعرَ بعض ما يستحقّه من الذّكر.

ـ 1 ـ

[الطويل]

1 ـ أَلاَ زَعَمَتْ عَفْرَاءُ بِالشَّامِ أَنَّنِي ... غُلاَمُ جَوَارٍ لاَ غُلاَمُ حُرُوبِ

2 ـ وَإِنِّي لأَهْذِي بِالأَوَانِسِ كَالدُّمَى ... وَإِنِّي بِأَطْرَافِ القَنَا لَلَعُوبُ

3 ـ وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ عُنْجُهِيَّتِي ... وَلَوْثَةِ أَعْرَابِيَّتِي لأَدِيبُ

التخريج:

البيان والتبيين ج 1 ص 167 ـ 168.

ـ 2 ـ

«وأَنْشَدَنِي ابنُ أبـي كَرِيمةَ، ليزيد بن نَاجِيةَ السّعْدِي... وكانَ لقِيَ مِن الفأر جهْداً فَدَعَا عليهنَّ بالسّنَانِير، فقال... ونَحْنُ نُظنُّ أَنَّ هَذه القصيدَةَ مِنْ تَوْلِيدِ ابنِ أبـي كَريمَةَ:

[الكامل]

= البهائم وحملوها من المقاصد ما سنقف عليه في موضعه: نذكر منها «سنور أبـي الشمقمق»، و «شاة سعيد» للحمدوي، و «عنز القاسم بن يوسف بن صبيح»، و «شاة منيع» لمحمد بن يسير الرياشي، و «هرة أبـي بكر العلاف» و «حمار طياب» لأبـي غلالة، وسيجد القارىء القصائد في مواضعها من هذه المدونة.

(1) انظر: المنثور والمنظوم / قسم القصائد المفردات... ص 97.

رفع المسهم

1 ـ أَزُهَيْرُ مَالَكَ لاَ يَهُمُّكَ مَا بِي ... أَخْزَى إِلَهُ مُحَمَّدٍ أَصْحَابِي

2 ـ كُحْلَ العُيُونِ صَغِيرَةٌ آذَانُهَا ... جُنْحَ الحَنَادِسِ يَعْتَوِرْنَ جِرَابِي

3 ـ شُمَّ الأُنُوفِ لِرِيحِ كُلِّ قَفِيَّةٍ ... يَلْحَظْنَ لَحْظَ مُرَوَّعٍ مُرْتَابِ

4 ـ دُكْنَ الجِبَابِ تَدَرَّعَتْ أَبْدَانُهَا ... صُعْلَ الرُّؤُوسِ طَوِيلَةَ الأَذْنَابِ

5 ـ شُخْتَ المَخَالِبِ والأَنَابِيبِ والشَّوَى ... ثُجْلَ الخُصُورِ رَحِيبَةَ الأَقْرَابِ

6 ـ أَسْقَى الإِلَهُ بِلاَدَهُنَّ سَحَائِباً ... غُرَّ النَّشَاصِ بَعِيدَةَ الأَطْنَابِ

7 ـ تَرْمِي بِغُبْسٍ كَاللُّيُوثِ تَسَرْبَلَتْ ... مِنْهَا الجُلُودُ مَدَارِعَ السَّنْجَابِ

8 ـ غُلْبَ الرِّقَابِ لَطِيفَةً أَعْجَازُهَا ... فُطْحَ الجِبَاهِ رَهِيفَةَ الأَنْيَابِ

9 ـ مُتَبَهْنِسَاتٍ لِلطِّرَادِ كَأَنَّهَا ... آسَادُ بِيشَةَ أُدْمِجَتْ بِخِضَابِ

التخريج:

الحيوان ج 5 ص 334 ـ 335.

ـ 3 ـ

قال في الكلب والفهد:

[الطويل]

1 ـ وَغِبَّ غَمَامٍ (1) مَزَّقَتْ عَنْ سَمَائِهِ ... شَآمِيَةٌ حَصَّاءُ جُونَ السَّحَائِبِ

2 ـ مُوَاجِهِ طَلٍّ لَمْ يُرَدِّدْ جَهَامَهُ ... تَذَاؤُبُ أَرْوَاحِ الصَّبَا والجَنَائِبِ

3 ـ بعَثْتُ (2) وَأَثْوَابُ الدُّجى قَدْ تقلّصَتْ ... لِغُرَّةِ (3) مَشْهُورٍ مِنَ الصُّبْحِ ثَاقِبِ (4)

4 ـ وَقَدْ لاَحَ نَاعِي (5) اللَّيْلِ حتّى كَأَنَّهُ ... لِسَارِي الدُّجَى فِي الفَجْرِ قِنْدِيلُ رَاهِبِ

5 ـ بَهَالِيلَ لاَ يَثْنِيهُمُ عَنْ عَزِيمَةٍ ... وَإِنْ كَانَ جَمَّ الرُّشْدِ لَوْمُ القَرَائِبِ (6)

6 ـ لِتَجْنِيبِ (7) غُضْفٍ كالقِدَاحِ (8) لطيفَةٍ ... مُشَرَّقَةٍ (9) آذَانُهَا بِالْمَخَالِبِ

7 ـ تَخَالُ سِيَاطاً في صَلاهَا مَنُوطَةً ... طَوَالَ الهَوَادِي كَالقِدَاحِ الشَّوَازِبِ

8 ـ إِذَا افْتَرَشَتْ خَبْتاً أَثَارَتْ بِمَتْنِهِ ... عَجَاجاً وَبِالكَذَّانِ (10) نَارَ الحُبَاحِبِ

9 ـ يفُوتُ خُطَاهَا الطَّرْفَ سَبْقاً كَأَنَّهَا ... سِهَامُ مُغَالٍ (11) أَوْ رُجُومُ الكَوَاكِبِ (12)

رفع المسهم

10 ـ طِرَادُ الهَوَادِي لاَحَهَا كُلَّ شَتْوَةٍ بِطَامِسَةِ الأَرْجَاءِ مَرْتِ المَسَارِب

11 ـ تَكَادُ مِن الأَحْرَاجِ تَنْسَلُّ كُلَّمَا رَأَتْ شَبَحاً لَوْلاَ اعْتِرَاضُ المَنَاكِبِ

12 ـ تَسُوفُ وَتُوفِي كُلَّ نَشْزٍ وَفَدْفَدٍ (13) مَرَابِضَ أَبْنَاءِ النِّفَاقِ (14) الأَرَانِبِ

13 ـ كَأَنَّ بِهَا ذُعْراً يُطِيرُ قُلُوبَهَا أَنِينُ (15) المَكَاكِي أَوْ صَرِيرُ الجَنَادِبِ

14 ـ تَدِيرُ عُيُوناً رُكِّبَتْ فِي بَرَاطِلٍ كَجَمْرِ الغَضَى خُزْراً (16) ذِرَابُ الأَنَائِبِ

15 ـ إِذَا مَا اسْتُحِثَّتْ لَمْ يُجِنَّ طَرِيدَهَا لَهُنَّ ضِرَاءٌ أَوْ مَجَارِي المَذَانِبِ

16 ـ وإن بَاصَهَا صَلْتاً مدى الطرْفِ أَمْسَكَتْ عَلَيْهِ بِدُونِ الجَهْدِ سُبْلَ المَذَاهِبِ

17 ـ تَكَادُ تَفَرَّى الأُهْبُ عنها إِذَا انْتَحَتْ لِنَبْأَةِ شَخْتِ الجِرْمِ عَارِي الرَّوَاجِبِ

18 ـ كَأَنَّ غُصُونَ الخَيْزُرَانِ مُتُونُهَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي (17) طِرَادِ الثَّعَالِبِ

19 ـ كَوَاشِرُ عَنْ أَنْيَابِهِنَّ كَوَالِحٌ مُذَلَّقَةٌ (18) الآذَانِ شُوسُ الحَوَاجِبِ

20 ـ كَأَنَّ بَنَاتِ القَفْرِ حِينَ تَفَرَّقَتْ غَدَوْنَ (19) عَلَيْهَا بِالمَنَايَا الشَّوَاعِبِ

21 ـ بِذَلِكَ أَبْغِي الصَّيْدَ طَوْراً وَتَارَةً بِمُخْطَفَةِ الأَكْفَالِ (20) رُحْبِ التَّرَائِبِ

22 ـ مُرَقَّقَةٍ (21) الأَذْنَابِ نُمْرٍ ظُهُورُهَا مُخَطَّطَةِ الآمَاقِ (22) غُلْبِ الغَوَارِبِ

23 ـ مُدَنَّرَةٍ (23) وُرْقٍ (24) كَأَنَّ عُيونَهَا حَوَاجِلُ تَسْتَذْرِي (25) مُتُونَ الرَّوَاكِبِ

24 ـ إِذَا قَلَّبْتَهَا فِي الفِجَاجِ (26) حَسِبْتَهَا سَنَا ضَرَمٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ثَاقِبِ

25 ـ مُوَلَّعَةٍ فُطْحِ الجِبَاهِ (27) عَوَابِسٍ تَخَالُ عَلَى أَشْدَاقِهَا خَطَّ كَاتِبِ

26 ـ نَوَاصِبِ آذَانٍ لِطَافٍ كَأَنَّهَا مَدَاهِنُ لِلأَجْرَاسِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

27 ـ ذَوَاتِ أَشَافٍ رُكِّبَتْ فِي أَكُفِّهَا نَوَافِذَ (29) فِي صُمِّ الصُّخُورِ نَوَاشِبِ

28 ـ ذِرَابٍ بِلاَ تَرْهِيفِ قَيْنٍ كَأَنَّهَا تَعَقُّرُ أَصْدَاغِ المِلاَحِ الكَوَاعِبِ

29 ـ فوَارس مَا لَمْ تَلْقَ حرْبَا، وَرَجْلَةً (30) إِذَا آنَسَتْ بِالبِيدِ شُهْبَ الكَتَائِبِ

30 ـ تَرَوٍّ وتَسْكِينٌ يَكُونَ دَرِيئَةً لَهُنَّ بِذِي الأَسْرَابِ فِي كُلِّ لاحِبِ

31 ـ تَضَاءَلُ حتّى لاَ تَكَادُ تُبِينُهَا عُيُونٌ لَدَى الصِّيرَانِ (31) غَيْرُ كَوَاذِبِ

32 ـ حرَاصٍ (32) يفُوتُ البرْقَ أمكثُ جرْيها ضِرَآءٍ مِبَلَّاتٍ (٣٣) بِطُولِ التَّجَارِبِ

رفع المسهم

33 ـ تُـوَسِّـدُ أَجْيَـادَ الفَـرَائِـسِ أَذْرُعـاً مُـرَمَّلَـةً تَحْكـي عِنَـاقَ الحَبَـائِـبِ

التخريـج:

ـ الحيـوان ج 2 ص 367 ـ 373. وهـو المصـدر المعتمـد (1 ـ 33). ج 6 ص 475: (الأبيات 20 ـ 22/ 25/ 29/ 31/ 33/ مكرّرة).

ـ المصائد والمطارد ص 144 ـ 145 (1/ 3 ـ 9/ 12 ـ 14/ 18 ـ 20/ معزوة إلى «بعض القدماء») ـ ص 188 ـ 190 (12 ـ 27/ 29/ 31 ـ 33/ معزوّة إلى «بعض الفحول»).

ـ نهاية الأرب ج 9 ص 266 ـ 270 (1 ـ 20)، ص 249 ـ 252 (21 ـ 33).

ـ الحماسة البصرية ج 2 ص 344 ـ 345 (3/ 5 ـ 6/ 9/ 11/ 14/ 17/ 19/ 21 ـ 25/ 27 ـ 28/ 32 ـ 33) معزوّة إلى أبـي حكيمة بن راشد، ولا نظنّها لَه لِمَا تميّزَ به شعرُ أبـي حكِيمَةَ راشِد بن إسحاق (لاَ «ابْن رَاشِد» كما في الحماسة) من خصائص ذكرناها في موضعها (انظر تحقيقنا لديوانه/ مخطوطة برلين الفريدة/ القسم الرابع من هذه المدوّنة).

اختـلاف الروايـة:

نبّه محمد عبد السّلام هارون في تحقيقه هذه القصيدةَ إلى أنّ روايةَ الحيوان مُخِلّةٌ في مواضعَ عديدة، وأنه استنَدَ إلى رواية نهاية الأرب في ضبط النّص وتقويم ما اختلَّ منه، وتعقّبْنَا ذلك فوجدْنا عَمَلَه في حاجةٍ إلى مراجعة فتداركْنا ما فاتَه استناداً إلى مصدرين لم يقف عليهما وهما «المصائد والمطارد» لكشاجم و «الحماسة البصرية».

1 ـ المصائد والمطارد: «وَرُبَّ رَذَاذٍ».
2 ـ المصائد: «بَغَيْتُ».
3 ـ المصائد والنهاية: «بِغُرَّةٍ».
4 ـ الحماسة البصرية: «ثَائِبٍ».
5 ـ المصائد: «نَاغِي» وهو تصحيف.
6 ـ نهاية الأرب: «القَرَائِبِ».

رفع المسهم

7 ـ الأصل: «بِتَجْنِيبِ» وهو تحريف والصَّوَاب ما أثبتنا وهي رواية الحماسة ـ المصائد: «لِتَحْضِيرِ».

8 ـ الحماسة: «لُطْفٍ كَالقِرَاحِ» وهو تحريف.

9 ـ الأصل: «مُشَرَّطَةٍ». ولقد فضَّلنا روايةَ المصائد: «مُشَرَّقَةٍ»، من شَرَقَ أيْ قَطَعَ الأذْنَ طُولاً، وهو ما يَتَوافَقُ تماماً والسّياق.

10 ـ الأصل: «وبالكُدَّانِ» وهو تصحيف، والصواب ما أثبتنا (رواية المصائد والنّهاية). والكَذَّانُ حِجارةٌ ليستْ بِصَلْبَةٍ (كَذَّالْ باللّهجة التونسية، وهو ضَرْبٌ مِنَ الرخَامِ رِخْوٌ، لَوْنُهُ يَمِيلُ إلَى الحُمْرَةِ).

11 ـ المصائد: «أَمْ».

12 ـ الحماسة: «رُجُومُ كَوَاكِبِ».

13 ـ المصائد: «وَوَهْدَةٍ».

14 ـ المصائد: «أبْنَاءِ النَّقَا».

15 ـ المصائد: «صَفِيرُ».

16 ـ الحماسة البصرية: «خُزْرٍ» وهو تحريف، لأن الصّفَةَ تَتَعَلّقُ بالعُيُون.

17 ـ المصائد: «شَوَاحِبُ جَلّتْ عَنْ طِرَادٍ...».

18 ـ المصائد والحماسة: «مُؤَلَّلَةٌ».

19 ـ الحيوان ج 6 ص 475 (رواية مكرَّرة) والمصائد: «غَدَوْتَ».

20 ـ الحيوان ج 6 ص 476 (رواية مكرَّرة): «الأَحْشَاءِ».

21 ـ الحيوان ج 6 ص 476 (رواية مكرَّرة): «مُوَقَّفَةٍ» ـ الحماسة: «مُوَثَّقَةٍ».

22 ـ المصائد والنهاية: «الآذَانِ».

23 ـ المصائد: «مُدَرَّبَةٍ» ـ الحماسة: «مُذَرَّبَةٍ».

24 ـ المصائد والحماسة: «زُرْقٍ».

25 ـ في الأصل: «تَسْتَذْمِي» وفي النهاية: «تَسْتَوْعِي» وهو تحريف

رفع المسهم

والصَّواب ما أثبتنا عن المصائد والحماسة (يشرح كُشَاجم ذلك بقوله: «يَصِفُ مَكَانَهَا خَلْفَ الرَّاكِبِ وأنَّ ظَهْرَهُ يَذْرُوها أيْ يَسْتُرُهَا والذَّرَى السِّتْرُ وَمِنْهُ: عِشْ فِي ذَرَاهُ مَا ذَرَاكَ»: المصائد ص 189.

26 ـ المصائد: «العجاج» ـ النهاية: «الحِجَاج».

27 ـ المصائد والحماسة: «فُطْسِ الجِبَاهِ» ـ النّهاية: «فُطْسِ الأُنُوفِ».

28 ـ النهاية: «نَوَاصِبِ لِلآذَانِ حَتّى كَأنّهَا».

29 ـ الحماسة: «نَوَاقِذَ» وهو تصحيف.

30 ـ المصائد: «رَحْلَةً» وهو تصحيف نظراً إلى المقابلة مع «فَوَارِسَ».

31 ـ الأصل: «الصّرات» ـ النهاية: الضّبرات» وهو تحريف. والصَّواب «الصَّيرَانِ» جمع صُوَارٍ أيْ قَطِيعُ البَقَرِ، كما في المصائد.

32 ـ الحماسة: «كِرَاصٍ» وهو تحريف.

33 ـ المصائد والحماسة: «مُدِلاّت» ـ النهاية: «مُبِلاَّت» من «أَبَلَّ علَيْه» أي غَلَبَهُ (المحقّق).

34 ـ في أصول الحيوان والنهاية: «الفوارس» ولا معنى لهُ. والصَّواب «فَرَائِسِ» كما في المصائد والحماسة.

35 ـ في الأصل «مُزَمّلَة» كما في الحيوان والحماسة، وهو تحريف والصواب «مُرَمّلة» أيْ مُلطّخة بالدم كما في المصائد والنهاية.

ـ 4 ـ

[مجزوء الرمل]

1 ـ لَـزِمَ الغُـرَّامُ ثَـوْبِـي ... بُكْـرَةً فِـي يَـوْمِ سَبْـتِ

2 ـ فَتَمَـايَلْـتُ عَلَيْهِـمْ ... مَيْـلَ زَنْكِـيٍّ بِمَسْتِـي (1)

3 ـ قَـدْ حَسَـا الـدَّاذِيَّ صِـرْفـاً ... أوْ عُقَـاراً بَـايِخَسْـتِ (2)

4 ـ ثُـمَّ كُفْتَـمْ دُورَ بَـادٍ ... وَيْحَكُـمْ آنْ خَـرِ كُفْـتِ (3)

5 ـ إنَّ جِلْـدِي دَبَغَتْـهُ ... أَهْـلُ صَنْعَـاءَ بِجَفْـتِ (4)

رفع المسهم

6 ـ وَأَبُـــو عَمْـــرَةَ عِنْـــدي آن كـــورُبْـــدَنَمَسْـــتِ (5)

7 ـ جَـــالِـــسٌ أنـــدر مكنـــاد أيـــا عمـــد ببهشـــت (6)

التخريـج:

البيان والتبيين ج 1 ص 143 ـ 144.

التعـليـق:

نقف في هذه القصيدة على كلمات وعبارات فارسية وهو ما يدخل في باب «التملح» على حد تعبير الجاحظ إذ يقول: «وقد يتملح الأعرابـي بأن يدخل في شعره شيئاً من كلام الفارسية» (البيان ج 1 ص 141). وفي ما يلي شروح الكلمات الفارسية كما أوردها عبد السلام محمد هارون:

(1) «مستي»: السكر وإدمان الشراب.

(2) «بايخست»: موطوءة بالأقدام، نقلاً عن الدكتور إبراهيم أمين/ مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية (ديسمبر 1936)

(3) «كفتم»: قلت/ «دورباد»: معاذ الله / «آن»: اسم إشارة معناه ذلك / «خر»: الحمار أو الأحمق / «كفت»: قال.

(4) جفت البلوط: ثمرته (عن معجم استينجاس ص 365).

(5) «كور»: أعمى أو أعور / «بد»: كان / «نمست»: ليس ثملاً (ومعناه كان أعمى وليس ثملاً).

(6) بيت مضطرب وبه تحريف. الكلمات الفارسية التي به هي «اندر» بمعنى في / «مكناد»: لا تجعل/ «ببهشت»: أي في الجنة (نقلاً عن الدكتور إبراهيم أمين).

— 5 —

وَصَـفَ ابْنُ أَبـي كَرِيمَةَ حُشّالَهُ، كَانَ هُوَ وأَصْحَابُه يَتَأَذَّوْنَ بِرِيحِه فَقَالَ:

[البسيط]

1 ـ وَلِـي كَنِيـفٌ بِحَمْـدِ اللـهِ يُطْـرِقُنِـي أرواح وارى خيـــال غيـــر فَتّـــارِ(*)

(*) لم نهتد إلى وجه المعنى في العجز.

رفع المسهم

2 ـ لَـهُ بَـدَائِـعُ نَتْـنٍ لَيْـسَ يَعْـرِفُهَـا مِـنَ البَـرِيّـةِ إلا خَـازِنُ النّـارِ
3 ـ إذَا أَتَـانِـي دَخِيـلٌ زَادَنِـي بِـدَعـاً كَـأَنّـهُ لَهِـجٌ عَمْـداً بِـإضْـرَارِي
4 ـ قَـد اجْتَـوَانِـي لَـهُ الخُـلاَّنُ كُلُّهُـمُ وَبَـاعَ مَسْكَنَـهُ مِـنْ قُـرْبِـهِ جَـارِي
5 ـ فَمَـنْ أَرَادَ مِـن البِـرْسَـامِ أَقْتُلُـهُ أَوِ الصُّـدَاعِ فَمُـرْهُ يَـدْخُلَـنْ دَارِي
6 ـ اسْتَكْثَفَ النَّتْـنُ فِـي أَنْفِـي لكثـرَتِـهِ فَلَيْـسَ يُـوجِـدُنِيـهِ غَيْـرُ إضْمَـارِي

التخريـج :

الحيوان ج 1 ص 242 ـ 243.

ـ 6 ـ

وقال يصف الدواة والقلم :

[الطويل]

1 ـ وَمُسْوَدَّة الأَرْجَاءِ قَدْ خُضْتُ مَاءَهَا وَرَوَّيْـتُ مِـنْ قَعْـرٍ لَهَـا غَيْـرَ مُنْبَـطِ
2 ـ خَمِيصَ الحَشَايَرْوَى على كلّ مَشْرَبٍ أَمِينـاً عَلَـى سِـرّ الأَمِيـرِ المُسَلَّـطِ

التخريـج :

عيون الأخبار ج 1 ص 49.

ـ 7 ـ

[البسيط]

1 ـ وَبُقْعَـةٍ قَـدْ أَجَـالَ الطَـرْفُ نُـزْهَتَـهُ حَتّـى تَخَيّـرَهَـا مِـنْ مَنْبـتِ القُطُـنِ
2 ـ سَهْلِيّةَ النّجْدِ لاَ خفْضٍ وَلاَ شَرَفٍ شَيْخٌ مِنَ الفُرْسِ مطْبُوعٌ عَلَى الفِطنِ
3 ـ أَبَـاحَهَـا جَـدْوَلاً حتّـى إذَا رَوِيَـتْ أَمْسَـى يُـدَيِّمُهَـا بِـالمَـرّ والفَـدَنِ
4 ـ مَـا زَالَ يُتْحِفُهَـا بِـالمَـاءِ مُجْتَهِـداً حَـوْلَيْـنِ طَـوْراً وطَـوْراً قِمَّـةَ الـدِّمَـنِ
5 ـ حَتّـى انْتَقَـى حَـبَّ مَـرْوِيٍّ فَـوَرَّهَـهُ مِثْـلَ اللآلِـيءِ لَـمْ يُـدْنَسْ مِـنَ الـدَّرَنِ
6 ـ حَتّـى إذَا بَـذَّ زَرْعَ المَـاءِ نَـاهِضُهَـا وَاسْتَتْبَـعَ الـرّيـحُ مِنْهَـا مَـائِـلَ الغُصُـنِ
7 ـ أَبْـدَتْ طَـرَائِـفَ وَرْدٍ ثُـمَّ أَعْقَبَهَـا جَـوْزٌ تَفَـرَّقَ بَيْـنَ السّـاقِ وَالفَنَـنِ

رفع المسهم

8 ـ فَوَلَدَ الجَوْزُ مِنْهَا بَعْدَ عَاشِرَة ... بَيْضَاءَ يُصْدَعُ عَنْهَا مُحكَمُ الجُبُنِ

9 ـ هَوَتْ لَهُ حُرَّةٌ تُخْفِيهِ دَامِيَةٌ ... مَيْلُ الذَّوَائِبِ مَيْلَ الأَخْشَفِ الشُّدُنِ

10 ـ فَاسْتَخْلَصَتْ سِرَّهُ مِنْهُنَّ غَانِيَةٌ ... بِبَعْضِ طُورَتِهَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ

11 ـ ظَلَّتْ تُزَبِّرُهُ طَوْراً مُطَرِّقَةً ... بِأَصْفَرِ اللِّيطِ دَانِي غَايَةَ اللَّهَنِ

12 ـ مُخَمَّطٍ بِأَجَشِّ الصَّوْتِ تَحْسَبُهُ ... بَمَّ الكَرِينَةِ، عِنْدَ المَشْرَبِ الدَّرِنِ

13 ـ إِذَا نَحَاهُ لِنَدْفٍ نَادِفٌ طَرَحَتْ ... أَثْبَاجُهُ كُلَّ غِشٍّ كَانَ مِنْ حَسَنِ

14 ـ تَعَاوَرَتْهُ يَدٌ لَيْسَتْ مُتَوَجَّةً ... مُلْسَ المُتُونِ مِنَ الخَطِيَّةِ المُرُنِ

15 ـ تَشْكُو الهُزَالَ وَأَحْيَانًا إِذا سَمِنَتْ ... بَعْدَ الهُزَالِ تَشَكَّى ثِقْلَةَ السِّمَنِ

16 ـ سُمْرٌ مِنَ المَسِّ تَكْسُوهَا وَتَسْلُبُهَا ... أَيْدِي النَّوَاعِمِ بِيضٌ كَالمَهَا البُدُنِ

17 ـ مِنَ الدَّهَاقِينِ لَمْ تُسْلِمْ مَنَاسِبُهَا ... أَبَا نِزَارٍ وَقَدْ جَلَّتْ عَنِ اليَمَنِ

18 ـ إِلَّا بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَهُمْ ... خَيْرُ البَرِيَّةِ مِنْ بَاقٍ وَمُنْدَفِنِ

19 ـ جَاءَتْ بِهِ لَا تُدَانِي الشَّعْرَ رِقَّتُهُ ... يُرَى بِأَعْقَابِهِ مِنْ أَعْظَمِ العِيَنِ

20 ـ حَتَّى إِذَا مَا أَرَدْنَ النَّسْجَ رُدْنَ لَهُ ... مِنَ الحَرَاشِفِ (1) فَاشٍ حِذْقُهُ عَدَنِي

21 ـ تَدِقُّ فِطْنَتُهُ فِيمَا يُزَاوِلُهُ ... وَفِي الرَّوَاءِ غَلِيظُ الفَهْمِ وَالبَدَنِ

22 ـ إِذَا انْتَحَى سَتَرَ العُثْنُونُ صُدْرَتَهُ ... كَالقُطْنِ يُسْلِمُهَا لِلْمُشْطِ والدُّهُنِ

23 ـ مُغَضَّنُ الإِبْطِ مَحْسُورٌ مَغَابِنُهُ ... مِنَ القُعُودِ طِوَالَ الدَّهْرِ ذُو (2) ثَفِنِ

24 ـ كَأَنَّ رَاحَتَهُ قَدْ جُلِّلَتْ سَفَناً ... بَلْ مَسُّ رَاحَتِهِ يُرْبِي عَلَى السَّفَنِ

25 ـ فَمَدَّهُ بَيْنَ أَشْطَانٍ لَهُ بُرُقٍ ... إِلَى خَوَالِدَ لَا يُزْمِعْنَ بِالظَّعَنِ

26 ـ أَهْوَى لَهُ أَسْمَراً عَضْباً مَضَارِبُهُ ... كَالهُنْدُوَانِيِّ لَمْ يَكْتَنَّ فِي جَنَنِ

27 ـ وَأَجْوَفاً مِنْ نَبَاتِ الغِيلِ تُوجِبُهُ ... أَعَالِي الرَّوْقِ ذَا طَيْشٍ مِنَ الأَدَنِ

28 ـ «فَجَاءَ كَالسَّيْفِ الصِّينِيِّ يُشْبِهُهُ ... فِي لِينِ مُنْهَزَةٍ مَنْصُوبَةِ الدُّكَنِ» (4)

29 ـ كَأَنَّ قِشْرَتَهُ مِنْ بَعْدِ لِبْسَتِهِ ... غِرْقِيءُ بَيْضِ حَمَامِ الأَيْكَةِ الدُّجُنِ

30 ـ شَرَوْهُ فَابْتَاعَهُ مِنْ بَعْدِ مَا ارْتَعَدت ... عَنْهُ التِّجَارُ لِطُولِ السَّوْمِ وَالثَّمَنِ

رفع المسهم

31 ـ حَسِيرُ دَهْرٍ لَحِيّ مِنْ مُرُوءَتِهِ ... كَابَرْتُهُ وَعَلَيْهِ صَوْلَةُ الزَّمَنِ

32 ـ مُسْتَوْطِنٌ غَبَرَاتِ الدَّهْرِ سَاحَتُهُ ... كَأَنَّهَا لاَ تَرَى فِي النَّاسِ مِنْ وَطَنِ

33 ـ دَعَا لَهُ خَائِطاً حُلْواً شَمَائِلُهُ ... هَزَّازَ رَأْسٍ ضَرُوبَ الزَّوْرِ بِالذَّقَنِ

34 ـ مُحْدَوْدِباً . . . وُسْطَى أَنَامِلِهِ ... كَمَحّةٍ (3) أَجْهَضِ مُسْتَكْرَهِ العُكَنِ

35 ـ أَتَى بِهِ كَمَدَبِّ الذَّرّ أَدْرُزُهُ ... مَا يَسْتَبِينُ طَوِيلَ الذَّيْلِ والرُّدُنِ

36 ـ مَا أَنْ تَمَلَّيْتُهُ حَتَّى أُتِيحَ لَهُ ... خَفِيُّ دَبٍّ لَطِيفُ الخَطْمِ والأُذُنِ

37 ـ سَرِيعَةُ السَّمْعِ تُصْغِي ثُمَّ تَنْصِبُهَا ... تَحْتَ الظَّلاَمِ حِذَارَ الطَّائِرِ الطَّبَنِ

38 ـ تَرْنُو بِكَحْلاَءَ لاَ يَرْنُو بِهَا رَمَدٌ ... خَوْصَاءَ صَدَّاعَةٍ مُسْتَكْشِفَ الدَّجَنِ

39 ـ مُسْتَتْبِعٌ ذَنَباً كَالسَّيْرِ تَحْسَبُهُ ... سَقِيطَ مِدْرَى غَدَاةَ البَيْنِ مِنْ ظَغَنِ

40 ـ لَيْلاً فَغَادَرَهُ لِلرِّيحِ مُخْتَرَقاً ... فِيهِ وَصَاوِصُ كَالنَّحِيتَةِ الوُزُنِ

41 ـ لَمْ يَتْرُكْ مَوْضِعاً إِلاَّ تَتَبَّعَهُ ... كَذَاكَ مَنْ يَتْبَعُهُ الدَّهْرُ بِالإِحَنِ (4)

42 ـ عَامِي نَعَاهُ إِلَيَّ يَوْمَ لَبِسْتُهُ ... إِنَّ الزَّمَانَ عَلَيْهِ غَيْرُ مُؤْتَمَنِ (5)

43 ـ مَا لِي تَخَطَّتْ إِلَيَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ ... أَيْدِي الزَّمَانِ عَلَى عَمْدٍ لِتَقْتُلَنِي

44 ـ قَدْ صِرْتُ نَهْبَ هُمُومٍ مُذْ أُصِبْتُ بِهِ ... حَلِيفَ حُزْنٍ مُبِينَ السِّرّ وَالعَلَنِ

45 ـ كَأَنَّنِي حِينَ آوِي اللَّيْلُ مَسْكَنَهُ ... سَلِيمُ أَرْبَدَ يُحْمَى لَذْعَةَ الوَسَنِ

46 ـ عَنِ البُكَاءِ جَلِيٌّ مَا أُصِبْتُ بِهِ ... إِذْ لَيْسَ لِي بَعْدَهُ مَا مِنْهُ يَكْنِفُنِي

47 ـ أَقُولُ إِذَا سَاوَرَتْ قَلْبِي وَسَاوِسُهُ ... إِلَيْكَ يَا ابْنَ عَلِيٍّ مُشْتَكَى حَزَنِي

التخريج:

المنثور والمنظوم: قسم القصائد المفردات التي لا مثل لها ص 97 ـ 102.

ضبط النص:

1 ـ كذا بالأصل: «الحَرَاجِفَ» والحرجف الريح الباردة ولا معنى له هنا كما نبه إليه المحقق والظاهر أنه تحريف ولعل الصواب «الحَراشف» ج «حَرَنْشَف» كغضنفر بمعنى الغليظ أو العظيم (القاموس المحيط) وهو ما أثبتناه.

رفع المسهم

2 ـ في الأصل: «ذَا» وهو تحريف قوَّمناه.

3 ـ بيت به بياضٌ ولم نَهْتدِ إلى وجه المعنى فيه، أضف إلى ذلك أنّ كلمة «مُحْتَه» الواردة بالأصل لا معنى لها وجعلنا بدَلَها «مَحّة»: قطعة الثوب البالي، وهو ما يتوافق والسياق.

4 ـ خلل في وزن العجز لم نهتد إلى تقويمه.

5 ـ خلل في وزن هذا البيت نبّه إليه المحقّق ولم نهتد إلى تقويمه.

التعليـق:

هذه القصيدة كأختها العينية لخلف الأحمر (ص17) ممّا انفرد طيفور بروايته، ولا نجد لها أثراً البتّة فيما وصلتنا من مصادر الشعر العباسي. والملاحظ أن نصَّها لا يخلو في أكثر من موطن من خلَل جرَّ إليه ما يتخلّل القصيدةَ من بياض وما تعرَّض له بعضُ أبياتها من انخرام في الوزن. وستكون لنا عودة إلى هذا الأثر الفريد لمراجعة تحقيقه، حالما تصلنا جملةُ المخطوطات التي احتفظتْ بها خزائنُ لندن والقاهرة لقسم الشعر من كتاب المنظوم والمنثور لطيفور.

رفع المسهم

ما جمعناه من شعر ابن أبـي كريمة

القافية	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الباء	3	45
التاء	1	7
الراء	1	6
الطاء	1	2
النون	1	47
المجموع	7	107

البحر	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
البسيط	2	53
الطويل	3	38
الكامل	1	9
مجزوء الرمل	1	7
المجموع	7	107

ملاحظة:

الفهرس المفصل للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عموماً في تخريج شعر ابن أبـي كريمة وغيره من المقلين وتحقيق هذا الشعر ودراسته وضبط تراجم الشعراء ونقد أخبارهم، فذلك ما يجده القارىء في ذيل الجزء السادس من هذه المدونة.

رفع المسهم

ـ 3 ـ
أبـو شراعـة
(توفي نحو 230هـ)

● «مِنْ أَشْعَرِ أَهْلِ زَمَانِهِ»

ابن المعتز: طبقات الشعراء ص 475

● «جيّدُ الشّعر جزْلُهُ لَيْسَ بِرَقِيقِ الطّبْعِ ولا سَهْلِ اللّفْظِ وَهوَ كالبدَويّ الشِّعْرِ فِي مذْهَبِهِ».

الأصبهاني: الأغاني 23 ص 22

● «شِعْرُه عَرَبـيٌّ مَحْضٌ»

الحصري: «جمع الجواهر (عن المبرّد) ص 116

رفع المسهم

أبو شراعة وما تبقى من شعره

هو أحمد بن محمد بن شُرَاعَة القَيْسيّ من شعراء البصرة في المائة الثالثة وكان ملازماً لإبراهيم بن المدبّر (ت 279هـ) أيّامَ تقلّده الولايةَ بها. جمعَ بين قُبح الخِلْقَة وسماحَةِ الخُلُق «وكان جواداً لا يُسْأَلُ ما يقْدر عليه إلاّ سَمَحَ به (الأغاني 23 ص 22)» و «كَانَ حليماً مَأْلوفاً، كريمَ العِشْرَة (جمع الجواهر / عن المبرّد ص 116)». صَحِب الجاحَظ ورثاه عند موته، كما صَحِب ثلّةً من شعراء العصر منهم دعْبل الخزاعي (توفي 246هـ) والسِّدْريّ أبُو نَبْقَةَ (توفي نحو 250هـ) وعبد الصَّمد بن المُعذَّل (توفّي 240هـ) والجَمّاز (توفي 255هـ). عمّر طويلاً، فكان حيّاً في عهد المهدي وعاش إلى أيام المتوكل وأدركَ ابنَ المعتز. وكان أبو شُرَاعَة «من أشعر أهلِ زمانه قَدْ دُوِّنَتْ أشعارُه (الطبقات/ المختصر ص 457)... وكان جَيِّدَ الشّعر مليحَ المعاني صاحبَ نَظر (الطبقات ص 375)». ونَقَلَ لنا أخبارَه ابنُه أبو الفَيّاض سَوَّار وهو أحدُ الشّعراءِ الرُّوَاةِ (الأغاني 23 ص 22) الذين قَدِموا بغدادَ في مُسْتهلّ المائة الرابعة وأخذ عنهم أبو الفرج وأَصْحَابهُ. يذْكُر ابن النديم (الفهرست / طهران 168) أنّ مِمّا صَنَعَهُ الصُّولي شِعْر «ابن شُرَاعَة» ولا نعلم أيَعْنِي بذلك الأبَ أم الابنَ نظراً إلى احْتِمال تحريف لحق بالاسم وحوَّل أداةَ الأُبوَّة إلى أداة البُنوَّة.

* * *

نَلْمَسُ فيما تَبَقّى من شعره ـ وكثيرُه ممّا تَفَرَّد به كتابُ الأغاني ـ أثراً بيّناً

رفع المسهم

لثقافة البادية يقتطع منها الشاعر عن سجيّة صورةَ الرّجل الكَامِل وقد تَجمّعتْ فيه أخلاقُ المواساة، والبَذْل، والإيثَار، وطلب العُلَى (المقطوعة 13)، وأخلاقُ السّخاء، والأنفة (القصيدة 9)، وأخلاق الفُتوّة (المقطوعة 2)، وأخلاقُ الإشادة بكرم النّسب (القصيدة 6)، وأخلاقُ القناعة، والحيَاء وعُلُوّ الهِمّة (القصيدة 15)، وأخلاقُ المحبّة، والبِرّ وصِلَةِ الرّحم (المقطوعة 5)، وأخلاقُ الصَّبر، وجمال الخلقة، والتّجاوب، ورعاية العَهْد، والفَخْر بالأُصول (القصيدة 10) وأخلاقُ إباء الضَّيْم، وطلب المَكْرمات، والوَرَع (القصيدة 14). وهذه الصورة وإن كانت الطاغية في شعره، إلاّ أنّها تُجَانِبُ (بمعنى القرب لا المباعدة) صورة ثانية، هي صورة الشّاعـر الحَضَري يقتَطِعُ من المدينة بعضَ مسالكها في بَاب الفُكاهة والهَزْل، فنراه يدَاعب زوجَتَه (القصيدة عدد 7) ويمازح أحَدَ الأشْراف (القصيدة 12 (ويعابثُ صديقاً اغْتَابَهُ (القصيدتان 8 و 11) ويتفحّشُ مع بعض نُدَامائه (السينية: الأغاني 23/ ص 27) ويتحامق مع بعض أصْدِقَائه من الشّعراء (الرائية: الأغاني 23 وص 25) ولَعلَّ المبرّد قد أدرك هذا كلّه عندما قال: «وكان أبو شُراعة يقول من الشعر ما يجانب به مذاهبَ المُحْدثين ويقترفُ طريقَ الماضين وأهْلَ البادية: جمع الجواهر ص 116».

* * *

ما وقفنا عليه من شعره وأَخْباره ورد متناثراً في المصادر التالية:

- طبقات الشعراء ص 375 ـ 376 (خبر يفيد أنه تجاوز التّسعين و 4 أبيات).

- رسائل الجاحظ ج 2 ص 314 (بعض شعره ممّا ورد في الأغاني).

- الأغاني ج 23 ص 22 ـ 44 (ترجمة و 24 مقطعة وقصيدة).

- الموشح ص 491 (يصف المبرد قصيدة لأبـي شراعة بـ «الكلام الفصيح والمعاني الواضحة».

رفع المسهم

ـ سمط اللآلىء ص 134 (بيتان في مدح ابن المدبّر).

ـ ديوان المعاني ج 2 ص 229 (4 أبيات ممّا ورد في الأغاني).

ـ قطب السرور ص 376 (خبر يتعلّق بإدمانِه على الخمر) ص 552 (3 أبيات).

ـ زهر الآداب ص 163 (خبر يتعلق بقبح وجهه) ص 656 (3 أبيات).

ـ جمع الجواهر ص 116 ـ 117 (خبر منقول عن المبرّد يتعلّق بخلقُه وشعره و 4 أبيات في الهجاء ممّا لَمْ يرِد في سائر المصادر).

ـ تاريخ بغداد ج 12 ص 219 ـ 220 (5 أبيات في رثاء الجاحظ).

ـ البلدان (ط. أوروبا) ج 3 ص 183 (بيتان ممّا ورد في الأغاني).

المراجع الحديثة:

ـ ش. بلا: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرا ص 233 ـ 234.

ـ فؤاد سزقن: «تاريخ المأثورات العربية المدوّنة» ج 2 ص 509.

ـ 1 ـ

[الكامل][1]

1 ـ طَافَ الخَيَالُ وَلاَتَ حِينَ تَطَرُّبِ ... أَنْ زَارَ طَيْفٌ مُوهِناً مِنْ زَيْنَبِ

2 ـ طَرَقَتْ فَنَفَّرَتِ الكَرَى عَنْ نَائِمٍ ... كَانَتْ وِسَادَتُهُ ذِرَاعَ الأَرْحَبِي[2]

3 ـ فَبَكَى الشَّبَابَ وَعَهْدَهُ وَزَمَانَه ... بَعْدَ المَشِيبِ وَمَا بُكَاءُ الأَشْيَبِ!

التخريج:

ـ الأغاني/ دار الكتب ج 23 ص 21.

(1) المقطوعة من الأصوات المختارة في كتاب الأغاني.

(2) الأرحبي نسبة إلى أرحب قبيلة من بطون همدان (انظر جمهرة أنساب العرب ص 476).

رفع المسهم

— 2 —

[الطويل]

1 ـ أَئِنْ كُنْتُ فِي الفِتْيَانِ آلوْتُ سَيِّداً كَثِيرَ شُحُوبِ اللّونِ مُخْتَلِفَ العَصْبِ
2 ـ فَمَا لَكَ مِنْ مَوْلاَكَ إلاَّ حِفَاظُهُ وَمَا المَرْءُ إلاّ بِاللِّسَانِ وَبِالقَلْبِ
3 ـ هُمَا الأَصْغَرَانِ الذَّائِدَانِ عَنِ الفَتَى مَكَارِهَهُ والصَّاحِبَانِ عَلَى الخَطْبِ
4 ـ فَإلاَّ أُطِقْ سَعْيَ الكِرَامِ فَإنَّنِي أَفُكُّ عَنِ العَانِي وَأَصْبِرُ فِي الحَرْبِ

التخريج:

ـ الأغاني/ دار الكتب ج 23 ص 23.
ـ مختار الأغاني ج 1 ص 496.

اختلاف الرواية:

1 ـ المختار: «لَئِنْ» وهو تحريف...
2 ـ المختار: «شَدِيدَ شُحُوبِ اللّونِ مُخْتَلِطَ...».

— 3 —

[الكامل]

1 ـ مَا بَالُ سُعْدَى، أَخْلَفَتْ مِيعَادِي وَتَيَسَّرَتْ لِقَطِيعَتِي وَبِعَادي
2 ـ أَسُعَادُ هَلْ ذَنْبٌ سوَى أَنِّي امرُؤٌ شَغَلَتْ مَحَبَّتُكُمْ عَلَيَّ فُؤَادِي
3 ـ وَلَقَدْ دَنَوْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ بَخِيلَةٍ حَتَّى إِذَا أَطْمَعْتُ فِي المِيعَادِ
4 ـ بَرَقَتْ بَوَارِقُ مِنْ نَوَالِكَ خُلَّبٌ كَذِبُ العُدَاةِ صَوَاعِقُ الإيعَادِ

التخريج:

ـ طبقات الشعراء ص 376.

— 4 —

[البسيط]

1 ـ لا خَيرَ في العَيْشِ فاسمَعْ قولَ ذِي نُصُحٍ إنْ أَنْتَ لَمْ تَغْدُ سَكْرَاناً وَلَمْ تُرَحِ

رفع المسهم

2 ـ مِنْ قَهْوَةٍ كَشُعَاعِ الشّمْسِ صَافِيَةٍ تَنْفِي الهُمُومَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الفَرَحِ
3 ـ مَا زِلْتُ أَشْرَبُهَا وَاللّيْلُ مُعْتَكِرٌ حَتّى أَكَبَّ الكَرَى رَأْسِي عَلَى قَدَحِي

التخريج:

ـ قطب السرور ص 552.

ـ 5 ـ

قَالَ أَبُو الفَيّاض سَوَّار: نظرَ إليَّ أبي يَوْماً وَقَدْ سَأَلْتُ عمّي حَاجَةً فَرَدَّنِي فَبَكَى، ثم قال:

[البسيط]

1 ـ حُبِّي لإِغْنَاءِ سَوَّارٍ يُجَشِّمُنِي خَوْضَ الدُّجَى وَاعْتِسَافَ المَهْمَهِ البِيدِ
2 ـ كَيْ لاَ تَهُونَ عَلَى الأَعْمَامِ حَاجَتُهُ وَلاَ يُعَلّلَ عَنْهَا بِالمَوَاعِيدِ
3 ـ وَلاَ يُوَلِّيهِمُ إِنْ جَاءَ يَسْأَلُهَا أَكْتَافَ مَعْرَضَةٍ فِي العِيسِ مَرْدُودِ
4 ـ إِذَا بَكَى قَالَ مِنْهُمْ ذُو الحِفَاظِ لَهُ لَقَدْ بُلِيتَ بِخُلْقٍ غَيْرَ مَحْمُودِ

التخريج:

ـ الأغاني/ دار الكتب ج 23 ص 27 ـ 28.

ـ 6 ـ

[الطويل]

1 ـ عَدَوْتُ إِلَى المُرِّيِّ عَدْوَةَ فَاتِكٍ مِعَنٍّ خَلِيعٍ لِلْعَوَاذِلِ وَالعُذْرِ
2 ـ فَقَالَ لِشَيْءٍ مَا أَرَى قُلْتُ حَاجَةٌ مُغَلْغَلَةٌ بَيْنَ المُخَنَّقِ وَالنَّحْرِ
3 ـ فَلَمّا لَوَانِي يَسْتَثِيبُ زَجَرْتُهُ وَقُلْتُ اِغْتَرِفْ إِنّا كِلاَنَا عَلَى بَحْرِ
4 ـ أَلَيْسَ أَبُو إِسْحَاقَ فِيهِ غِنًى لَنَا فَيُجْدِي عَلَى قَيْسٍ وَأُجْدِي عَلَى بَكْرِ
5 ـ فَغَنّى بِذَاتِ الخَالِ حَتّى اسْتَخَفّنِي وَكَادَ أَدِيمُ الأَرْضِ مِنْ تَحْتِنَا يَجْرِي

رفع المسهم

التخريـج :

ـ الأغاني/ دار الكتب ج 23 ص 23 ـ 24.

التعليـق :

صَدَّرَ أبو الفرج هذه الأبيات بالخبر التالي:

«أَخبرَنِي عَمِّي قال: أَخْبَرَنِي مَيْمُونُ بنُ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثنِي [أَبُو إِسْحَاقَ] إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُدَبِّرِ قَالَ:

كَانَ عِنْدِي أَبُو شُرَاعَةَ بالبَصْرَةِ، وَأَنَا أَتَوَلَّاهَا، وَكَان عِنْدي عُمَيْرُ المُغَنِّي المَدَنِيُّ، وَكَانَ عُمَيْرُ بْنُ مُرَّةَ غَطَفَانِيّاً، وَكَانَ يُغَنِّي صَوْتاً يُجِيدُهُ، وَاخْتَارَهُ عَلَيْهِ وَهْوَ:

[الطويل]

أَتَحْسِبُ ذَاتَ الخَالِ رَاجِيَةً رَبّا ... وَقَدْ صَدَعَتْ قَلْباً يُجَنُّ بِهَا حُبَّا

فَاقْتَرَحَهُ أَبُو شُرَاعَةَ عَلَى عُمَيْر، فقال: أَعْطِنِي دَراهِمَ، حتّى أَقْبَلَ اقْتِرَاحَكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو شُرَاعَةَ: أَخْذُ المُغَنِّي مِنَ الشّاعِرِ يدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الشّاعِرِ، وَلَكِنّي أَعْرِضُكَ لأَبِي إِسْحَاقَ، فَغَنّاهُ إِيّاهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَقَدْ شَرِبَ عَلَيْهِ ثَلاثَةَ أَرْطَالٍ، وَقَالَ: . . . (القصيدة)».

ـ 7 ـ

«قالَ سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ: حَلَفَ أَبِي أَلَّا يَشْرَبَ نَبِيذاً بِطَلَاقِ امْرَأَةٍ كَانَتْ عِنْدَهُ، فَهَجَرَهُ حَوْلَيْنِ، ثُمَّ حَنَثَ، فَشَرِبَ، وَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

[الطويل]

1 ـ فَمَنْ كَانَ (1) لَمْ يَسْمَعْ عَجِيباً فإِنَّني ... عَجِيبُ الحَدِيثِ يَا أُمَيْمَ وَصَادِقُهْ

2 ـ وَقَدْ كَانَ لِي أُنْسَانِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... وَكُلٌّ إِذَا فَتَّشْتَنِي أَنَا عَاشِقُهْ

3 ـ عَزِيزَةُ وَالكَأْسُ التِي مَنْ يُحِلُّهَا ... تُخَادِعُهُ عَنْ عَقْلِهِ فَتُصَادِقُهْ (2)

4 ـ تَحَارَبَتَا عِنْدِي فَعَطَّلْتُ دَنَّهَا ... وَأَكْوَابَهَا وَالدَّهْرُ جَمٌّ بَوَائِقُهْ

رفع المسهم

5 ـ وَحَرَّمْتُهَا حَوْلَيْنِ ثُمَّ أَزَلْنِي (3) حَدِيثُ النَّدَامَى وَالنَّشِيدُ أُوَافِقُهْ

6 ـ فَلَمَّا شَرِبْتُ الكَأْسَ بَانَتْ بِأُخْتِهَا فَبَانَ الغَزَالُ المُسْتَحَبُّ خَلاَئِقُهْ

7 ـ فَمَا أَطْيَبَ الكَأْسَ التي اعْتَضْتُ مِنكُمُ وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ بِرِيمٍ أُعَانِقُهْ

التخريج:

- الأغاني ج 23 ص 28 ـ 29.
- مختار الأغاني ج 1 ص 497.

اختلاف الرواية:

1 ـ مختار الأغاني: «فمَنْ يَكُ».

2 ـ مختار الأغاني: «وَتُسَارِقُهْ».

3 ـ مختار الأغاني: «فَحَرَّمْتُهَا حَوْلَيْنِ ثُمَّ أَزَالَنِي».

ـ 8 ـ

«كَانَ أَبُو أُمَامَةَ محمّدُ بنُ مُحَمّدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلْمٍ ـ وأُمُّهُ سُعْدَى بنتُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلْمٍ ـ صَدِيقاً لأَبي شُرَاعَةَ، وكَانَتْ أُمُّهُ سُعْدى تعُولُه، فَكَانَ أَبُو شُرَاعَةَ لاَ يزالُ يَعْبَثُ بِهِ، وَبَلَغَهُ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ: إِنّمَا مَعَاشُ أَبي شُرَاعةَ مِنَ السُّلْطَانِ وَرِفْدِه، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَكَانَ فَقِيراً، فَقَالَ فِيهِ:

[البسيط]

1 ـ عَيّرْتَنِي نَائِلَ السُّلْطَانِ أَطْلُبُه يَا ضَلَّ رَأْيُكَ بَيْنَ الخُرْقِ وَالنَّزَقِ

2 ـ لَوْلاَ امْتِنَانٌ مِنَ السُّلْطانِ تَجْهَلُهُ أَصْبَحْتُ بالسّوْدِ[1] فِي مُقْعَوْعِسٍ خَلَقِ

3 ـ رَثَّ الرِّدَا[2] بَيْنَ أَهْدَامٍ مُرَقّعَةٍ يَبِيتُ فِيهَا بِلَيْلِ الجَائِعِ الفَرِقِ

4 ـ لاَ شَيْءَ أَثْبَتُ بِالإِنْسَانِ مَعْرِفَةً مِنَ التِي حَزَمَتْ جَنْبَيْهِ بِالخِرَقِ

(1) السود: جبل بنجد، أو جبل بقرب حصنٌ في ديار جشم بن بكر أو هي قرية (انظر معجم البلدان).

(2) لاحظ سقوط الهمزة تخفيفاً وهو مما يجوز عند الضرورة.

رفع المسهم

5 ـ فَـأَيْـنَ دَارُكَ مِنْهَـا وَهْـيَ مُـؤْمِنَـةٌ ... بِـاللهِ مَعْـرُوفَـةُ الإِسْـلاَمِ وَالشَّفَـقِ

6 ـ وَأَيْـنَ رِزْقُـكَ إِلاَّ مِـنْ يَـدَيْ مَرَةٍ(*) ... مَـا بِـتَّ مِـنْ مَـالِهَـا إِلاَّ عَلَـى سَـرَقِ

7 ـ تَبِيـتُ وَالهِـرَّ مَمْـدُوداً عُيُـونُكُمَـا ... إِلَـى تَطَعُّمِهَـا مُخْضَـرَّةَ الحَـدَقِ

8 ـ مَا بَيْنَ رِزْقَيْكُمَا إِنْ قَاسَ ذو فِطَنٍ ... فَـرْقٌ سِـوَى أَنَّـهُ يَـأْتِيـكَ فِـي طَبَـقِ

9 ـ شَارَكْتَهُ فِي صَيْـدِه لِلْفَـأْرِ تَـأْكُلُـهُ ... كَمَـا تُشَـارِكُـهُ فِـي الـوَجْـهِ وَالخُلُـقِ

التخريـج:

ـ الأغاني: ج 23 ص 30 ـ 31.

ـ البلدان (ط. أوروبا) ج 3 ص 184 (1 ـ 2).

ـ 9 ـ

«بَلَغَهُ أَنّ أَخَاهُ يَقُولُ: إِنّ أَخِي مَجْنُونٌ [لِفَرْط بذْلِه]، وقَدْ أَفْقَرَنَا ونفسَهُ، فقال: . . . »: **[الطويل]**

1 ـ أَأُنْبَزُ (1) مَجْنُوناً إِذَا جُدْتُ بِالّذي ... مَلَكْـتُ وَإِنْ دَافَعْـتُ عَنْـهُ فَعَـاقِـلُ

2 ـ فَدَامُوا عَلَى الزُّورِ الذِي (2) قُرِفُوا به ... وَدُمْـتُ عَلَـى الإِعْطَـاءِ مَـا جَـاءَ سَـائِـلُ

3 ـ أَبَيْـتُ وَتَـأْبَـى لِـي رِجَـالٌ أَشِحّـةٌ ... عَلَـى المَجْـدِ تَنْمِيهِـمْ تَمِيـمٌ وَوَائِـلُ

التخريـج:

ـ الأغاني/ دار الكتب ج 23 ص 23.

ـ مختار الأغاني ج 1 ص 495 ـ 496.

اختـلاف الروايـة:

1 ـ المختار: «أُنبَزُ».

2 ـ المختار: «عَلَى النّبْزِ».

(*) لاحظ سقوط الهمزة تخفيفاً، وهو ما يجوز عند الضرورة.

رفع المسهم

ـ 10 ـ

[الطويل]

1 ـ إليك ابن موسى(*) الجُودِ (1) أعملْتُ ناقتي ... مُجَلَّلَـةً يَضْفُـو عَلَيْهَـا جِـلاَلُهَـا

2 ـ كَتُومُ الوَجَى لاَ تَشْتَكِي أَلَمَ السُّرَى ... سَـوَاءٌ عَلَيْهَـا مَـوْتُهَـا وَاعْتِـلاَلُهَـا

3 ـ إذا شَرِبتْ (2) أبصَرْتَ ما جوْفُ بَطْنِهَا ... وَإِنْ ظَمِئَتْ (3) لَـمْ يَبْـدُ مِنْهَـا هُـزَالُهَا

4 ـ وإنْ حَملَتْ حِملاً تَكَلَّفْتُ (4) حِمْلَهَا ... وَإِنْ حُطَّ عَنْهَا لَمْ أَقُلْ (5) كَيْفَ حَالُهَا؟

5 ـ بَعَثْنَـا بِهَـا تَسْمُـو العُيُـونُ وَرَاءَهَـا ... إِلَيْـكَ وَمَـا يُخْشَـى عَلَيْهَـا كَـلاَلُهَـا

6 ـ وَغَنَّـى مُغَنِّينَـا بِصَـوْتٍ فَشَـاقَنِـي ... مَتَـى رَاجِـعٌ مِـنْ أُمِّ عَمْـرٍو خَيَـالُهَـا

7 ـ أُحِبُّ لَكُـمُ قَيْسَ بنَ عَيْلاَنَ كُلَّهَا ... وَيُعْجِبُنِـي فُـرْسَـانُهَـا وَرِجَـالُهَـا

8 ـ وَمَـا لِـيَ لاَ أَهْـوَى بَقَـاءَ قَبِيلَـةٍ ... أَبُـوكَ لَهَـا بَـدْرٌ وَأَنْـتَ هِـلاَلُهَـا

التخريـج:

- الأغاني/ دار الكتب ج 23 ص 33.
- جمع الجواهر ص 117.

اختـلاف الروايـة:

1 ـ جمع الجواهر: «مُوسى الخَيْرِ».
2 ـ جمع الجواهر: «إذَا سَقِيَتْ».
3 ـ جمع الجواهر: «وإنْ تُرِكَتْ».
4 ـ جمع الجواهر: «تَحَمَّلْتُ».
5 ـ جمع الجواهر: «لَم أَبَلْ».

(*) هو سعيد بن موسى بن سلم الباهلي من جلساء موسى الهادي (انظر الطبري ج 8 ص 227).

رفع المسهم

ـ 11 ـ

«قَالَ أَبُو الفَيّاض: وَزَارَهُ أَبُو أُمَامَةُ[1] يوماً فَوَجَدَ عِنْدَهُ طَفْشيلاً فَأَكَلَهُ كُلَّه، فَقَالَ أَبُو شُرَاعَة يُمَازِحُهُ:

[الخفيف]

1 ـ عَيْنُ جُودي لِبُرْمَةِ الطَّفْشِيلِ وَاسْتَهِلّي فَالصَّبْرُ غَيْرُ جَمِيلِ
2 ـ فجَعَتْنِي بِهَا يَدٌ لَمْ تَدَعْ للـ ـذَّرّ فِي صَحْنِ قِدْرِهَا مِنْ مَقِيلِ
3 ـ كَانَ وَاللهِ لَحْمُهَا مِنْ فَصِيلٍ رَاتِعٍ يَرْتَعِي كَرِيمَ البُقُولِ
4 ـ فَخَلَطْنَا بِلَحْمِهِ عَدَسَ الشّام إِلَى حِمّصٍ لَنَا مَبْلُولِ
5 ـ فَأَتَتْنَا كَأَنَّهَا رَوْضَةٌ بِالحَزْنِ تَدْعُو الجِيرَانَ للتّطْفِيلِ
6 ـ ثُمَّ أَكْفَأْتُ فَوْقَهَا جَفْنَةَ الحَيّ وَعَلّقْتُ صَحْفَتِي فِي زَبِيلِ
7 ـ فَمَنَى اللَّهُ لِي بِفَظٍّ غَلِيظٍ مَا أَرَاهُ يُقِرُّ بِالتّنْزِيلِ
8 ـ فَانْتَحَى دَائِباً يُدَبِّلُ مِنْهَا قُلْتُ: إِنَّ الشَّرِيدَ للتّذْبِيلِ
9 ـ فَتَغَنَّى صَوْتاً لِيُوضِحَ عِنْدِي «حَيِّ أُمَّ العَلاَء قَبْلَ الرَّحِيلِ»

التخريج:

الأغاني: ج 23 ص 31.

ـ 12 ـ

[وقَالَ في بَاب المُمَازَحَة وَقَدْ حَجَّ فَأَتَى دَارَ سَعِيد بن سَلْم[2] ـ وقَدْ مَرَّ ذِكْرُه ـ فَنَحَرَ فِيهَا مُخَادَعَةً نَاقَةً عَجْفَاءَ]:

[البسيط]

1 ـ وَرَدْتُ دَارَ سَعِيدٍ وَهْيَ خَالِيَةٌ وَكَانَ أَبْيَضَ مِطْعَاماً ذُرَى الإِبِلِ

(1) أمامة هذا صديق لأبي شراعة: انظر قصيدته فيه رقم 8 والخبر الذي يصدرها.
(2) انظر القصيدة رقم 8.

رفع المسهم

2 ـ فَارْتَحْتُ فِيهَا أَصِيلاً عِنْدَ ذُكْرَتِه وَصُحْبَتِي بِمِنًى لاَ هُونَ فِي شُغُلِ
3 ـ فَابْتَعْتُ مِنْ إِبِلِ الجَمّال دَهْشَرَةً مَوْسُومَةً لَمْ تَكُنْ بِالحِقَّةِ العُطُلِ
4 ـ نَخَرْتُهَا عَنْ سَعِيدٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ زُورُوا الحَطِيمَ فَإِنِّي غَيْرُ مُرْتَحِلِ

التخريج:

الأغاني/ دار الكتب ج 23 ص 30.

ـ 13 ـ

«وَوَقَفَ عليه سَائِلٌ يَوْماً فَرَمَى إِلَيْهِ بِنَعْلِه وَانْصَرَفَ حَافِياً، فَعَثَر فدَمِيَتْ إِصْبِعُهُ فَقَالَ في ذلك: . . . ».

[الطويل]

1 ـ أَلاَ أُبَالِي فِي العُلَى ما أَصَابَنِي وَإِنْ نَقِبَتْ نَعْلاَيَ أَوْ حَفِيَتْ رِجْلِي
2 ـ فَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَطُّ أَحْسَنَ مَنْظراً من النَّكْب يَدْمَى (1) في المُوَاسَاة والبَذْلِ
3 ـ وَلَسْتُ أُبَالِي مَنْ تَأَوَّبَ مَنْزِلِي إِذَا بَقِيَتْ عِنْدي السَّرَاويلُ أَوْ نَعْلِي

التخريج:

ـ الأغاني/ دار الكتب ج 23 ص 22.
ـ مختار الأغاني ج 1 ص 445 (1 ـ 2).

اختلاف الرواية:

1 ـ المختار: «مِنَ الرِّجْلِ تَدْمَى».

ـ 14 ـ

«قال أَبُو الفَيّاض: وَكَانَ بَيْنَ بَعْض بَنِي عَمِّنَا وبَيْن أَبِي شُرَاعَةَ وَحْشَةٌ ثُمَّ

رفع المسهم

صَالَحُوهُ، وَدَعَوْهُ إِلَى طَعَامِهِمْ، فأَبَى، وَقَالَ: أَمِثْلِي يَخْرُجُ مِنْ صَوْمٍ إِلَى طَعْمٍ، وَمِنْ شَتِيمَةٍ إِلَى وَلِيمَةٍ، وقال:

[الوافر]

1 ـ بَنِي سَوَّارَ إِنْ رَثَّتْ ثِيَابِي ... وَكُلَّ عَنِ العَشِيرَةِ فَضْلُ مَالِي
2 ـ فَمُطَّرَحٌ ومَتْرُوكٌ كَلاَمِي ... وَتَجْفُونِي الأَقَارِبُ والمَوَالِي
3 ـ أَلَمْ أَكُ مِنْ سَرَاةِ بَنِي نُعَيْمٍ ... أَحُلُّ البَيْتَ ذَا العَمَدِ الطِوَالِ
4 ـ وَحَوْلِي كُلُّ أَصْيَدَ تَغْلَبِيٍّ ... أَبِيٍّ الضَيْمِ مُشْتَرَكُ النِّوَالِ
5 ـ إِذَا حَضَرَ الغَدَاءُ فَغَيْرُ مُغْنٍ ... وَيُغْنِي حِينَ تَشْتَجِرُ العَوَالِي
6 ـ وَأَبْقُونِي فَلَسْتُ بِمُسْتَكِينٍ ... لِصَاحِبِ ثَرْوَةٍ أُخْرَى اللَّيَالِي
7 ـ وَلاَ بِمُمَسَّحِ المُثْرِينَ كَيْمَا ... أُمَسَّحَ مِنْ طَعَامِهِمْ سِبَالِي
8 ـ أَنَا ابْنُ العَنْبَرِيَّةِ أَزَّرَتْنِي ... إِزَارَ المَكْرُمَاتِ إِزَارَ خَالِي
9 ـ فَإِنْ يَكُنِ الغِنَى مَجْداً فَإِنِّي ... سَأَدْعُوا اللَّهَ بِالرِّزْقِ الحَلاَلِ

التخريج:

الأغاني/ دار الكتب ج 23 ص 36.

ـ 15 ـ

«قالَ أَبُو الفيّاض: سَقَطَتْ دَارُنَا بِالبَصْرَة، فَعُوتِب أَبِي عَلَى بِنَائِهَا وقِيلَ له: اسْتَعِنْ بِإِخْوَانِكَ إِنْ عجَزْت عنْهُ فَقَال: . . .»

[الطويل]

1 ـ تَلُومُ (1) ابْنَةُ البِكْرِيّ حينَ أَؤُوبُهَا ... هَزِيلاً وَبَعْضُ الآئِبِينَ سَمِينُ
2 ـ وَقَالَتْ: لَحَاكَ اللَّهُ تَسْتَحْسِنُ العَرَا ... عَنِ الدَّارِ إِنَّ النَّائِبَاتِ فُنُونُ
3 ـ وَحَوْلَكَ إِخْوَانٌ كِرَامٌ لَهُمْ غِنًى ... فَقُلْتُ لإِخْوَانِي: الكِرَامُ عُيُونُ
4 ـ ذَرِينِي أَمُتْ قَبْلَ احْتِلاَلِ مَحلّةٍ (2) ... لَهَا فِي وُجُوهِ السَّائِلِينَ غُضُونُ
5 ـ سَأَفْدِي بِمَالِي مَاءَ وَجْهِيَ إِنَّنِي ... بِمَا فِيهِ مِنْ مَاءِ الحَيَاءِ ضَنِينُ

رفع المسهم

التخريـج :

ـ الأغاني/ دار الكتب ج 23 ص 26.

ـ جمع الجواهر ص 116 (1، 4 ـ 5) مَعَ إيرَاد صَدْرِ البيت الثاني مؤتلفاً مع عَجُزِ البيت الثالث، وإضافَة البيت التّالِي بَعْد بَيْتِ الطالع :

لَـكَ الخَيْـرُ لاَ يَـدْخُـلْ لأَهْلِـكَ رَحْلُـهُ فَـإنّـكَ فِـي القَـوْمِ الكِـرَامِ مَكِيـنُ

اختلاف الرواية :

1 ـ جمع الجواهر : «تَقُولُ».

2 ـ جمع الجواهر : «وأَفْدِي بِمَالِي مَاءَ وَجْهِي فَإنّنِي».

رفع المسهم

ما جمعناه من شعر أبـي شراعة

القافية	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الباء	2	7
الدال	2	8
الحاء	1	3
الراء	1	5
القاف	2	16
اللام	6	36
النون	1	5
المجموع	15	80
البحر	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الطويل	7	35
البسيط	4	20
الوافر	1	9
الخفيف	1	9
الكامل	2	7
المجموع	15	80

ملاحظـة:

الفهرس المفصل للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عموماً في تخريج شعر أبـي شراعة وغيره من المقلين وتحقيق هذا الشعر ودراسته وضبط تراجم الشعراء ونقد أخبارهم فذلك ما يجده القارىء في ذيل الجزء السادس من هذه المدونة.

رفع المسهم

- 4 -

أبو الخطاب البهدلي

(كان حيّاً أيام الرشيد)

● «وَأَشْعَارُ أَبِـي الخَطّاب كَثِيرَةٌ جَيِّدَةٌ. . . وَقَدْ جَمَعَ إِلَى قُوَّةِ الكَلاَمِ مَحَاسِنَ المَوَلّدِين وَمعَانِي المُتَقَدّمِينَ».

ابـن المعتز: طبقات الشعراء ص 134

رفع المسهم

أبو الخطاب البهدلي وما تبقى من شعره

هو عمْرو (أو عُمَرُ) بن عامر البَهْدَلِيّ التّميميّ (أو السّعديّ المعروف بابن الأشدّ أو الأسد، حسب بعض الروايات) مِنْ شُعراء البَصْرة، وكان رَاجزاً فصيحاً رَاويَةً، أَخَذَ عنه الأصمعيّ وجعَلَه حُجّةً، وَرَوَى شعرَه، كان حيّاً في أيّام هارون الرّشيد، واتّصل بموسى الهادي والفَضْل بن يحيى البَرْمكي، وهو أحدُ العُرْجَان. ما تبقّى من ديوانه (30 ورقة حسب ابن النديم) وهو قليل، يُذكّرنا بمنْحَى خَلَف الأَحْمر (انظر هذا المجموع ص 11 ـ 117) ويَجْمع إلى فَصاحة الأَعْراب حَسَاسِيةَ أَهل المدينة. وهو بذلك يُمثّل أحسن تَمْثيل مَسْلَكَ الأَصالةِ في الشّعر العربي في النصف الأخير من المائة الثّانيَة (انظر الأرجوزة الهازلة التي يُعَرِّض فيها بزوجته وقصيدتَه في موسى الهادي حيث تَتَزَاوجُ خصائصُ الشعر الجَزْل بأساليب المولّدين).

ما وقفنا عليه من شعره وأَخْبَاره وردَ مُتَنَاثِراً في المصادر التالية: الورقة (ص 64 ـ 65) ـ طبقات الشعراء (ص 132 ـ 136) ـ مجالس ثعلب (ج 1 ص 161 ـ 163) ـ البيان والتبيين (ج 1 ص 6) ـ/ الفهرست/ طهران (ص 52، 188) جمع الجواهر (ص 5) ـ بدائع البدائه (ص 288).

المراجع الحديثة:

ـ بلا (الجاحظ...) ص 193 ـ فؤاد سزقن (تاريخ...) ج 2 ص 523.

* * *

ـ I ـ قسم الرجز

ـ 1 ـ

قال في باب الهَزْل مُعَرّضاً بعَرَجه:

رفع المسهم

(أ) **رواية الورقة/** ص 65 ـ 66.

[الرجز]

1 ـ قُلْتُ لِرِجْلِي وَهْيَ عَرْجَاءُ الخُطَى ... تَشْكُـو إلَـيَّ وَجَعـاً مِـنَ النَّسَـا

2 ـ أَوْ مِنْ أَذَى الرّيح فَفِي الرّيحِ الأَذَى ... مُـوتِـي وَهَيْهَـاتَـكِ مِـنْ أَخْـذِ العَصَـا

3 ـ وَمِـنْ تَـرَجِّيـكِ الـذِي لاَ يُـرْتَجَـى ... أَتَفْضَحِينِـي بَيْـنَ حُـورٍ كَـالمَهَـا

4 ـ أَوَانِـسٍ مِثْـلِ تَصَـاوِيـرِ الـدُّمَـى ... كَـمْ بَيْـنَ قَـوْلِ الغَـانِيَـات: يَـا فَتَـى

5 ـ وَقَـوْلِهِـنَّ: شَـابَ هَـذَا وَانْحَنَـى ... أَشُـدُّهُ مِنْهُـنَّ كَيْمَـا لاَ يُـرَى

6 ـ جَبِيـنَ وَجْـهٍ وَجَبِينـاً فِـي القَفَـا ... وَإِنْ بَـدَا رَمَيْـنَ رَأْسِـي بِـالحَصَـى

(ب) **رواية طبقات الشعراء/** ص 135.

1 ـ قُلْتُ لِرِجْلِي وَهْيَ عَوْجَاءُ الخُطَى ... تَشْكُـو إِلَـيَّ وَجَعـاً مِـنَ النَّسَـا

2 ـ وَمِنْ أَذَى العِرْقِ وَفِي العِرْقِ أَذَى ... مُـرّي فَهَيْهَـاتَـكِ مِـنْ أَخْـذِ العَصَـا

3 ـ لاَ تَطْمَعَـنَّ فِـي الـذِي لاَ يُشْتَهَـى ... وَفِـي تَسَعِّـكِ الـذِي لا يُـرْتَجَـى

4 ـ كَـمْ بَيْـنَ قَـوْلِ الغَـانِيَـات: يَـا فَتَـى ... وقَـوْلِهِـنَّ: شَـابَ هَـذَا وَانْحَنَـى

5 ـ وَقَـدْ نَظَـرْنَ اليَـوْمَ مِـنْ قُبْـحِ الجَـلاَ ... جَبِيـنَ وَجْـهٍ وَجَبِينـاً فِـي القَفَـا

6 ـ أُسِـرُّهُ مِنْهُـنَّ كَيْمَـا لاَ يُـرَى ... وَلَـوْ بَـدَا رَمَيْـنَ رَأْسِـي بِـالحَصَـا

التعليـق:

نلاحظ عند المقارنة أنَّ الروايتيْن تَجْمعان إلى الاخْتلاف البيّنِ في اللّفظ والترتيب والعدد خَلَلاً صريحاً في نَسَقِ المعاني وهو ما اجتهدْنا في تقْويمه بأنْ أدمَجْنا الروايتين وأقرَرْنَا نظاماً جديداً للقصيدة اعتمدنا فيه وحدة الموضوع:

(ج) **تخريجنا للقصيدة:**

1 ـ قُلْتُ لِرِجْلِي وَهْيَ عَرْجَاءُ الخُطَى

2 ـ تَشْكُـو إِلَـيَّ وَجَعـاً مِـنَ النَّسَـا

3 ـ أَوْ مِنْ أَذَى الرّيحِ فَفِي الرّيحِ الأَذَى

رفع المسهم

4 ـ مُوتِي وَهَيْهاتكِ مِنْ أَخْذِ العَصَا
5 ـ لاَ تَطْمَعَنَّ فِي الذِي لاَ يُشْتَهَى
6 ـ وَفِي تَرَجِّيكِ الذي لاَ يُرْتَجَى
7 ـ أَتَفْضَحِينِي بَيْنَ حُورٍ كَالمَهَا
8 ـ أَوَانِسٍ مِثْلِ تَصَاوِيرِ الدُّمَى
9 ـ كَمْ بَيْنَ قَوْلِ الغَانِيَاتِ يَا فَتَى
10 ـ وَقَوْلِهِنَّ شَابَ هَذَا وَانْحَنَى
11 ـ وَقَدْ نَظَرْنَ اليَوْمَ مِنْ قُبْحِ الجَلا
12 ـ جَبِينَ وَجْهٍ وَجَبِيناً فِي القَفَا
13 ـ أُسِرُّهُ مِنْهُنَّ كَيْمَا لاَ يُرَى
14 ـ وَلَوْ بَدَا رَمَيْنَ رَأْسِي بِالحَصَى

ـ 2 ـ

[الرجز]

1 ـ قُلْ لِلّيَالِي : مَا أَرَدْتِ فَاصْنَعِي ... إِنَّ الّذِي أَبْلَيْتِهِ لَمْ يَرْجِعِ
2 ـ مِنَ الشَّبَابِ فَأَجِدِّي أَوْ دَعِي ... وَأَنْتِ قَدْ أَوْدَعْتِ شَرَّ مُودَعِ
3 ـ تَقَرُّحٌ فِي بَدَنِي وَأَضْلُعِي ... وَضَعْفُ صُلْبِي وَاشْتِكَاءُ أَخْدَعِي
4 ـ بِوَجَعٍ نَظِيرُهُ لَمْ أَيْجَعِ ... مَا فِيَّ يَا عَاذِلُ مِنْ مُسْتَمْتَعِ
5 ـ أَنْحَلَنِي كَرُّ اللّيَالِي الرُّجَّعِ ... تِسْعِينَ قَدْ وَصَلْتُهَا بِأَرْبَعِ
6 ـ وَيْحَكَ كُفِّي عَنْ مَلاَمِي وَارْبَعِي ... وَحَقِّ مَا أُلْقِي إِلَيْكِ فَاسْمَعِي
7 ـ إِنِّي لَوْ عُمِّرتُ عُمْرَ الأَصْمَعِيّ ... وَعُمْرَ لُقْمَانَ وَعُمْرَ تُبَّعِ
8 ـ وَنِسْرِ لُقْمَانَ الهِجَفِّ الأَقْرَعِ ... مَا كَانَ بُدٌّ مِنْ تَبَوِّي مَضْجَعِي
9 ـ فِي عَرْضِ شِبْرَيْنِ وَخمسٍ أَذْرُعِ ... فِي مَضْجَعٍ سَاكِنُهُ لَمْ يَهْجَعِ

رفع المسهم

التخريج:

الورقة: ص 64 ـ 65.

ـ 3 ـ

«أهدَى رجلٌ من أَهْلِ البَصْرة إلى أَبِي الخَطّابِ البَهْدَليّ خَرُوفاً مَهْزُولاً فقال أبو الخطّاب:

[الرجز]

1 ـ أَهْـدَى إِلَيْنَـا مَعْمَـرٌ خَـرُوفَـا ... كَـانَ زَمَـانـاً عِنْـدَهُ مَكْتُـوفَـا

2 ـ يَعْلُفُـهُ الكُسْتُـجَ (1) والسّفُـوفَـا ... والفَـارِقُـونَ (2) بَعْـدَهُ مَـدُوفَـا

3 ـ حَتّـى إِذَا مَـا صَـارَ مُسْتَجِيفَـا ... أَهْـدَى فَـأَهْـدَى قَصَبـاً مَلْفُـوفَـا

4 ـ جُلِّـلَ جِلْـداً (3) فَـوْقَـهُ وَصُـوفَـا ... وَكَـانَ مِـنْ فِعَـالِـهِ مَـوْصُـوفَـا

التخريج:

ـ الورقة ص 64 (1 ـ 4).

ـ التّحف والهدايا ص 128 (1 ـ 4).

ـ الفهرست (طهران) ص 52 (1، 3).

اختلاف الرواية:

1 ـ كذا في الورقة: «الكَشِيح» وهو تحريف والإصلاح عن التّحف.

2 ـ التّحف: «الغَارِقُون» وفسّره المحقّق بـ«الغَارِيقُون والأَغَارِيقُون» وقال: إنّه أصلُ نبَات. أما «الفَارِقُون» فَلَعَلّه من «الفَرْق» أَيْ نَبَاتُ الكِتّانِ.

3 ـ التّحف: «عَظَماً وَجِلْداً».

ـ 4 ـ

قال في باب الهَزْل مُعَرّضاً بامْرَأَة لَعلّهَا زوجتُه وَيصِفُ حَالَه[1]:

---

(1) قارن بالأرجوزة التي رجحنا نسبتها إلى خلف (ص 50 ـ 59 من هذا المجموع)، حيث نلمس نفس المنحى في التصوير الساخر.

رفع المسهم

[الرجز]

1 ـ ضَجّـتْ وَلَجّـتْ فِـي العِتَـابِ وَالعَـذَلْ
2 ـ صَخّـابَـةٌ ذَاتُ لِسَـانٍ وَجَـدَلْ
3 ـ لَـوْ صَخِبَتْ شَهْـرَيْـنِ دَأْبـاً لَـمْ تُبَـلْ(1)
4 ـ وَجَعَلَـتْ تُكْثِـرُ مِـنْ قَـوْلِ العِلَـلْ(2)
5 ـ حُبُّـكَ لِلْبَـاطِـلِ قِـدْمـاً قَـدْ شَغَـلْ
6 ـ كَسْبَـكَ عَـنْ عِيَـالِنَـا قُلْـتُ أَجَـلْ
7 ـ تَبَـرُّمـاً (3) مِنّـي وَعِيًّـا بِـالحِيَـلْ
8 ـ وَيْحَـكِ قَـدْ ضَعُفْـتُ عَـنْ ذَاكَ العَمَـلْ
9 ـ وَنَكّـسَ الشّيْـخُ قَفَـاهُ وَسَفَـلْ
10 ـ وَضَعُفَـتْ قُـوَّتُـهُ فَقَـدْ ذَبُـلْ
11 ـ وَالنّـاسُ قَـدْ قَـالُـوا عَلَيْـكَ بِـالبَصَـلْ
12 ـ وَجَـزَراً نِيًّـا وَهِلْيُـونـاً فَكُـلْ
13 ـ وَالبِيـضَ تَحْسُـوهُ وَبِـالبِيـضِ المَثَـلْ
14 ـ وَاقْـلِ العَصَـافِيـرَ بِـزَيْـتٍ لاَ بِخَـلْ
15 ـ وَالحَبّـةَ الخَضْـرَاءَ كُلْهَـا بِـالعَسَـلْ
16 ـ وَالجَـوْزَ وَالخَشْخَـاشَ عَنْـهُ لاَ تَسَـلْ
17 ـ وَاشْـرَبْ نَبِيـذَ الصَّـرَفَـانِ لاَ الـدَّقَـلْ
18 ـ فَقُلْـتُ عَـزْمٌ عَـاجِـلٌ فَهَـلْ عَمَـلْ
19 ـ تَـرْضَـى بِـهِ ذَاتُ الخِضَـابِ وَالحُلَـلْ
20 ـ قَالُوا عَسَى قُلْتُ عَسَى فِي اسْتِ الجَمَلْ
21 ـ مَـا لِـي وَضَـرْبَ القَلَعِـيِّ ذِي الخَلَـلْ
22 ـ عَلَـى دَوَاءٍ دَغَـلٍ مِـنَ الـدغَـلْ

رفع المسهم

23 ـ قَـدْ صِـرْتُ أَخْشَـى أَجَلِـي قَبْـلَ الأَجَـلْ
24 ـ وَمَـاتَ أَخْـدَانِـي الأُلَـى كُنْـتُ أَصِـلْ
25 ـ وَصِـرْتُ كَـالنِّسْـرِ[1] الـذِي قِيـلَ اِنْتَقِـلْ
26 ـ فَقَـالَ أَفْنَـى لُبُـداً حَتَّـى حَجَـلْ
27 ـ وَامَّـارَ عَنْـهُ رِيشُـهُ فَقَـدْ نَسَـلْ
28 ـ لَـمْ يُطِـقِ النِّسْـرُ الـدَّهَـارِيـرَ الأُوَلْ
29 ـ أَمَـا تَـرَيْـنَ البَهْـدَلِـيَّ قَـدْ نَحَـلْ
30 ـ وَصَـارَ يَمْشِـي مِشْيَـةً فِيهَـا خَطَـلْ
31 ـ عَلَـى ثَـلاَثِ أَرْجُـلٍ فِيهَـا عَصَـلْ
32 ـ وَاحِـدَةٌ فِـي كَفِّـهِ مِـنَ الأَسَـلْ
33 ـ كَسَـرَطَـانِ البَحْـرِ يَمْشِـي فِـي الـوَحَـلْ

التخريـج:

ـ مجالس ثعلب ص 162 ـ 163.
ـ البيان والتبيين ج 1 ص 6 (2، 3 والشطر الأول من البيت 4) بدون عَزْو.

اختـلاف الروايـة:

1 ـ البيان: «لَمْ تُمَلّ».
2 ـ البيان: «مِنْ قَوْلٍ وَبَلْ».
3 ـ البيان: «تَضَجُّراً مِنِّي».

ـ II ـ

قسم القصيـد

«حدَّثني أَبُو غَانِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بن سَعِيدِ بن مسْلِم عنْ أَبِيه قال:

(1) نسر لقمان: تضرب العرب المثل بطول عمره وتزعم أنه يعيش خمسمائة سنة (انظر ثمار القلوب ص 476).

رفع المسهم

كَانَ مُوسَى الهَادي لاَ يَأْذَنُ لِأَحَدٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ مُدَّة أَيّام خِلاَفَتِه، ولاَ يَرْغَبُ فِي الشِّعْرِ، ولا يَلْتَفِتُ إِلَيْه، وقد انْهَمَكَ فِي الشُّرْبِ والقَصْفِ، وكانَ مشغُوفاً بالسّمَاع. فلمّا قالَ أَبُو الخَطّاب البَهْدلِي رَائِيَتَه سَأَلَنِي فَأَوْصَلْتُهَا إِلَيْه، فَلَمّا سَمِعَهَا أُعْجِبَ بها شَديداً وقال للحاجب: أخرُجْ إلى البَاب فَمُرْ منْ يُنَادي أَيْنَ نَسَّابَةُ الأَسدِ؟ ففَعَلَ. فَلَمّا سَمِعَ أَبُو الخَطّاب ذلك عَلِمَ أَنَّ شعْرَه قد وَصَلَ وعَمِل عَمَلَه ـ والشُّعَراءُ مجتمعُون ـ فقال: هَأَنَذَا. وأَخَذَ الحجابُ بِيَدِه وأَدْخلَه البَيْتَ. فقالَ: هَاتِ أَنْشِدْنَا، فأَنْشَدَهُ قصيدتَه الرَّائيةَ، فاستَحْسَنَها مُوسى وأُعْجِبَ بها، وأَمَرَ في ذلك اليوم أَلاَّ يُحْجَبَ عنه شاعرٌ، وأن يُعْلَمُوا أَنَّ أبا الخَطّابِ كَانَ السّبَبَ في ذلك. وأَمَرَ لأبي الخطّاب بأَلْفِ دينَارٍ وكَسَاه وَحَمَّلَهُ. والقصيدةُ مشهورةٌ وهي هذه: . . .»

[البسيط]

1 ـ مَاذَا يَهيجُكَ مِنْ دَار بِمَحْنِيَةٍ ... كَالبُرْدِ غَيَّرَ مِنْهَا الجِدَّةَ العُصُرُ

2 ـ عفّتْ مَعَارِفَهَا رِيحٌ تُنَسِّفُهَا ... حَتّى كَأَنَّ بَقَايَا رَسْمِهَا سُطُرُ

3 ـ أَزْرَى بِجِدَّتِهَا بَعْدِي وَغَيَّرَهَا ... هُوجُ الرِّيَاحِ التِي تَغْدُو وَتَبْتَكِرُ

4 ـ دَارٌ لِوَاضِحَةِ الخَدَّيْنِ نَاعِمَةٍ ... غَرْثَى الوِشَاحِ لَهَا فِي دَلِّهَا خَفَرُ

5 ـ كَأَنَّهَا دُرَّةٌ أَغْلَى التِّجَارُ بِهَا ... مَكْنُونَةٌ رَبِحُوا فِيهَا وَمَا خَسِرُوا

6 ـ قُلْ لِلْخَلِيفَةِ مُوسَى إِنَّ نَائِلَه ... جَزْلٌ هَنِيٌّ وَمَا فِي سَيْبِهِ كَدَرُ

7 ـ مُتَوَّجٌ بالهُدَى بِالحَمْدِ مُلْتَحِفٌ ... مُسَرْبَلٌ بِالنَّدَى بِالمَجْدِ مُتَّزِرُ

8 ـ مُوسَى الذِي بَذَلَ المَعْرُوف يُنْهِبُه ... فِي النَّاسِ فَالجُودُ مِنْ كَفَّيْهِ يَنْهَمِرُ

9 ـ أَشَمُّ تَنْمِيهِ آبَاءٌ جَحَاجِحَةٌ ... شُمُّ الأُنُوفِ عَلَى مَا نَابَهُمْ صَبَرُوا

10 ـ لَنْ يُؤْمِنَ النَّاسُ مَنْ لَمْ يُؤْمنوا أبداً ... وَاللهُ يُؤْمِنُ مَنْ آوَوْا ومَنْ نَصَرُوا

11 ـ لاَ يَكْسِرُ النَّاسُ مَا شَدُّوا جَبَائِرَهُ ... وَلَيْسَ يُجْبَرُ طُولَ الدَّهْرِ مَنْ كَسَرُوا

12 ـ أَنْتَ الدَّعَامَةُ يَا مُوسى إذا احْتَدَمتْ ... نِيرَانُهَا وَحُمَاةُ الحَرْب تَجْتَزِرُ

رفع المسهم

13 ـ وَإِنْ غَضِبْتَ فَمَا فِي النّاسِ مِنْ بشرٍ ... إِلاَّ عَلَى خَطَرٍ مَا مِثْلُهُ خَطَرُ

14 ـ مَا مُخْدِرٌ خَدِرٌ مُسْتأْسِدٌ أَسَدٌ ... ضُبَارِمٌ خَادِرٌ ذُو صَوْلَةٍ زَئِرُ

15 ـ غَضَنْفَرٌ غَضِفٌ قِرْضَابَةٌ ثَقِفٌ ... مُسْتَرْعِبٌ لِقُلُوبِ النّاسِ مُصْطَبَرُ

16 ـ ذُو بُرْثُنٍ شَرِثٍ ضَخْمٌ مُزَوَّرُهُ ... خُبَعْثَنُ الخَلْقِ فِي أَخْلاَقِهِ زَعَرُ

17 ـ جأْبُ الشّرَاسِيفِ رَحبُ الجوْفِ مُفترِسٌ ... عِنْدَ التّجَاوِلِ لِلأَقْرَانِ مُهْتَصِرُ

18 ـ عَفَرْنَسٌ أَهْرَتُ الشِّدْقَيْنِ ذُو حَنَقٍ ... لِلقِرْنِ عِنْدَ لِقَا الأَقْرَانِ مُقْتَسِرُ

19 ـ جَهْمُ المُحَيّا هَمُوسٌ لاَ يُنَهْنِهُهُ ... صَوْتُ الرّجَالِ وَلاَ لِلزَّجْرِ يَنْزَجِرُ

20 ـ فِي خَطْمِهِ خَنَسٌ فِي أَنْفِهِ فَطَسٌ ... كَأَنّمَا وَجْهُهُ مِنْ هَضْبَةٍ حَجَرُ

21 ـ ذُو أَلَّةٍ قَيْسَرِيٍّ حِينَ تُبْرِزُهُ ... غَشَمْشَمِيٌّ فَلاَ يُبْقِي وَلاَ يَذَرُ

22 ـ بِبَالِغٍ عُشْرَ عُشْرٍ مِنْ شَجَاعَتِهِ ... إِذَا تَنَازَلَتِ الأَبْطَالُ وَاشْتَجَرُوا

23 ـ بَلْ أَنْتَ أَجْرَأُ مِنْهُ فِي تَقَدُّمِهِ ... وَأَنْتَ أَقْدَمُ مِنْهُ حِينَ يَجْتَبِرُ

24 ـ بلْ لَوْ يُلاَقِيكَ أَضْحى اللّيثُ مِن فَرَقٍ ... وَخيفَةً مِنْكَ لاَقَى يَوْمَهُ القَدَرُ

25 ـ يَا خَيْرَ مَنْ عَقَدَتْ كَفّاهُ حُجْزَتَهُ ... وَخَيْرَ مَنْ قَلّدَتْهُ أَمْرَهَا مُضَرُ

26 ـ إِلاَّ النّبِيَّ رَسُولَ اللهِ إِنَّ لَهُ ... فَضْلاً وَأَنْتَ بِذَاكَ الفَضْلِ (1) تَفْتَخِرُ

التخريج:

- طبقات الشعراء ص 133 ـ 134 (1 ـ 26).
- جمع الجواهر ص 5 (البيتان 25 ـ 26).
- تاريخ الخلفاء ص 282 (25 ـ 26).

اختلاف الرواية:

1 ـ جمع الجواهر: «فَخْراً وَأَنْتَ بِذَاكَ الفَخْرِ...»

رفع المسهم

ما جمعناه من شعر البهدلي

القافية	القصائد	عدد الأبيات
الألف المقصورة	1	14
الراء	1	26
العين	1	18
الفاء	1	8
اللام	1	33
المجموع	5	99

البحر	القصائد	عدد الأبيات
الرجز	4	73
البسيط	1	26
المجموع	5	99

ملاحظة:

الفهرس المفصل للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عموماً في تخريج شعر البهدلي وغيره من المقلين وتحقيق هذا الشعر ودراسته وضبط تراجم الشعراء ونقد أخبارهم فذلك ما يجده القارىء في ذيل القسم السادس من هذه المدونة.

رفع المسهم

ـ 5 ـ

ناهض بن ثومة
(توفي نحو 220هـ)

● «شَاعِرٌ بَدَوِيٌّ فَارِسٌ فَصيحٌ»

الأصبهاني: الأغاني ج 13 ص 175

رفع المسهم

تنبيه

وقع بين أيدينا ـ والكتاب قيد الطبع ـ العدد 1/ 2، 1990 من مجلة العرب (الرياض) وقد افتتحه صاحب المجلة ورئيس تحريرها الأستاذ حَمد الجاسر بمقال نقدي له، تعقّب في معظمه هذه الحلقة من عملنا في طبعته الأولى المختصرة، وذيّله بالنص الكامل الذي خصصنا به الشاعر. ونحن إذ نشكر لصاحب المقال اعتناءه بنصوص التراث وبما يُكتب بالغرب الإسلامي عن شعراء المشرق، ونرحّب أيّما ترحيب بكل نقد يعين على استكمال ما لم يتسنّ لنا بلوغ الأرب فيه من أسباب التحقيق ـ، نسارع اليوم إلى استيفاء ما فاتنا من شعر ناهض بن ثومة نقلاً عما جمعه وحقّقه الأستاذ حَمد الجاسر من شعر الشاعر ونشَرَه بهذا العدد من مجلة العرب. وهو ما يجده القارىء في الذيل تحت عنوان «مستدرك».

رفع المسهم

ناهض بن ثومة الكلابـي وما تبقى من شعره

أَهْملُه القُدماءُ والمُحدَثون، فَلاَ ذكرَ له في مُعجم المَرْزُباني، ولا إشَارةَ لِديوَانِه في كتاب الفهرسْت، ولا أثر له لدى المعاصرين من دَارسي الأدب القديم[1]. وكل ما لَدَيْنا من أخْباره، وهي قليلةٌ، ومِنْ شعرِه، ولا يتجاوزُ مِائةَ بيْت، يكاد يتفرّدُ به كتابُ الأَغاني. وممّا يُسْتَفَادُ مِنْ تَرْجمته المُوجزةِ التي أَوْردَها أَبو الفَرج أنّه «كانَ شاعراً بَدَويّا فَارساً فَصيحاً من شعراء الدولة العباسية»[2] وأَنَّ جَدَّه كان شاعراً، وأَنَّ نسبَه يتّصِلُ برَبِيعَةَ بن عَامرِ بن صَعْصَعَةَ. فهو من شُعَرَاء القَيْسِيّةِ القَلاَئل في القرن الثاني ـ إلى جانب بشّار بن بُرد مَوْلى بنِي عُقَيْل، وأَشْجَعَ السلَمِيّ ـ الّذين صحّحَتْ الرّوايةُ أَنْسَابَهم تَعَصُّباً على اليَمَنِ وربيعةَ اللذَيْنِ استَأْثَرَا بِفُحُولَةِ الشّعر مُذْ قيام الدّولة الجديدة[3].

وَمَعَ ذلك بَقِيَ نَاهِضٌ مَغْمُوراً، وهو أَمْرٌ لا نَسْتَغْرِبُه إذْ أَنّنا نَعْلَمُ أنّ الشاعرَ لمْ ينْتَجعْ بغدادَ ولم يَطرُقْ أَبْوَابَ الأَشْرَاف ولم يكن مِمّنْ «بِأَيْدِيهِمْ الرّقَاعُ يَطوفُونَ بِهَا»[4]، وإنّمَا بَقِيَ عَلَى بَدَاوَتِه ينْتَجعُ باديةَ العراق بِنَواحي البصرة، وبادية الشّام بنواحي حلَب، ثمَّ هوَ يقْدَمُ البصرةَ لِمَاماً فيُكْتَبُ عَنْهُ شِعْرُهُ، وتُؤخَذُ

(1) نستثني إشارة المستشرق «بلا» العابرة في كتابه «الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء» ص 233.

(2) الأغاني/ ط. دار الكتب ج 13 ص 175.

(3) انظر باب «تنقل الشعر في القبائل» العمدة ج 1 ص 86 ـ 90 وكذلك كتاب الأوراق/ قسم أخبار الشعراء ص 74.

(4) انظر مختار الأغاني ج ص 421 ترجمة يوسف الصيقل.

رفع المسهم

عنه اللّغةُ، ويَرْوي عنه أَمْثالُ الرِّياشِي وأَبِـي سُرَاقَة ودَمَاذ غُلامُ أَبـي عُبَيْدة، ويَبْدو أنَّ صِلاَتِه بمُعَاصريه لَم تتجاوزْ أهلَ العِلْم من الرُّواةِ[1] وبعضِ الأمراء من وُلْدِ خالد بن يزِيد[2] يَفِدُ عليهم عنْد انْتِجاعِه فَيصلُونَهُ. أمّا علاَقَتُهُ بشعراء العصر، فكُلُّ ما نعلَمُه هو أنّه كانتْ له مهاجاةٌ مع عُمارةَ بِن عَقيل بِن بَلال بن جَرِير (توفّي 239[3]ـ ولا تفيدنا المصادر شيئا عن تاريخ وفاته، وأَغلب الظَّنِّ أنه أدرك القَرْن الثّالث وتوفّي في عقده الأولى أو الثاني[4].

* * *

يَجْري شِعْرُ نَاهِض بن ثُومةَ بمعْزَلٍ عن المدينة، ويَنْغَرِسُ في صَميم بادية العراق والشّام، وتكاد تَنْحصر أغراضُه فيما كان يَجدُّ آنَذَاكَ بدِيَار مُضَر ـ ولأسبَابٍ تَافِهَة[5]ـ من نِزَاعَات هَامِشيّة بيْن القَيْسِيّة (بني نُمَيْر وبني رَبيعة بن صَعْصَعَة فيما بينها)، يتّخذها الشّاعرُ مطيّةً للمُفاخرة بقوْمه والإشادةِ بِمَآثِرهمْ. وإنّ المتفحّص لشعره ـ والغالبُ عليه المُطَوَّلاتُ ـ يَلْمسُ في صَفَاءِ عبَارته، وبراءةِ صُوَرِهِ امتداداً لأنماطِ الشّعر القديم كما استقرَّتْ لدى شعراء صحراء الجزيرة، ومَنْ ارْتَسَمَ خُطَاهُم من شعراء البادية الصَّعاليك في القرن الأول كعُبَيْد بن أَيوب العَنْبَريّ، وَطَهْمَان الكِلابِـيّ، والقَتّال، والخطيم المحْرِزِيّ، وعُبَيْد الله بن الحُرّ، مِمّن احتفظَ بنُ مَيْمُون في «مُنْتَهَى الطّلب» (مخطوط)

---

(1) كقثم بن جعفر: انظر الأغاني ج 13 ص 178.

(2) انظر الخبر ص. . .

(3) انظر قصيدته رقم 1 في هجاء عمارة بن عقيل. ويبدو أن كلاّ من ناهض وعمارة جَريا في هذه «المهاجاة» على نحو نقائض جرير (وهو الجدّ الأكبر لعمارة) والفرزدق. وإنها لخسارة على الأدب أَنْ ضاع هذا الشعر. وسيجد القارىء في الملحق المطوّلة الوحيدة التي وصلتنا من شعر عمارة بن عقيل: **الضادية**، وهي من أجود ما قيل على هذا الحرف.

(4) يجعل الزركلي (الأعلام ج 5 ص 319) وفاة ناهض سنة 220، ولا يذكر مصدره في ذلك.

(5) انظر الخبر بالأغاني ج 13 ص 182.

رفع المسهم

بمختارات من أشعارهم[1]. فهو شعرٌ عربـيٌّ محضٌ تَتَفَجّرُ فيه ثَقَافةُ الصَّحْراء حَيَّةً متجدِّدَةً، لمْ تَمَسّهَا «لَوْثَةُ» المدينةِ[2]. وهو شِعْرٌ يَجْري عن بدِيهَةٍ ويُذَكّرنا، بما تعْتَملُ فيه من قيم الفخْر الذاتي والفخر القبلي[3]، بأَنَّ سَنَدَ البادية لم ينقطعْ في خِضَم «بِدَعِ» المُحْدَثِين، وأنّ ثقافةَ البادية الحَق ـ لا ثقافة مَنْ تشبّهُوا بها أَمْثال عَلِي بن عَاصِم العَنْبَري[4]، أو العَكّوك[5] من المعاصرين وأبـي تَمّام[6] من شعراء القرن الثّالث ـ بَاقيةٌ متجدّدةٌ وأنّ مَنْحَى الأَصَالَةِ المُلْتَحِم بهذه الثقافة «التّأسِيسِيّة» سَيَتَوَاصل حتّى القرن الرّابع، مُتخطياً مَدْرَسة البَديع، لِيَجِدَ في المتنبّـي وأبـي فراس خيرَ التابعين. على أنّه يَنْبَغِي أنْ لاَ نَنْسَى أنّ ذُيُوعَ مثلَ هذا الشّعر لَمْ يكنْ أمراً ميْسوراً. فنَاهِض وأَضْرَابهُ من شُعراء بَادِيَة الحجاز[7] والعِرَاق الذين لمْ يَسْتَقِروا بالعَواصِم الجديدة ولم يَطْرُقُوا أَبْوَابَ الأَشْرَاف، قد أغفلَهُمْ مَنْ تَرْجَم للمُحْدَثِينَ كابن المُعْتَزّ (توفي 296هـ)، لِاهْتِمَام هؤلاء أساساً بشعراء

(1) لقد جمعنا بمشاركة الأستاذ محمد عبد السلام أشعار هؤلاء وحققناها وقدمنا لها بدراسة، وذلك ضمن عمل جامع لشعر الصعلكة في العهدين الجاهلي والأموي نعتزم نشره قريباً.
(انظر في هذا السياق قصيدة طهمان الكلابي التي طالعها: (البلدان 2/ 586).
ألا يـا اسلمـا بـالنيـر مـن أم واصـل ومـــن أم جبـــر أيهـــا الطلـــلان
ووازن بينها وبين قصيدة ناهض رقم 6 بهذا المجموع).

(2) انظر بالملحق ص... قصيدة بشار بن برد في مدح قيس عيلان وهي من النماذج المثلى لهذا الشعر.

(3) من ذلك الإشادة بقيم الفتوة والفروسية وسيادة العشيرة.

(4) انظر قصيدته (الملحق ص 229)، وهي المطولة الوحيدة التي احتفظت بها له المجاميع القديمة، مع الملاحظة أن المرزباني قد وقف على ظاهرة التكلف التي تسم شعره عندما قال: «علي بن عاصم... جبلي متكلف» (معجم الشعراء ص 291).

(5) علي بن جبلة الملقب بالعكوك (توفي 213هـ) ـ جمع شعره ونشره الدكتور حسين عطوان/ دار المعارف 1972.

(6) انظر التعليق المطول الذي ذيلنا به نونية أبـي الشيص ص 215 (الهامش 1).

(7) نذكر منهم ابن الدّمينة توفي (183هـ؟) انظر ديوانه تحقيق راتب النفاخ/ دمشق 1959 (أدرجنا مطولته المشهورة ـ البائية ـ الجـزء الثاني: انظر الفهرس).

رفع المسهم

الحَواضر. نُضِيف إلى ذلك أنَّ مَا حِيكَ من أَخْبارٍ هَازلَةٍ حول الحياة بالبادية، رَوَّجَهَا «شَيَاطينُ الأعراب» بِالمِرْبدِ استجابةً لذوْق العصر، كما سبق أنْ ذَكَرْنَا[1] وتَلَقَّفَهَا الحَضَرُ للتّفكه والتّملّح، كان مِنْ نتائجه أَنْ بَقِيَ مُعْظمُ شعرِ البادية على هامِش مُدَوَّنة الشّعر الرَّسْمي. فقلّتْ روايتُه وقلَّ قائلوه. ولعلَّ الخَبَرَ المطوَّل الذي نقله أبو الفرج[2] والذي يصوّرُ بطريقةٍ هزليّةٍ أَعْرَابِيّةَ نَاهِض، خيرُ دَليل على هذه الظّاهِرة. فَهَلْ نَسْتَغْرِبُ بعد هذا إِن بَقِيَ شعرُ المولّدين عُموماً بِمَعْزِلٍ عنْ ثَقافة الصّحراء الحَقِّ، تلك التي مَثَّلَ ناهضُ بن ثُومةَ، في أَعْقَابِ القرن الثاني، إحْدى حلقاتها الأَخيرة؟!

* * *

مصادر ترجمته وشعره:

- الأغاني/ دار الكتب ج 13 ـ ص 175 ـ 188.
- مختار الأغاني ج 8 ص 28 ـ 34.
- الحيوان ج 7 ص 112.
- تَبْصير المُنْتَبِه بتَحْرير المشتبه ج 1 ص 110.
- معجم البلدان/ ط. أوروبا ج 1 ص 164 ـ 165/ ج 2 ص 816/ ج 3 ص 481.
- تاج العروس ج 5 ص 96.

المراجع الحديثة:

- فؤاد سزقن «تاريخ...» ج 2 ص 507.
- الزركلي: الأعلام ج 8 ص 319.

---

(1) انظر ص 22 ـ 23 من هذا الجـزء.

(2) انظر هذا الخبر في ذيل شعر ناهض ص 189 ـ 191 ـ أنظر كذلك «خبر أبـي الزهراء»/ العقد الفريد ج 3 ص 490 ـ 496، حيث نقف على أنموذج ثان لهذه الأخبار الهازلة الموضوعة ولا شك. وقد أوردناه في هذا الجزء ص 255 ـ 262.

رفع المسهم

ـ 1 ـ

قال يُجيبُ عُمَارَةَ بن عَقِيْل[1] وقد عَرَّض بكَعْب وكِلاَب ابنَيْ رَبِيعَةَ في الحَرْب التي كانت بَيْنهم وبين نُمَيْر:

[الوافر]

1 ـ يُحَضِّضُنَا عُمَارَةُ فِي نُمَيْرٍ ... لِيَشْغَلَهُمْ بِنَا وَبِهِ أَرَابُوا

2 ـ وَيَزْعَمُ أَنَّنَا خُرْنَا وَأَنَّا ... لَهُمْ جَارُ المقَرَّبَةِ المُصَابُ

3 ـ سَلُوا عَنَّا نُمَيْراً هَلْ وَقَعْنَا ... بِنَزْوَتِهَا التِي كَانَتْ تُهَابُ

4 ـ أَلَمْ تَخْضَعْ لَهُمْ أَسَدٌ وَدَانَتْ ... لَهُمْ سَعْدٌ وَضَبَّةُ والرَّبَابُ

5 ـ وَنَحْنُ نَكُرُّهَا شَغَباً عَلَيْهِمْ ... عَلَيْهَا الشِيبُ مِنَّا وَالشَّبَابُ

6 ـ رَغِبْنَا عَنْ دِمَاءِ بَنِي قُرَيْعٍ ... إِلَى القَلْعَيْنِ[2] إِنَّهُمَا اللُّبَابُ

7 ـ صَبَحْنَاهُمْ بِأَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ ... يَدِفُّ كَأَنَّ رَايَتَهُ النِّقَابُ

8 ـ أَجَشَّ مِنَ الصَّوَاهِلِ ذِي دَوِيٍّ ... تَلُوحُ البِيضُ فِيهِ وَالحِرَابُ

9 ـ فَأَشْعَلَ حِينَ حَلَّ بِوَارِدَاتٍ ... وَثَارَ لِنَقْعِهِ ثَمَّ انْصِبَابُ

10 ـ صَبَحْنَاهُمْ بِهَا شُعْثَ النَّوَاصِي ... وَلَمْ يُفْتَقْ مِنَ الصُّبْحِ الحِجَابُ

11 ـ فَلَمْ تُغْمَدْ سُيُوفُ الهِنْدِ حَتَّى ... تَعَيَّلَتِ الحَلِيلَةُ وَالكَعَابُ

التخريج:

الأغاني/ دار الكتب ج 13 ص 187.

---

(1) عمارة بن عقيل بن بلالَ بن جرير من شعراء العصر، توفي 239هـ. جمع شعره ونشره شاكر العاشور/ البصرة 1973: انظر بخاصة قصيدته في هجاء بني نمير الواردة في هذا المجموع تحت رقم 30، وكذلك عرضنا النقدي لهذا المجموع بالجزء السادس من هذا العمل ص: . . .

(2) القلعان: هما صلاءة وشريح ابنا عمرو بن خويلفة بن عبد الله بن الحارث بن نمير.

رفع المسهم

ـ 2 ـ

وقال في وَقْعَة كانت لِبَنِي كِلاَب على بني نُمَيْر، اعتزلت فيها بنُو كَعْب الفريقين:

[الطويل]

1 ـ أَلاَ هَلْ أَتَى كَعْباً على نَأْيِ دَارِهِم ... وَخِـذْلاَنِهِـمْ أَنّـا سَـرَرْنَـا بَنِـي كَعْـبِ

2 ـ بِمَـا لَقِيَـتْ مِنّـا نُقَيْـرٌ وَجَمْعُهَـا ... غَـدَاةَ أَتَيْنَـا فِـي كَتَـائِبِنَـا الغُلْـبِ

3 ـ فيَا لَكَ يَوْماً بِالحِمَى لاَ نَرَى لَهُ ... شَبِيهـاً وَمَـا فِي يَـوْمِ شَيْبَـانَ مِـنْ عَتْـبِ

4 ـ أَقَـامَـتْ نُمَيْرٌ بِـالحِمى غَيْـرَ رَغْبَـةٍ ... فَكَـانَ الـذِي نَـالَـتْ نُمَيْـرٌ مِـنَ النّهْـبِ

5 ـ رُؤُوسٌ وَأَوْصَـالٌ يُـزَايِـلُ بَيْنَهَـا ... سِبَاعٌ تَدَلّتْ مِنْ أَبَانَيْنَ[1] والهَضْبِ

6 ـ لَنَـا وَقَعَـاتٌ فِـي نُمَيْـر تَتَـابَعَـتْ ... بِضَيْـمٍ عَلَـى ضَيْـمٍ وَنَكْـبٍ عَلَـى نكْـبِ

7 ـ وَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسُ بنُ عَيْلاَنَ كُلُّهَا ... وَلِلْحَـرْبِ أَنْبَـاءٌ[2] بِـأَنّـا بَنُـو الحَـرْبِ

8 ـ أَلَـمْ تَـرَهُـمْ طُـرّاً عَلَيْنَـا تَحَـزَّبُـوا ... وَلَيْـسَ لَنَـا إِلاَّ الـرُّدَيْنِـيَّ مِـنْ حِـزْبِ

9 ـ وَإِنّـا لَنَقْتَـادُ الجِيَـادَ عَلَـى الـوَجَـى ... لِأَعْـدَائِنَـا مِـن لاَ مُـدَانٍ وَلاَ صَقْـبِ

10 ـ فَفِـي أَيِّ فَـجٍّ مَـا رَكَـزْنَـا رِمَـاحَنَـا ... مَخُوفٍ بِنَصْبٍ لِلْعِدَى حِينَ لا نَصْب

التخريـج:

الأغاني/ دار الكتب ج 13 ص 185 ـ 186.

ـ 3 ـ

وقال من قصيدة عَقِبَ حربٍ بين كَعْب كان مَآلها الصّلح بين الفريقين:

[الوافر]

1 ـ أَمِـنْ طَلَـلٍ بِـأَخْطَـبَ[3] أَبْـدَتْـهُ ... نَجَـاءُ الـوَبْـلِ والـدِّيَـمُ النِّضَـاجُ

(1) أبانان: جبلان انظر معجم البلدان/ أوروبا ج 1 ص 75 ـ 77).

(2) بالأصل «أبناء» وهو تصحيف. والصواب ما أثبتناه.

(3) أخطب: اسم جبل بنجد (معجم البلدان/ ط. أوروبا ج 1 ص 164 ـ 165).

رفع المسهم

2 ـ وَمَـرُّ الـدَّهْـرِ يَـوْمـاً بَعْـدَ يَـوْمِ ... فَمَـا أَبْقَـى المَسَـاءُ ولاَ الصَّبَـاحُ

3 ـ فَكُـلُ مَحَلّـةٍ غَنِيَـتْ بِسَلْمَـى ... لِـرِيـدَاتِ الـرِّيَـاحِ بِهَـا نُـوَاحُ

4 ـ تُطِـلُّ عَلَـى الجُفُـونِ الحُـزْنَ حَتّـى ... دُمُـوعُ العَيْـنِ نَـاكِـزَةٌ نِـزَاحُ . . .

5 ـ هَنِيئـاً لِلْعِـدَى سُخْـطٌ وَرَغْـمٌ ... وَلِلْفَـرْعَيْـنِ بَيْنَهُمَـا اِصْطِـلاَحُ

6 ـ وَلِلْعَيْـنِ الـرُّقَـادُ فَقَـدْ أَطَـالَـتْ ... مُسَـاهَـرَةً وَلِلْقَلْـبِ انْتِجَـاحُ

7 ـ وَقَـدْ قَـالَ العُـدَاةُ نَـرَى كِـلاَبـاً ... وَكَعْبـاً بَيْـنَ صُلْحِهِمَـا افْتِتَـاحُ

8 ـ تَـدَاعَـوْا لِلسَّـلاَمِ وأَمْـرِ نُجْـحٍ ... وَخَيْـرُ الأَمْـرِ مَـا فِيـهِ النَّجَـاحُ

9 ـ وَمَـدُّوا بَيْنَهُـمْ بِحِبَـالِ مَجْـدٍ ... وَثَـذْيٍ لاَ أَجَـدُّ وَلاَ ضَيَـاحُ

10 ـ أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ جَمْـعَ القَـوْمِ يُخْشَـى ... وَأَنَّ حَـرِيـمَ وَاحِـدِهِـمْ مُبَـاحُ

11 ـ وَأَنَّ القِـدْحَ حِيـنَ يَكُـونُ فَـرْداً ... فَيُهْصَـرُ لاَ يَكُـونُ لَـهُ اقْتِـدَاحُ

12 ـ وَأَنَّـكَ إِنْ قَبَضْـتَ بِهَـا جَمِيعـاً ... أَبَـتْ مَـا سُمْـتَ وَاحِـدَهَـا القِـدَاحُ

13 ـ أَنَـا الخَطّـارُ دُونَ بَنِـي كِـلاَبٍ ... وَكَعْـبٍ إِنْ أُتِيـحَ لَهُـمْ مُتَـاحُ

14 ـ أَنَـا الحَـامِـي لَهُـمْ وَلِكُـلّ قَـرْمٍ ... أَخٌ حَـامٍ إِذَا جَـدَّ النِّضَـاحُ

15 ـ أَنَـا اللَّيْـثُ الـذي لاَ يَـزْدَهِيـه ... عُـوَاءُ العَـاوِيَـاتِ وَلاَ النُّبَـاحُ

16 ـ سَـلِ الشُّعَـرَاءَ عَنِّـي هَـلْ أَقَـرَّتْ ... بِقَلْبِـي أَوْ عَفَـتْ لَهُـمُ الجِـرَاحُ

17 ـ فَمَـا لِكَـوَاهِـلِ الشُّعَـرَاءِ بُـدٌّ ... مِـنَ القَتَـبِ الـذِي فِيـهِ لَحَـاحُ

18 ـ وَمِـنْ تَـوْرِيـكِ رَاكِبِـهِ عَلَيْهِـمْ ... وَإِنْ كَـرِهُـوَا الـرُّكُـوبَ وَإِنْ أَلاَحُـوا

التخريـج :

الأغاني/ دار الكتب ج 13 ص 182 ـ 183 .

ـ 4 ـ

من قصيدةٍ ضائعةٍ وَرَدَتْ فِقَرٌ منها مُتَنَاثِرَةً في «الحيوان» و «البلدان» :

رفع المسهم

[الطويل]

ـ أ ـ

1 ـ أَمِنْ (1) طَلَلٍ بَيْن الكَثِيبِ وَأَخْطبِ[1] مَحَتْهُ السّوَاحِي والهِدَامُ الرَّشَائِشُ
2 ـ وجرُّ السّوَافي فارْتمى فوْقه (2) الحَصَى فَدَفُّ النّقَا مِنْهُ مُقِيمٌ وَطَائِشُ
3 ـ وَمَرُّ اللّيَالِي فَهْوَ مِنْ طُولِ مَا عَفَا كَبُرْدِ اليَمَانِي وَشْهُ (3) الحِبْرُ نَامِشُ

معجم البلدان ج 1/164 ـ 165.

ـ ب ـ

1 ـ فَمَا العَهْدُ مِنْ أَسْمَاءَ إلاَّ مَحَلّةً كَمَا خَطّ فِي طَهْرِ الأَدِيمِ الرَّوَاقِشُ
2 ـ بِرُمْحَيْنِ أَوْ بِالمُنْحَنَى دَبَّ فَوْقَهَا سَفَا الرّيحِ أَوْ جِذْعٌ مِنَ السّيْلِ خَادِشُ

معجم البلدان ج 2 ص 816.

ـ ج ـ

1 ـ أَنَا الشّاعِرُ الخطّارُ مِنْ دُونِ عَامِرٍ وَذُو الضَّغْمِ إذْ بَعْضُ المُحَامِينَ نَاهِشُ
2 ـ بِخَبْطٍ كَخَبْطِ الفِيلِ حَتّى تَرَكْتُهُ أَمِيماً بِهِ مُسْتَذْمِيَاتُ مَقَارِشُ

الحيوان ج 7 ص 112.

ضبط النص:

1 ـ بالأصل: «لِمَنْ» وهو تحريف.
2 ـ بالأصل: «قومه» ولا وجْهَ له.
3 ـ وشّهُ أراد وَشّاهُ أَيْ حَبّرَهُ (البلدان ج 1 ص 165).

تعقيب:

انظر النص الكامل للقصيدة كما ورد في كتاب «التعليقات والنوادر» ونقله الأستاذ حَمد الجاسر، ص 182 ـ 184.

---

(1) أخطب: جبل انظر ذيل ص 275.

رفع المسهم

ـ 5 ـ

قال أبو الفرج: نَسختُ من هذا الكتاب[1] الذي فيه شعْرُهُ... أنَّ وَقْعَةً كانت بَيْن بَنِي نمير وبني كِلاَب بِنَوَاحِي دِيَار مُضَرَ، وكانت لِكِلاَبٍ على بَنِي نُمَيْر، وأنَّ نُمَيْراً اسْتَغاثَتْ ببني تَميم، وَلَجَأَتْ إلَى مَالِكِ بن زيدٍ سَيِد تَميم يَوْمَئِذٍ بِدِيَارِ مُضَرَ فَمَنَعَ تميماً من إنْجَادِهِمْ، وقَال: ما كنا لِنُلْقِيَ بَيْنَ قَيْس وخِنْدِف دِمَاءً نَحْنُ عَنْهَا أَغْنِيَاءُ، وأنْتُمْ وَهُمْ لَنَا أَهْلٌ وإخْوَةٌ، فإنْ سَعَيْتم في صُلْح عَاوَنّا، وإن كَانَتْ حَمَالَةٌ أَعَنّا، فَأَمّا الدِّمَاءُ، فَلا مَدْخَلَ لَنَا بَيْنَكُم فيها. فقال نَاهِضُ بن ثومة في ذلك:

[الوافر]

1 ـ سَلاَمُ اللَّهِ يَا مَالِ[2] بْنَ زَيْدٍ ... عَلَيْكَ وَخَيْرُ مَا أُهْدِي السّلاَمَا

2 ـ تَعَلّمْ أيّنَا لَكُمُ صَدِيقٌ ... فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا فِينَا المَلاَمَا

3 ـ وَلكِنّا وَحَيُّ بَنِي تَمِيمٍ ... عُدَاةٌ لاَ نَرَى أَبَداً سَلاَمَا

4 ـ وَإنْ كُنّا تَكَافَفْنَا قَلِيلاً ... كَحَرْفِ السّيْفِ يَنْهَارُ انْهِدَامَا

5 ـ وَهَيْضُ العَظْمِ يُصْبِحُ ذَا انْصِدَاع ... وَقَدْ ظَنَّ الجَهُولُ بِهِ الْتِئَامَا

6 ـ فَلَنْ نَنْسى الشّبَابَ المُرْدَ مِنّا ... وَلاَ الشِيبَ الجَحَاجِحَ وَالكِرَامَا

7 ـ وَنَوْحَ نَوَائِحٍ مِنّا وَمِنْهُمْ ... مَآتِمَ مَا تَجِفُّ لَهُمْ سِجَامَا

8 ـ فَكَيْفَ يَكُونُ صُلْحٌ بَعْدَ هَذَا ... يُرَجّي الجَاهِلُونَ لَهُمْ تِمَامَا

9 ـ أَلاَ قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ تَمِيمٍ ... وَخُصَّ لِمَالِكٍ فِيهَا الكَلاَمَا

10 ـ فَزِيدُوا يَا بَنِي زَيْدِ نُمَيْراً ... هَوَاناً إنّهُ يُدْنِي الفِطَامَا

---

(1) كتاب فيه شعر ناهض، نسخ منه أبو الفرج، لمؤلفه أبي الحسن الأسدي علي بن محمد المعروف بابن الكوفي صاحب ثعلب (انظر الأغاني ج 13 ص 182 ـ نور القبس ص 336).

(2) لاحظ الترخيم في «مالك».

رفع المسهم

11 ـ وَلاَ تُبْقُوا عَلَى الأَعْدَاءِ شَيْئاً ... أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَكُمُ وَدَامَا

12 ـ وَجَدْتُ المَجْدَ فِي حَيَّيْ تَمِيمٍ ... وَرَهْطِ الهَذْلَقِ[1] المُوفِي الذِّمَامَا

13 ـ نُجُومُ القَوْمِ مَا زَالُوا هُدَاةً ... وَمَا زَالُوا لآبِيهِمْ زِمَامَا

14 ـ هُمُ الرَّأْسُ المُقَدَّمُ مِنْ تَمِيمٍ ... وَغَارِبُهَا وَأَوْفَاهَا سَنَامَا

15 ـ إِذَا مَا غَابَ نَجْمٌ آبَ نَجْمٌ ... أَغَرُّ نَرَى لِطَلْعَتِهِ ابْتِسَامَا

16 ـ فَهذي لابْنِ ثُومَةَ فَانْسِبُوهَا ... إِلَيْهِ لاَ اخْتِفَاءَ وَلاَ اكْتِتَامَا

17 ـ وَإِنْ رَغَمَتْ لِذَاكَ بَنُو نُمَيْرٍ ... فَلاَ زَالَتْ أُنُوفُهُمْ رَغَامَا

التخريج:

- الأغاني/ دار الكتب ج 13 ص 184 ـ 185.
- تاج العروس ج 5 ص 96 (البيت 16).
- تَبْصير المُنتبه بتحرير المُشْتَبِه ج 1 ص 110 (البيت 16).

ـ 6 ـ

قال أبو الفرج: «كَانَ يَهْجُوهُ [يَعني ناهضاً] رجلٌ من بَنِي الحَارث بن كَعْبٍ، يُقَال له: نَافِعُ بن أَشْعَرَ الحارثيُّ، فَأَثْرَى عَلَيْه نَاهضٌ. فَمِمّا قَالَهُ في جواب قصيدة هَجَا بها قبائلَ قَيْسٍ، قَصِيدَتُهُ التي أَوَّلُهَا:

[الطويل]

1 ـ أَلاَ يَا اسْلَمَا يَأَيُّهَا الطَّلَلاَنِ ... وَهَلْ سَالِمٌ بَاقٍ عَلَى الحَدَثَانِ

2 ـ أَبِينَا لَنَا حُيِّيتُمَا اليَوْمَ إِنَّنَا ... مُبِينَانِ عَنْ مَيْلٍ بِمَا تَسْلاَنِ

3 ـ مَتَى العَهْدُ مِنْ سَلْمَى التي بتّتِ القُوَى ... وَأَسْمَاءَ إِنَّ العَهْدَ مُنْذُ زَمَانِ

4 ـ وَلاَ زَالَ يَنْهَلُّ الغَمَامُ عَلَيْكُمَا ... سَبِيلَ الرُّبَى مِنْ وَابِلٍ وَدِجَانِ

5 ـ فَإِنْ أَنْتُمَا بَيَّنْتُمَا أَوْ أَجَبْتُمَا ... فَلاَ زِلْتُمَا بِالنَّبْتِ تَرْتَدِيَانِ

---

(1) يعني بالهذلق بن بشير، أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب وابنيه علقمة علقمة وصباحا» (تعليق أبي الفرج).

رفع المسهم

6 ـ وَجُرَّ الحَرِيرُ وَالفِرَنْدُ عَلَيْكمَا بِأَذْيَالِ رَخْصَاتِ الأُكُفِّ هِجَانِ

7 ـ نَظَرْتُ وَدُونِي قَيْدُ رُمْحَيْنِ نَظْرَةً بِعَيْنَيْنِ انْسَانَاهُمَا غَرِقَانِ

8 ـ إِلى ظُعُنٍ بالعَاقِرِينَ كَأَنَّهَا قَرَائِنُ مِنْ دَوْحِ الكَثِيبِ ثَمَانِ

9 ـ لِسَلْمَى وَأَسْمَاءَ اللَّتَيْنِ أَكَنَّتَا بِقَلْبِي كَنِينَيْ لَوْعَةٍ وَضَمَانِ

10 ـ عَسَى يُعْقِبُ الهَجْرُ الطويلُ تَدَانياً وَيَا رُبَّ هَجْرٍ مُعْقِبٌ بِتَدَانِي

11 ـ خَلِيلَيَّ قَدْ أَكْثَرْتُمَا اللَّومَ فارْبَعَا كَفَانِيَ مَا بِي لَوْ تُرِكْتُ كَفَانِي

12 ـ إِذَا لَمْ تَصِلْ سَلْمى وَأَسْمَاءُ في الصِّبَا بِحَبْلَيْهِمَا حَبْلِي فَمَنْ تَصِلاَنِ

13 ـ فَدَعْ ذَا ولَكِنْ قَدْ عَجِبْتُ لِنَافِعٍ وَمَعْوَاهُ مِنْ نَجْرَانَ حَيْثُ عَوَانِي

14 ـ عَوَى أَسَدًا لاَ يَزْدَهِيهِ عُوَاؤُهُ مُقِيماً بِلَوْذَيْ يَذْبُلٍ[1] وَذِقَانِ[2]

15 ـ لَعَمْرِي لَقَدْ قَالَ ابْنُ أشعرَ (1) نَافعٌ مَقَالَةَ مَوْطُوءِ الحَرِيمِ مُهَانِ

16 ـ أَيَزْعَمُ أَنَّ العَامِرِيَّ لِفِعْلِهِ بِعَاقِبَةٍ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَان

17 ـ وَيَذْكُرُ إِنْ لاَقَاهُ زَلَّةَ نَعْلِهِ فَجِيءْ لِلَّذِي لَمْ يَسْتَبِنْ بِبَيَانِ

18 ـ كَذَبْتَ وَلَكِنْ بابْنِ عُلْبَة جعفرٍ[3] فَدَعْ مَا تَمَنَّى زَلَّتِ القَدَمَانِ

19 ـ أُصِيبَ فَلَمْ يُعْقَلْ وَطُلَّ فَلَمْ يُقَدْ فَذَاكَ الذِي يَخْزَى بِهِ الأَبَوَانِ

20 ـ وَحُقَّ لِمَنْ كَانَ ابْنُ أَشْعَرَ ثَائِراً بِهِ الطَّلُّ حَتَّى يُحْشَرَ الثَّقَلاَنِ

21 ـ ذَلِيلٌ ذَلِيلُ الرَّهْطِ أَعْمَى يَسُومُهُ بَنُو عَامِرٍ ضَيْماً بِكُلِّ مَكَانِ

22 ـ فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ قَوْلُهُ بِلِسَانِهِ وَمَا ضَرَّ قَوْلٌ كَاذِبٌ بِلِسَانِ

23 ـ هَجَا نَافِعٌ كَعْباً لِيُدْرِكَ وِتْرَهُ وَلَمْ يَهْجُ كَعْبٌ نَافِعاً لأَوَانِ

24 ـ وَلَمْ تَعْفُ مِنْ آثَارِ كَعْبٍ بوَجْهِهِ قَوَارِعُ مِنْهَا وُضَّحٌ وَقَوَانِ

25 ـ وَقَدْ خَضَّبُوا وَجْهَ ابنِ عُلْبَةَ جَعْفَرٍ خِضَابَ نَجِيعٍ لاَ خِضَابَ دِهَانِ

---

(1) يذبل: جبل بنجد (البلدان ج 4 ص 1014).

(2) ذقان: جبل بلاد بني كعب (البلدان ج 2 ص 731).

(3) جعفر بن علبة الحارثي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه انظر الأغاني/ دار الكتب ج 13 ص 45 وما يليها).

رفع المسهم

26 ـ فَلَمْ يَهْجُ كَعْباً نَافعٌ بعد ضَرْبةٍ (2) بِسَيْـفٍ وَلَـمْ يَطْعَنْهُـمُ بِسِنَـانِ

27 ـ فمَالَكَ مهْجَى يا ابن أشعَرَ فاكْتَعِمْ (3) عَلَـى حَجَـرٍ وَاصْبِـرْ لِكُـلّ هَـوَانِ

28 ـ إذَا المرْءُ لَمْ يَنْهَضْ فيثأَرْ بِعَمِّهِ (4) فَلَيْـسَ يُجَلَّـى العَـارُ بِـالهَـذَيَـانِ

29 ـ أَبِـي قَيْسُ عَيْلاَنٍ وَعَمِّيَ خِنْدَفٌ ذَوَا (5) البَذْخِ عِنْدَ الفَخْرِ وَالخَطَرَانِ

30 ـ إِذَا مَـا تَجَمَّعْنَـا وَسَـارَتْ حِـذَاءَنَـا رَبِيعَـةُ لَـمْ يُعْـدَلْ بِنَـا أَخَـوَانِ

31 ـ أَلَيْـسَ نَبِـيُّ اللَّـهِ مِنَّـا مُحَمَّـدٌ وَحَمْـزَةُ وَالعَبَّـاسُ وَالعُمَـرَانِ

32 ـ وَمِنَّـا ابْـنُ عَبَّـاسٍ وَمِنَّـا ابـنُ عَمِّـهِ عَلِـيٌّ إِمَـامُ الحَـقّ وَالحَسَنَـانِ

33 ـ وَعُثْمَـانُ وَالصِّـدّيـقُ مِنَّـا وَأَنَّنَـا لَنَعْلَـمُ أَنَّ الحَـقَّ مَـا يَعِـدَانِ

34 ـ وَمِنَّا بَنُو العَبَّاسِ فَضْلاً فَمَنْ لَكُمْ هَلُمُّـوهُ أَوْ لاَ يَنْطِقُـنَّ يَمَـانِ

التخريج:

- الأغاني/ دار الكتب ج 13 ص 175 ـ 178.
- مختار الأغاني ج 8 ص 28 ـ 30 (1/ 11 ـ 13/ 15/ 23 ـ 34/).

اختلاف الرواية:

1 ـ المختار: «أَصْعَرَ».
2 ـ المختار: «فَلَمْ يُدمِ كَعْباً نَافِعٌ مِنْهُ ضَرْبُهُ».
3 ـ المختار: «ابْنِ أَصْعَرَ فَالتَقِمْ».
4 ـ المختار: «بِثَأْرٍ لِعَمِّهِ».
5 ـ المختار: «ذَوُو».

التعليق:

قارن الطالع الغزليّ لهذه القصيدة (الأبيات 1 ـ 12) بمجموعة القصائد التي وردتْ على نفس البحر ونفس الرَّويّ لثلّة من شعراء الصعلكة في العصر الأموي (انظر الإحالة رقم 1 ص 171). في نفس السياق انظر ديوان ابن الدُّمينة/ تحقيق راتب النفاخ/ ص 189 ـ 188.

رفع المسهم

ـ 7 ـ

[البسيط]

1 ـ يَا حبّذَا عَمَلَ الشّيْطَانِ مِنْ عَمَلٍ إنْ كَـانَ مِـنْ عَمَـلِ الشّيْطَـانِ حُبِّيهَـا

2 ـ لَنَظْـرَةٌ مِـنْ سُلَيْمَـى اليـومَ وَاحِـدَةٌ أَشْهَـى إلَـيَّ مِـنَ الـدُّنْيَـا وَمَـا فِيهَـا[1]

التخريـج :

الأغاني/ دار الكتب ج 13 ص 174.

(1) البيتان من مختار أصوات الأغاني.

رفع المسهم

مستدرك[1]

ما فاتنا من شعر ابن ثومة واهتدى إلى تخريجه من نوادر المخطوطات صاحب مجلة العرب الأستاذ حَمد الجاسر.

— 1 —

[الطويل]

1 ـ أَمِنْ طَلَلٍ بَيْنَ الكَثِيب وأَخْطَبٍ ... مَحَتْهُ السَّوَافي والرِّهَامُ الرَّشَارِشُ

2 ـ وَمَرُّ السَّوَاحِي فَارْتَمَى فَوْقَهُ الحَصَى ... يَدُقُّ النَّقَا منه مُقِيمٌ وَطَائِشُ

3 ـ وَدَقُّ السَّوَارِي فَهْوَ مِنْ طُولِ ما عَفَا ... كَبُرْدِ اليَمَانِي وَشَّهُ الحِبْر نَامِشُ

4 ـ وآلَفَهُ البِيْضُ اليَعَافِيرُ والمَهَا ... وزَايَلَهُ البِيْضُ الحِسَانُ البَشَائِشُ

5 ـ ذواتُ الثَّنَايَا الغُرِّ والحَدَقِ الَّتي ... يَدُفْنَ لَماً كَالإِثْمِدِ الجَوْنِ حَامِشُ

6 ـ فَمَا تَسْتَبِينُ العَيْنُ مِنْهُ وإِنْ ثَنَتْ ... لَهَا نَظْرَةً... لِلطَّرف نَاعِشُ

7 ـ سِوَى جُنَّحِ سُفْعِ الخُدُوْدِ كَأَنَّها ... وقَدْ لاَحَهَا هَضْبٌ منَ المُزْنِ...

8 ـ جَوَازِلُ غَطَّى الرِّيْشُ فَوْقَ رُؤُوْسِهَا ... وأَثْبَاجِهَا وأَسْوَدَّ مِنْهَا... شُشُ

9 ـ وذِي رُمَّةٍ صَكَّ الصَّلاَءُ قَذَالَهُ ... بِأَيْدِي العَذَارَى فَهْوَ في الدَّارِ وَاحِشُ

10 ـ وَنَيٍّ كَعَطْفِ الطَّوْقِ قَدْ ذَرَّ فَوْقَهُ ... ودَوَّمَ جَلاَّخٌ مِنَ السَّيْلِ خَادِشُ

11 ـ خَلاَءٌ لِخيطَانِ النَّعَامِ تَرُوْدُهُ ... كَمَطْلِيَّةٍ جِيْبَتْ عَلَيْهَا المَلانِشُ

12 ـ بِهَا الخُنْسُ في لَوْذِ الظِّلاَلِ كَأَنَّهَا ... كَوَاعِبُ فَجَّ الخَيْمَ عَنْهُنَّ فَارِشُ

13 ـ تُزَجِّي بِهَا العِيْنُ اليَعَافِيْرُ سَخْلَهَا ... وَمَوْشِيَّةُ الأَكْتَافِ.....

14 ـ عَنَاجِيْجُ أَمْثَالُ العَوَاهِيْجِ بُدَّنٌ ... هِجَانٌ عَلَيْهَا لِلْحُلِيِّ خَشَاخِشُ

15 ـ كَمَا عَصَفَتْ رِيْحُ الجَنُوبِ بِعِشْرِقٍ ... تَثَنَّى عَلَيه نَبْتُهَا المُتَدَاوِشُ

16 ـ وَغَبْرَاءَ لاَ تَجْرِي بِهَا الرِّيْحُ عَاقِرٍ ... حَمى ظِلَّهَا وَقعٌ مِنَ الصيْفِ مَاحِشُ

17 ـ ذؤُوْبِ الصَّدَى ظَمْأَى القَطَا مُرَّةِ السُّرَى ... بِهَا مِنْ رُكَامِ البَيْضِ قِدْماً خَرَابِشُ

---

(1) انظر ص 167.

رفع المسهم

18 ـ إذا العَرَفُ الغذَّافُ أَرْجَفَ هَامَهَا وَقَدْ وَتَنَتْ في مَا يَقُولُ الغُطَامِشُ

19 ـ مَرَقْتُ بِأَيْدِي العِيْسِ مِنْهَا كَمَا مَضَى مِنَ الغَرَضِ الأَقْصَى المُرَامي المُرَايِشُ

20 ـ بِمَجْنُونَةِ الإِبْصَارِ في الهَامِ نُضَّبٍ مُبِيْنٌ بِهَا وَقْعٌ مِنَ المَيْسِ فَاحِشُ

21 ـ صَفَنْنَ الأُنُوفَ في المثَاني فَأَعْصَفَتْ بِنَا مِثْلَ مَا صَفَّ الا . . . . . .

22 ـ عَمَمْنَ اللَّجِيْنَ الجَعْدَ حَتَّى كَأَنَّهُ عَمَائِمُ بِيْضٌ أَوْ عَمِيْتٌ نَفَائِشُ

23 ـ وماءٍ قَدِيْم العَهْدِ بالحَيِّ آجِن بِأَعْطَافِهِ القِرْدَانُ دَابٍ ونَاهِشُ

24 ـ وَرَدْتُ ولَمْ أَخْشَ الظلامَ ولم تَرِدْ . . . رِعَال . . . . . .

25 ـ وَمَيْسٌ وفِتْيَانٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ مَصَابِيْحُ، أَزْوَالُ الرحيل . . .

26 ـ نَضَا عَنْهُمُ الحَوْكُ اليَمَانِي كَمَا نَضَا عَنِ الهِنْدِ أَجْفَانٌ عَلَيْهَا المَشَامِشُ

27 ـ فَمَلُّوا أَدَاوَاهُمْ مِنَ اخْضَرَ آجِنٍ غِشَاشاً ولِلْحَيَّاتِ فيهِ كَشَاكِشُ

28 ـ فَلَمَّا وَرَدْنَا خَرَّ بَعْضُ رِكَابِنَا ومَاجَ العِتَاقُ المُبْرَيَاتُ الغَطَامِشُ

29 ـ فَقُلْتُ لأَصْحابي الرَّحيل، فَمَا هُنَا مُنَاخٌ وَلاَ لِلنَّوْمِ تُلْقَى المَفَارِشُ

30 ـ وَقَوْمٍ مِنَ البَغْضَاءِ تَغْلي صُدُوْرُهُمْ عَلَيَّ كَمَا تَغْلِي القُدُوْرُ . . . . . .

31 ـ لَهُمْ نَظَرٌ حَوْلي يَكَادُ يُزِيلُنِي وأَبْصَارُهُمْ نَحْوَ الأَعَادِيْ مَرَامِشُ

32 ـ هَمَمْتُ بِقَوْلٍ فِيْهِمُ أَنْ أَقُولَهُ وَلَسْتُ بِمُسْتَعْدٍ وَإِنِّيْ لَمَارِشُ

33 ـ وشَاعر . . . ـل في الخَلاَء مُجَنَّبٍ صِدَامَ العُدَى لَمْ تَكْتَنِفْه المنَاجِشُ

34 ـ إِذَا ضَمَّهُ المِطْمَارُ يَوْماً وجَدْتَهُ ذَلِيْلاً وقَدْ يَخْزَى بِهِ مَنْ يُجَاهِشُ

35 ـ صَكَكْتُهُ صَكَّ الفِيل حتى تَرَكْتُهُ أَمِيْماً بِهِ مُسْتَدْمِيَاتٌ مَقَارِشُ

36 ـ أَنَا الشَّاعِرُ الخَطَّارُ مِنْ دُوْنِ عَامِرٍ وَذُو الضَّغْمِ إِذْ بَعْضُ المُحَامِيْنَ نَاهِشُ

37 ـ أَقَرَّتْ مَصَاعِيْبُ القَبَائِلِ كُلِّهَا لِرِزِّي وَهَرَّتْنِي الكِلاَبُ الهَوَارِشُ

38 ـ وَقَرْمٌ إِذَا مَا صَكَّ بِالنَّاب صَكَّةً عَلَى النَّابِ أَخلته البِكَارُ الكَشَاكِشُ

39 ـ وَكَبْشٌ إِذَا جَدَّ النِّطَاحُ اتَّقَتْ بِهِ بِأَكْفَالِهَا عِنْدَ النِّطَاحِ الكَبَائِشُ

40 ـ وَصَقْرٌ قَطَامِيٌّ إِذَا صَكَّ صَكَّةً قَفَا خَرَبٍ حَيًّا الحَصَا وهْوَ رَاعِشُ

41 ـ وَحَيَّةُ قُفٍّ بَيْنَ لَهْدَيْنِ تَلْتَوِيْ لِنَهْشَةِ حَيَّاتِ القِفَافِ النَّشَانِشِ

رفع المسهم

42 ـ وَإِنَّا إِذَا خِفْنَا لَنَنْهَضُ في الوَغَى بِكُـلِّ طِمِـرٍّ لَـمْ تَخُنْـهُ الـرَّوَاهِـشُ
43 ـ أَقَبَّ كَسِرْحَانِ الغَضَا العَبْلِ عِنْدَهُ بِفَـارِسِـهِ مَـرٌّ مِـنَ الجَـرْيِ جَـائِـشُ
44 ـ وَكُـلِّ عَنُـودٍ فـي القِيَـادِ كَـأَنَّهَـا خُـدَارِيَّـةٌ بلَّـتْ قَـرَاهَـا الطَّشَـائِـشُ
45 ـ إِذَا كَـانَ يـومـاً لاَ يَنَـالُ قَـذَالَهَـا لإِلْجَـامِهَـا إِلاَّ المُعَـاطـي المُنَـاوِشُ
46 ـ وإِلاَّ الَّذِيْ يَحْمي عَلَيْهَا ويَحْتَوِيْ سَوَامَ الأَعَادِي، والْمُرَادي المدايشُ
47 ـ وَمِنْ عَهْدِ دَاوُوْدِ النَّبِـيِّ سَوَابِغٌ عَلَيْنَـا كَمَـا سَـالَ النِّهَـاءُ المَـوَارِشُ
48 ـ وَخَطِّيَّـةٌ سُمْـرٌ كَـأَنَّ كُعُـوْبَهَـا نَوَى القَسْبِ لاَ يَقْتَصُّ مِنْهَا المُنَاهِشُ
49 ـ وَبِيْضٌ إِذَا مَا جُرِّدَتْ مِنْ جُفُونِهَا لِهَامِ الأَعَادِي طَارَ مِنْهَا الفَـ. . . . . .
50 ـ أَلَمْ يُقْصِرِ الفَرْعَانِ عَنْ سُوْءِ بَيْنِهِمْ وعطُولِ التَّمَادِيْ حِيْنَ طَالَ التَّجَايُشُ

قال أبو علي: هذا الذي رَويتُ منها، وذكر رواة بعض بني كلاب أنها أكثر من هذا، وقالها بالعراق حين قال له ابنُ السِّكِّيْتِ وابْنُ الأَعرابـيّ: قُلْ لنا قافية على الشين.

تعليـق المحقـق:

[وردت هذه القصيدة] في القسم الذي لم ينشر من كتاب «التعليقات والنوادر» في المخطوطة التي في مكتبة (الجمعية الأسيوية) في كلكتة في الهند، ورد منها في مصورتها التي لديَّ (50) بيتاً، منها خمسة أبيات في كتاب الدكتور النجار، ثلاثة أبيات هي في القصيدة؛ الأول والثاني والثالث والسادس والسابع ـ وهما من القصيدة الـ (36) والـ (35) منها ـ أما الرابع والخامس فهما منقولان من «معجم البلدان» رسم (رمح).

وها هو ما استطعت قراءته من هذه القصيدة، ومَا عَجزتُ عن قراءته وضعت مكانُه نُقَطاً: [يلي القصيدة]

ـ 2 ـ

[الوافر]

وله في بني سُلَيْم:

1 ـ تَـرَكْنَـا بِـالنَّقِيْـعِ بَنـي سُلَيْـمٍ ذَوِيْ ذُلٍّ لَنـــا وَذَوِيْ خُضُـــوْعِ
2 ـ وقَـدْ نَـزَلُـوا النَّقِيْـعِ ولاَبَتَيْـهِ فَمَـا نَجَّـاهُـمُ لُـوْبُ النَّقِيْـعِ

رفع المسهم

3 ـ نَقَبْنَا الحَرَّةَ السَّوْدَاءَ عَنْهُمْ ... كَنَقْبِ الرأْسِ عَنْ أُمِّ السَّمِيْعِ

4 ـ طَلَعْنَا مِنْ ثَنَايَاهَا عَلَيْهِمْ ... وَكُنَّا القَوْمَ أَصْحَابَ الطُّلُوعِ

5 ـ بِهِنَّ خَوَانِفاً وَبِهِنَّ شُعْثاً ... يَشِكْنَ الوَقْعَ كَالْحَدَإِ الشُّرُوْعِ

6 ـ فَمَا غَادَرْنَ عِنْدَ بني خُمَيْرٍ ... سِوَى فَقْرٍ لَهُمْ بَاقٍ وَجُوْعِ

7 ـ عَلَى أَنْ قَدْ نَجَا مِنَّا ابْنُ يَحْيَى ... وَنَمَّارٌ وعَمْرُو بْنُ الْمُطِيْعِ

8 ـ وَمَا بَالَى ابْنُ يَحْيَى حِيْنَ نُجِّي ... بِنَفْسِهِ مَنْ أُصِيْبَ مِنَ الجَمِيْعِ

9 ـ رَأَوْا فِي اللأْبَةِ القَصْيَاءِ مِنَّا ... نُزَاءَ العُصْمِ فِي الوَعْرِ المَنِيْعِ

10 ـ فَمَا ماجُوا إلى البِيْضِ الحوالي ... وَلاَ هَمُّوا إليها بالرُّجُوعِ

11 ـ . . . لله شُكْراً يَا ابْنَ يَحْيَى ... وَبَالِغْ فِي التَّهَجُّدِ وَالخُشُوعِ

12 ـ بِمَا أَفْلَتَّ مِنْ أَسْيَافِ قَوْمٍ ... ضَوَارِيَ بِالإِصَابَةِ وَالْوُقُوعِ

13 ـ . . . ذَوَابِلَ نَاهِلاَتٍ ... وَجُرْدٍ مَا يَزِلْنَ عَلَى صَرِيعِ

التخريج:

«التعليقات والنوادر» (المخطوطة الهندية، ص 19 وما بعدها).

ـ 3 ـ

وله أيضاً في يوم مُرَامِرَاتٍ لهم على بني فزارة، أَنْشَدَنِيْهَا جماعة من بني كلاب المُطرَفي وأَبُو المُضَيَّح وغَيْرُهُمَا:

[الوافر]

1 ـ أَلاَ حَيِّ المَنَازِلَ بَيْنَ رُمْحٍ ... وبَيْنَ القَهْبِ دَارِسَةَ المَغَانِي

2 ـ عَفَاهَا كُلُّ أَوْطَفَ ذِيْ حَبِيٍّ ... وَسَافِي التُّرْبِ مِنْ ذَاتِ الزُّبَانِ

3 ـ مَنَازِلُ مِنْ سُعَادَ وَجَارَتَيْهَا ... ذَوَاتِ الدَّلِّ والسَّحْلِ اليَمَانِي

4 ـ وَمَجْدُوْلٍ زَهَاهُ عَلَى التَّرَاقِيْ ... نَظَائِمُ لُؤْلُؤٍ بَيْنَ الجُمَانِ

5 ـ وَنُجْلٍ شُبَّ جَائِلُهَا بِكُحْلٍ ... غَنِيْنَ كَأَنَّهَا حُوْرُ الجِنَانِ

6 ـ وَشُنْبٍ كَالأَقَاحِيْ غِبَّ هَضْبٍ ... كَأَنَّ رُضَابَهُ صَفْوُ الدِّنَانِ

رفع المسهم

7 ـ عَـدَانِـي الشَّيْـبُ عَنْهَـا وَالعَـوَادِيْ ... ومثـل الشَّيْـبِ عَنْهـا مَـا عَـدَانِـي

8 ـ وَحَـرْبٌ أَجْمَعَـتْ قَيْـسٌ عَلَيْنَـا ... فَعَـمَّ الخَـوْفُ مِـنْ قَـاصٍ وَدَانِ

9 ـ كَـأَنَّـا فِيْهِـمُ رَبْـعٌ نَقِيْـلٌ ... إِلَـى خَـوْلاَنَ أَوْ عَبْـدِ المَـدَانِ

10 ـ تُقَـاتِلُنَـا قَبَـائِلُهُـمْ فُـرَادَى ... وَمَثْنَـى ذَاتُ حَشْـدٍ وَاعْتِـوَانِ

11 ـ صَبَحْنَـا يَـومُ جَـوٍّ مُـرَامِـرَاتٍ ... . حَـدَّ الهنـدوانـي

12 ـ تَـرَكْنَـا مِنْهُـمُ بِمُـرَامِـرَاتٍ ... مَـلاَحِـمَ لاَ تَبِيْـدُ عَلَـى الـزَّمَـانِ

13 ـ تَهَـادَاهُـمْ ضِبَـاعُ سُهُـوبِ قَـوٍّ ... وَمُغْـرُ المَضْـرَحِيَّـةِ مِـنْ أَبَـانِ

14 ـ فَلَـوْ شَـاهَـدْتَ يَـوْمَ مُـرَامِـرَاتٍ ... سُلَيْمَـى لاَفْتَخَـرْتِ عَلَـى الغَـوَانِـي

15 ـ لأَدْنَيْـتِ القِنَـاعَ وَلَـمْ تُـرَاعِـي ... وَأَسْبَغْـتِ اللِّبَـاسَ عَلَـى البَنَـانِ

16 ـ غَـدَاةَ دَعَـا المُنَـادِي يَـا لَغَيْـظٍ ... وَأُشْـرِعَـتِ الأَسِنَّـةُ لِلطِّعَـانِ

17 ـ وَكَـانَ القَـوْمُ أَنْـدَاداً فَكَـانَـتْ ... بَنُـو البَـزَرَى لِحَـيٍّ بنـي سِنَـانِ

18 ـ وَرَهْـطُ مُـلاَعِـبٍ وبنـي عَـدِيٍّ ... وشمـخ . . . . . تكَـالَبَـان

19 ـ وَقَـدْ رَكَـدَتْ غَمَـامَتُنَـا عَلَيْهِـمْ ... بِبِيْـضِ الهِنْـدِ وَالسُّمْـرِ اللِّـدَانِ

20 ـ وَجَـاءَتْ مَـازِنٌ أَلْبـاً عَلَيْنَـا ... وَبَعْـدُ قَبَـائِـلٌ مِنْهُـمْ ثَمَـانـي

21 ـ وَغَـابَ ابْنَـا رَبِيْعَـةَ لَـمْ يَجِيْئَـا ... وَعَمَّـانَـا عَلَيْنَـا جَـاهِـدَان

22 ـ فَلَيْتَهُمَـا غَـدَاةَ مُـرَامِـرَاتٍ ... وَقَـدْ حُشِـدَ الكَتَـائِـبُ يَنْظُـرَانِ

23 ـ إِلى ابْـنِ أَخِيْهِمَا لَمَّا اسْتَهَلَّتْ ... سِمِـيُّ المَـوْتِ فِـيْ قَلَـعٍ دَوَان

24 ـ إِذَنْ لَتَبَيَّنَـا حَـدًّا وَجِـدًّا ... وسَعْـراً بِـالأَسِنَّـةِ غَيْـرَ وَانِ

25 ـ لِـذُبْيَـانٍ طَـلاَئِـعُ مِـنْ نُمَيْـرٍ ... عَلَيْنَـا بَيْـنَ لَمَّـات عِيَـانِ

26 ـ تُقَـاتِـلُ مَـرَّةً وَتَعِيْـنُ أُخْـرَى ... فَفَـرَّتْ بِـالصِّغَـارِ وَبِـالْهَـوَانِ

27 ـ فَيَـاللهِ أَيُّ رَحًـى رَحَـانَـا ... رَكُـودَ القُطْـبِ ثَـابِتَـةَ المَكَـانِ

28 ـ لُهَـا الأَرْحَـاءِ مِـنْ مِئَـةٍ فَحَـذْرٍ ... ولُهْـوَتُهَـا ثَمَـانـي وَاثْنَتَـانِ

29 ـ وَإِنْ تَنْشُـدْ بَنِـي ذُبْيَـانَ تُخْبَـرْ ... وَمَـا الخَبَـرُ المُشَكَّـلُ كَـالْبَيَـانِ

30 ـ أَلَـمْ يَـكُ جَمْعُهُـمْ مِئَـةً وَأَلْفـاً ... كَجِلْـبِ اللَّيْـلِ ذَا أَرَبٍ وَشَـانِ

رفع المسهم

31 ـ عَلَى رَايَاتِ وَاحِدَةٍ وعَشْرٍ ... عَلَى الظَّنِّ المُخَيِّبِ وَالأَمَانِي

32 ـ يَقُودُهُمُ المُنَاهِبُ وَابْنُ دَهْوٍ ... وَشِمْرٌ والمُبَادِرُ وَالْيَمَانِي

33 ـ وَأَوْسٌ وَابْنُهُ وابْنُ المُثَنَّى ... وَعَمَّارٌ وَنَصْرُ ابْنُ البُنَانِ

34 ـ وَقَعْقَاعٌ وقَدْ حَامَتْ عَلَيْهِ ... عِتَاقُ الطَّيْرِ في جَزَرٍ سِمَانِ

35 ـ تُوُفِّيَ مِنْهُمُ مِئَتَا كَمِيٍّ ... رَدَتْ قَبْلَ النِّدَاءِ إِلَى الأَمَانِ

36 ـ يَدَانِ لَنَا عَلَى غَطَفَانَ نُعْمَى ... وبُؤْسَى لاَ جَزَتْ بِهِمَا يَدَانِ

37 ـ بِرَفْعِ السَّيْفِ عِنْدَ الحَرْبِ عَنْهُم ... وَكَفٌّ بَعْدَ قَتْلٍ وَاحْتِجَانِ

38 ـ . . . فيَمَنْ قَتَلْنَا ... مِنَ الرُّؤَسَاءِ يَوْمَ الشَّذْرَوَانِ

39 ـ وَأَفْلَتَنَا المُبَادِرُ وَالعَوَالِي ... تَنُوشُهُ هَارِباً والمَوْتُ دَانِ

40 ـ وَنَجَّى ابْنُ الدُّهَيِّ ولَمْ يُنَاطِرْ ... عَلَى الطَّيَّارِ يَمْرَحُ في العِنَانِ

41 ـ وَقَاهُ المُجْحِفَاتِ مِنَ المَنَايَا ... يُحَرِّفُهُ وتَصْمِيمُ الحِصَانِ

42 ـ وَلَوْ دَانَى الأَسِنَّةَ لاَدَوَتْهُ ... كَمَا قَدْ تَدَّوِي مَنْ قَدْ يُدَانِي

43 ـ شَفَانِي في بَنِي ذُبْيَانَ يَوْمٌ ... وَلَوْلاَ قَتْلُ مُرَّةَ مَا شَفَانِي

44 ـ وحَلَّ الحَرْبُ كَلْكَلَهَا بِغَيْظٍ ... صِيَالاً وَهْيَ مُوقِشَةُ اللِّيَانِ

45 ـ ذَوِي الأَضْغَانِ قِدْماً وَالتَّمَادِي ... عَلَى الأَوْتَارِ وَالأَيْدِي الجَوَانِي

46 ـ عَفَرْنَا مِنْهُمُ بِمُرَامِرَاتٍ ... وُجُوهاً لاَ تَخِمُّ مِنَ الدِّهَانِ

47 ـ مُلُوكاً غَالِبِيْنَ بَنِي مُلُوكٍ ... ذَوِي ضَرْبِ المَعَازِفِ والقِيَانِ

48 ـ وَأَرْدِيَةُ العَبَهْقَرِقِي عَلَيْهِمْ ... مُحَلَّاةٌ بِشَذْرِ شَمَرْذُوَانِ

49 ـ وفِتْيَانَ المَلاَحِمِ والمَرَادِي ... وَمُخْتَصِرِيْ عِصِيِّ الخَيْزُرَانِ

50 ـ وَكَمْ ضَرَبَتْ عَلَيْهِم مِنْ خُدُورٍ ... نَوَاعِمُ مِنْ بَنِي غَيْظٍ حِسَانِ

51 ـ تُرِكْنَ حَوَانِياً بَلْ هُنَّ مِنْهُمْ ... أَرَامِلُ بِالأَسِنَّةِ لاَحَوَانِي

52 ـ أَقَرَّ العَيْنَ مَا لاَقَى دُعَيْجٌ ... مِنَ التَّشْمِيسِ مِنْ بَعْدِ الصِّوَانِ

53 ـ وَمُخْتَلَعٌ جِبَابُ الخَزِّ عَنْه ... وَدِرْعُ السَّابِرِيَّةِ لم يُعَانِي

54 ـ وَمُلْقَى كَفِّهِ وَبِهَا خِضَابٌ ... نَجِيعٌ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ قَانِ

رفع المسهم

55 ـ فَهَـذَا يَـا بنـي ذُبْيَـانَ مِنَّـا ... إِلَيْكُـمْ قَبْـلَ حَشْـدٍ وَاعْتِـوَانِ

56 ـ وَقَبْـلَ الحَـزْمِ إِنَّ الحَـزْمَ أَعْلَـى ... وَأَيٌّ عَـوْدَةُ الحَـرْبِ العَـوَانِ

58 ـ لَهَـا جَلَـبٌ ..... وَحَفْـلٌ ... وَتَخْلِيْـطٌ ..... وَالـزَّمَـانِ

59 ـ وَتُنْتِـجُ بَعْـدَ إِثْقَـالٍ تَمَـاماً ... وَتُصْبِـحُ لاَقِحـاً قَبْـلَ الصِّنَـانِ

60 ـ وَقَـدْ رَامَـتْ ظُـلاَمَتَنَـا تَمِيْـمٌ ... فَـرَاحَـتْ كَـالْعطُـوفِ عَلَـى عِـرَانِ

61 ـ وَرَامَتْهَـا بَنُـو ذُبْيَـانَ طُـرًّا ... فَهَـلْ وَجَـدُوا ـ سَلُـوهُـمْ ـ مِـنْ لِيَـانِ

62 ـ سَلُـوا عَنَّـا عُمُـومَتَنَـا نُمَيْـراً ... وَمَـا الخَبَـرُ المُجَمْجَـمُ كَـالْبَيَـانِ

63 ـ غَـدَاةَ الجُـرْفِ إِذْ وَرَدُوا عَلَيْنَـا ... بِـذِي لَجَـبٍ شَـدِيْـدِ الإِرْنَـوَانِ

64 ـ كَـأَنَّ هَمَـاهِـمَ الأَبْطَـالِ فِيْـهِ ... أَزِيْـزُ الغَيْـثِ أَوْ ضَـرْبُ القِيَـانِ

65 ـ عَلَـى أَنَّـا نُمَـارِسُ مِـنْ سُلَيْـمٍ ... وَشِـدَّتِهِـمْ عَـرُوْضـاً ذَاتَ شَـانِ

66 ـ فَنَحْـنُ لَهُـمْ وَنَحْـنُ إِلَـى نُمَيْـرٍ ... كَغَـرْبِـيْ نَـاضِـحٍ يَتَـدَاوَلاَنِ

67 ـ وَنَقْلِبُهَـا لإِخْـوَتِنَـا عُقَيْـلٍ ... فَهُـنَّ نَـوَاعِـبٌ أَبَـداً عَـوَانِـي

68 ـ فَهَـذِي يَـا عُمُـومَتَنَـا إِلَيْكُـم ... هَـدَايَـانَـا فَقَـرُّوا لِلْهَـوَانِ

التخريـج:

«التعليقات والنوادر» (المخطوطة الهندية من ص 90 إلى 96).

تعليـق المحقـق:

لم تتّضح كلمات كثيرة منها، وقد أورد صاحب «اللسان» البيت السادس والعشرين في رسم (عين).

رفع المسهم

من أخبار ناهض بن ثومة

«أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني بن العباس الهاشمي من ولد قُثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه، قال:

كان ناهض بن ثُومَةَ الكلابـيّ يَفِدُ على جدِّي قُثم فيمدَحُه، ويَصِلُه جَدِّي وغيرُه، وكان بَدَوِيّاً جافِياً كأنّه من الوَحْش، وكان طَيِّبَ الحديث، فَحدَّثه يومـاً أنّهم انْتَجَعُوا نَاحيةَ الشّام، فقَصد صديقاً لَه من وَلَد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزلُ حَلَب، فَإذَا نَزَلَ نَوَاحيها أَتَاهُ فَمَدَحَهُ، وكان بَرًّا به، قال: فمررتُ بقَرْية يقال لها قرية بَكْر بن عبد الله الهلالي، فرأيت دُوراً متباينةً وخِصَاصاً قد ضُمَّ بعضُها إلى بعض، وإذا بها ناسٌ كثير مُقْبِلون ومُدْبِرون، عليهم ثيابٌ تَحْكِي ألوَانَ الزّهر، فقلت في نفسي: هذا أحَدُ العِيدَيْن: الأضحى أو الفِطرِ. ثم ثَابَ إليَّ ما عَزَبَ عن عقلي، فقلتُ: خرجْتُ من أَهْلِي في بَادِية البَصْرة في صَفَر، وقد مضَى العِيدَان قبل ذلك، فما هذا الذي أرَى!

فبينا أنا واقفٌ متعجّب أَتَانِي رجلٌ فأخذَ بِيَدِي، فأَدْخَلَني داراً قَوْرَاءَ، وَأَدْخَلَنِي منها بيتاً قد نُجِّدَ في وجْهِه فُرُشٌ وَمُهِّدَتْ، وعليها شَابٌّ يَنَالُ فُرُوعُ شَعْرِهِ مَنْكَبَيْه، والناسُ حولَه سِمَاطان، فقلتُ في نفسي: هذا الأميرُ الذي حُكِيَ لَنَا جُلُوسُه على الناس وجلوسُ النّاسِ بين يَدَيْه، فقلتُ وأنا ماثلٌ بين يديه: السَّلام عليك أيها الأميرُ ورحمةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُه. فجذَب رجلٌ يَدِي، وقال: اجْلِسْ فإنَّ هذا ليسَ بأَمير. قلت: فَما هو؟ قال: عَرُوسٌ. فقلت: وَاثُكْلَ أُمّاه، لَرُبَّ

رفع المسهم

عَرُوسٍ رأيتُه بالبادية أَهْوَنُ على أَهْلِهِ من هَنِ أُمِّه. فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ دخلَ رجالٌ يَحْملون هَناتٍ مُدَوَّرات، أَمَّا مَا خَفَّ منها فَيُحْملُ حَملاً، وأمّا مَا كَبُرَ وثَقُلَ فَيُدَحْرَجُ، فَوُضِعَ ذلك أمامنَا، وتحلّقَ القومُ عليه حِلَقاً، ثم أُتِينَا بِخِرَقٍ بيضٍ فأُلْقِيَتْ بَيْن أَيْدِينَا، فَظَنَنْتُهَا ثياباً، وهَمَمْتُ أنْ أَسْأَلَ القومَ منْها خِرَقاً أَقْطَعُهَا قميصاً، وذلك أنّي رَأَيْتُ نَسْجاً مُتَلاحِماً لا يَبِينُ لَهُ سَدًى ولا لُحْمَةٌ، فَلمّا بَسَطَهُ القومُ بيْن أيْديهم إذا هُو يَتَمَزَّقُ سريعاً، وإذا هو ـ فيما زعَمُوا ـ صِنْفٌ من الخُبْز لا أعْرفُه، ثم أُتِينَا بطعَامٍ كثير بَيْن حُلْوٍ وحَامِضٍ، وحارٍّ وباردٍ، فأكثرْت منه وأنا لا أعلمُ ما في عقِبِهِ من التّخَم والبَشَم، ثم أُتِينَا بشرابٍ أحمرَ في عِسَاسٍ، فقلتُ: لا حاجةَ لي فيه، فإنّي أخافُ أَن يقْتُلَنِي.

وكان إلى جانبي رجلٌ ناصحٌ لي أَحْسنَ اللَّهُ جَزَاءه، فإنّه كان يَنْصَحُ لي مِنْ بَيْن أَهْل المجْلس، فقال: يا أعرابِيُّ إنّك قد أَكْثَرْتَ من الطّعام، وإن شَرِبْتَ الماءَ هَمَى بَطْنُك. فلمّا ذَكَرَ البَطْنَ تذكّرتُ شيئاً أَوْصانِي بِهِ أَبِي والأشياخُ منْ أَهْلِي، قَالوا: لا تزالُ حيّاً ما كانَ بطنُك شَديداً فَإِذَا اخْتَلَفَ فَأَوْصِ. فَشَرِبْتُ مِنْ ذلكَ الشّرابِ لأتَدَاوَى بِه، وجَعَلْتُ أُكْثِرُ منْه فَلا أملُّ شُرْبَه، فَتَدَاخَلَنِي منْ ذلك صَلَفٌ لا أعْرِفُه مِنْ نَفْسِي، وبُكَاءٌ لا أعْرِفُ سَبَبه ولا عَهْدَ لي بِمِثْله، واقْتِدارٌ على أمْري أَظُنُّ مَعَه أنِّي لَو أردْتُ نَيْلَ السّقْفِ لَبَلَغْتُه، ولَوْ سَاوَرْتُ الأسدَ لَقَتَلْتُه، وجعلْتُ أَلْتَفِتُ إلى الرّجلِ النّاصِحِ لِي فَتُحَدّثُنِي نَفْسِي بِهَتْمِ أَسْنَانِه وَهَشْمِ أنْفِه، وَأَهُمُّ أحياناً أَنْ أقولَ له: يابْنَ الزّانِيَة! فَبَيْنَا نَحْنُ كذلك إذْ هَجَم علَيْنَا شياطينُ أَرْبَعَةٌ، أحدُهُم قَدْ عَلّقَ في عُنقِه جعْبةً فارسيّةً مشنّجَةَ الطّرَفَيْن دَقِيقَةَ الوَسَطِ، مشْبُوحَةً بالخُيُوطِ شَبْحاً مُنْكَراً، ثُمَّ بَدَرَ الثّانِي فاسْتخرجَ من كُمِّه هَنَةً سَوْدَاءَ كَفَيْشلَةِ الحِمَار، فوضعَها في فِيهِ، وضَرَط ضُرَاطاً لَمْ أَسْمعْ ـ وَبَيْتِ الله ـ أعجبَ منه، فاسْتَتَمَّ بهاأمْرُهم، ثمَّ حرَّكَ أصابعَه على أَجْحِرَةٍ فيها فأَخْرجَ مِنْهَا أَصْوَاتاً لَيْسَ كما بَدَأَ تُشْبِهُ الضُّرَاطَ ولكنّه أَتَى مِنْهَا لَمَّا حرَّك أَصَابعَه بصَوْتٍ عجيبٍ

رفع المسهم

متلائم مُتَشاكلٍ بَعْضهُ لِبَعْض، كأنّه، عَلِمَ اللَّهُ، يَنْطِقُ. ثمَّ بَدا ثالثٌ كَزٌّ مَقِيتٌ عليْه قَميص وَسِخٌ، مَعَه مِرآتان، فَجَعَل يُصَفِّقُ بِيَديْه إحْدَاهُمَا على الأخرى فَخَالَطتَا بصَوْتِهِمَا ما يفعَلُه الرَّجلان، ثُمَّ بَدا رَابعٌ عَلَيْه قميصٌ مَصُونٌ وَسَرَاويلُ مصُونةٌ وخُفّانِ أَجْذَمان لاَ ساقَ لِوَاحِدٍ منْهُمَا، فَجعَل يَقْفِزُ كأنَّه يَثِبُ على ظُهور العَقَارِب ثُمَّ التَبَطَ به على الأرض، فقلتُ: مَعْتُوهٌ وَرَبِّ الكَعْبة! ثمَّ ما بَرِحَ مكانه حتّى كان أَغْبَط القوم عِنْدِي. ورأيتُ القَوْمَ يَحْذِفُونَه بالدَّرَاهِم حذْفاً مُنْكَراً.

ثمَّ أَرْسَلَ النّساءَ إلَيْنَا: أن أَمْتِعُونَا مِنْ لَهْوكُمْ هَذَا. فَبَعَثُوا بِهِم، وجعلْنَا نَسْمعُ أصواتَهُنَّ مِنْ بُعْدٍ، وكان مَعَنَا في البَيْتِ شَابٌّ لا آبَهُ له، فَعَلَتِ الأصواتُ بالثّناء عليْه والدّعاءِ، فخَرَج فجاءَ بخشَبَةٍ عَيْنَاهَا في صَدْرِها، فيها خيُوط أَرْبَعَةٌ، فاستخْرَجَ من خِلاَلها عوداً فَوضعَه خلفَ أُذُنِه، ثُمَّ عَرَكَ آذَانَهَا وَحَرَّكَهَا بِخَشَبَةٍ في يَدِه فَنَطَقَتْ ـ وربِّ الكَعْبَة ـ وإذا هي أَحْسَنُ قَيْنَة رأَيْتُهَا قَطُّ، وغنّى عَلَيها، فأَطْرَبَنِي حتّى استَخفّني مِنْ مَجْلِسِي. فَوثبتُ فجلَسْتُ بَيْن يَدَيْه، وقلتُ: بأَبِي وأَنْـتَ وأُمّي، ما هذه الدَّابّةُ فلسْتُ أَعرِفُهَا لِلأعرَاب وَمَا أرَاهَا خُلِقَتْ إلاّ قريباً. فقال: هذا البَرْبَطُ؟ فقلت: بأبي أَنت وأُمّي، فَما هذا الخَيْطُ الأَسفَلُ؟ قال: الزِّيرُ. قلت: فالذي يَلِيه؟ قال: المَثْنَى. قلت: فالثّالثُ؟ قال: المَثْلَثُ قلت: فالأعلَى؟ قال: البَمُّ. قلت: آمنتُ بالله أوّلاً، وبكَ ثانياً، والبَرْبَطِ ثَالثاً وبالبمّ رابعاً.

قال: فضحك أبي، والله حتى سَقَط، وجعلِ ناهضٌ يَعْجَبُ مِنْ ضحكِهِ ثُمَّ كان بَعْد ذلك يَسْتَعِيدهُ هذا الحديثَ، ويُطْرِفُ به إخْوَانَه فيُعِيدُه ويَضْحَكُونَ منه»[1].

الأغاني ج 13 ص 178 ـ 181

(1) ورد هذا الخبر مع اختلاف جزئي في الرواية في مختار الأغاني ج 8 ص 30 ـ 34.

رفع المسهم

ما جمعناه من شعر ناهض بن ثومة

القافية	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الباء	2	21
الحاء	1	18
الشين	2	57
العين	1	13
الميم	1	17
النون	2	102
الياء	1	2
المجموع	10	230

البحر	القصائد والمقطعات	عدد الأبيات
الوافر	5	127
الطويل	4	101
البسيط	1	2
المجموع	10	230

ملاحظة:

الفهرس المفصّل للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عموماً في تخريج شعر ناهض بن ثُومة وغيره من المقلّين وتحقيق هذا الشعر ودراسته وضبط تراجم الشعراء ونقد أخبارهم، فذلك ما يجده القارىء في ذيل الجزء السادس من هذه المدونة.

رفع المسهم

أبو الشّيص

(توفي سنة 196هـ)

● «وَمِنْ طَبَقَةِ أَبِي نُوَاس العبّاسُ بنُ الأَحْنَفِ وَمُسْلِمُ بنُ الوَلِيدِ صَرِيعُ الغَوَاني والفَضْلُ الرَّقَاشِيُّ وَأَبَانُ اللاَّحِقِيّ وأَبُو الشّيص والحُسَيْنُ بنُ الضَّحّاك الخَلِيعُ ودعْبِلٌ. . .».

ابـن رشيق: العمدة ص 1/ 101.

● «يَـا لَيْلَـةً جَمَعَـتْ لِـي طِيـبَ أَرْبَعَـةٍ
ونَبَّهَـتْ فَـرْحَتِـي والـدَّهْـرُ وَسْنَـانُ»
«الـرّيـحُ شَـرْقِيَّـةٌ والـرَّاحُ مُشْـرقَـةٌ
والبَـــدْرُ مُبْتَـــدِرٌ والـــرَّوْحُ رَيْحَـــانُ

أبو الشّيص (المختار من قطب السرور ص 387)

رفع المسهم

تنبـــيه

نُخصّص هذه الحلقةَ الأخيرة من الجزء الأول لأبِـي الشّيص، وليس ذلك مجرّد اتّفاق. فَلَقَدْ تجمّعتْ في شِعْر أَبـي الشّيص من خصائص الشعر الجيِّد، قَدِيمِهِ ومُحْدَثِه، ما يجعلُ الباحثَ في حيرة، لا يدْري كيف يصَنِّفُ هذا الشعرَ. فأنتَ تقرأُ القصيدةَ الواحدةَ لأبـي الشّيص فَتَتَمثّلُ في آنٍ واحدٍ صُورتَيْن للشاعر لا تستطيعُ الفَصْلَ بينهما: صورةَ شَاعر عربـيٍّ مَحْضٍ تَلْتَحِمُ وصورةَ شاعر مُوَلّدٍ مَحْضٍ، وتتساءلُ كيف تَمّتْ عمليّةُ الائْتِلاَف هذه دُون تكلُّفٍ وفي غير ما اسْتعْصاء. ذلك أَنَّ أَبَا الشّيص، على غِرَار بشّار في أواسط هذا القرن، يُمثِّل نمطاً فريداً من بَيْنِ شُعَراء العصر[1]. ولقد أَدْرك القُدماءُ أَنْفُسهم ذلك، فاختلفوا في شأْنه أَشَدَّ الاختلاف وعدَّه ابن المُعْتَزّ وأَبُو نواس «أَشْعَرَ طَبَقَاتِ المُحْدثِين»[2] في حين جَعَلَه أَبو الفرج «متوسّط المحَلِّ في شعراء عصره»[3] وأغفلَه أَوْ كاد في أغانيه. ولَيسَ أدلَّ على هذا المَصِير الغَريب مِنْ ضياع دِيوانه الضَّخْم (150 ورقة) على نَبَاهَة ذِكْره.

(1) انظر بصفة خاصة القصيدة النونية ص 211 وتعليقنا بالذيل.
(2) الأغاني ج 16 ص 400، 404.
(3) الأغاني ج 16 ص 400.

رفع المسهم

إطار لترجمته

● هو مُحمّد بنُ عبد الله بن رَزين الخُزاعيّ، وأبو الشّيص لَقَبٌ غَلَبَ عليه.

● ينتمي إلَى بيْت عُرِفَ بالشعر (ابنُه عبدُ الله شاعرٌ وابن عَمِّه دِعْبِل شاعر).

● نشأ بالكُوفة ثم انتقل إلى بَغْداد حيثُ اتّصَل بالرَّشيد والأمين ثمَّ قَضَى سِنِيهِ الأَخيرةَ بالرَّقّة حيثُ انقطع لأميرها عُقبَة بنِ الأَشْعَثِ.

● اتّصل بشُعراء العصر ومنهم أبو نُواس ومُسْلم بن الوليد ودِعْبل، ولَهُ معهم مساجلات.

● عَمِيَ في آخر عمره ومات مقتولاً سنة 196هـ

● يبدو أنّه كان محبّاً للخَمْر والغِلْمَان وقصَّةُ مَقْتلِه (دبَّ إلى خادم ليْلاً وهو سَكْرَانُ فَوجأَه بِسكينٍ: الأغاني ج 16 ص 405 ـ 406) تُنيرُ هذه الظاهرةَ السُّلوكية، ومع ذلك فقد ذَكَره الوشّاء من جُملة «المُشْتَهرين بالصَّبْوة والغزَل» (الموشى ص 69). وإنَّ ما تبقّى من شِعْره يؤكدُ كِلْتَا النّاحِيَتَيْن من شَخْصِيّته.

● يبدو أنّ شعره اختلَط بِشِعْرِ آلِ رَزين وجُلُّهم مِنَ المَغْمُورين باسْتثناء دِعْبل، ولعلَّ ذلك كان من العَوامل التِي سَاعدَتْ على ضَياع ديوانه (مائة وخمسون ورقة من صنعة أَبـي بكر الصولي: الفهرست/ طهران ص 183).

المصادر الأساسية:

ـ طبقات ابن المعتز (ص 72 ـ 87).

ـ الشعر والشعراء (ص 822 ـ 823).

رفع المسهم

- الأغاني (ج 16 ص 400 ـ 408).
- قطب السرور (ص 107 ـ 108)، 216 ـ 217، 714).
- الأنوار ومحاسن الأشعار (ص 200).
- نهاية الأرب (ج 4 ص 131).
- معاهد التنصيص (ج 4 ص 87 ـ 94).

بقية المصادر والمراجع:

يجد لها الباحث ثبتاً وافياً في:

- فؤاد سزقن: «تاريخ الآثار العربية المدوّنة» ج 2 ص 532 ـ 533.
- الجبّوري: أشعار أبـي الشيص الخزاعي ص 131 ـ 144.
- دائرة المعارف الإسلامية (ط. 2) ج 1 ص 154 ـ 155.
- تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان ج 2 ص 98 ـ 99.
- تاريخ الأدب العربـي (فرُّوخ) ج 2 ص 148 ـ 149.

شـعـره

ما تبقّى من شِعْر أَبـي الشّيص جمع أَكثرَه عبدُ الله الجبّوري[1] ونشرَه بعنوان «أَشْعَار أبـي الشّيص الخُزاعي» (بغداد 1967). وهذا المجموع ـ وَإِنْ كَانَ لصَانِعِهِ فَضْلُ السّبق ـ في حاجة إلى مُراجعة جذريّة تستنِدُ إلى مَنَاهج التّحقيق العِلْميّ التي أَقرَّتْهَا السُّنن الجامعيّة، وَنَعْنِي بصفةٍ خَاصَّة المطوّلاتِ الخَمس التي وَرَدَتْ فيه[2] والتي تَسْتَأْثر بالقِسْم الأَوْفر مِنْه[3]. ذلك أنّ من شرائط

(1) انظر مقطعات فاتت المحقق بالمصادر التالية:
البرصان والعرجان ص 272 ـ الإبانة عن سرقات المتنبـي ص 118 ـ البصائر والذخائر ج 7 ص 222 ـ قطب السرور ص 108، 712، 713 ـ المختار من قطب السرور ص 387 ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة القسم 2 المجلد 2 ص 717.

(2) نستثني «القصيدة اليتيمة أو الدعدية» التي أوردها الجبوري ضمن أشعار أبـي الشيص في حين أنه ليس لنا ما يؤكد نسبتها إليه (أدرجنا هذه القصيدة كأثر مستقل في الجزء الثاني من هذا المجموع المتعلق بالغزل ومسالكه ص 7 ـ 34).

(3) ما تبقى يتألف من 55 مقطعة، معظمها لا يتجاوز البيت أو البيتين، ولنا عليها ملاحظات =

رفع المسهم

التّحقيق عَدَمَ الاكْتفاء بذِكْر مصادر التخريج دون تَخْصِيصٍ للأَبيات المُسْتخرجة، وضرورةَ مقارنَةِ مختَلِف الرّوايات، وتَحْديدَ وُجُوه الاخْتلاف في جميع مَواضعِها بدون استثناء، وهو عملٌ لَمْ يَتِمَّ إلاَّ في حُدُودٍ. ناهيك أَنَّ المحقّقَ لم يتجاوزْ في أكثر الأَحْيان نَقْل القصيدة عن طبقات ابن المعتزّ، مع عَدَم الإيفَاء في ثَبْت المصادر بجميع ما ذَكَره مُحَقّقُ الطبقَّات في القِسْم الذي خصَّصه للتّخريج، وَإهْمالِ النّظر في اخْتِلاف الرّوايات، ـ ولعلَّ أَحْسنَ شَاهدٍ لذلك النُّونيّة (ص 332)، حيث اقْتَصَرَ المحقّقُ على شرْح ما بَدَا لَه غريباً من اللّفظِ، دون ما نَظر في المصادر التي جدَّ في البَحْثِ عنها عبدُ الستّار أحْمد فَرَّاج ونبّه إلَيْها في ذَيْل الطبقات، الأمرُ الذي جَرَّ عبدَ الله الجبوري إلى عَدَم استِثْمَار هذه المصادر، مِمّا قد يُوهِمُ القَارىء بأنّها لا تُغَيِّرُ شيئاً مِن النّصِ الذِي أَقرَّتْهُ الطبقات، فِي حِينِ أَنَّهُ يَتّضِحُ للدَّارس بَعْدَ تَعَقُّبِ هذه المصادر أنّها لاَ تَقِفُ عنْدَ ما هُوَ مألوفٌ في مثْلِ هذا المجال من اختلاف الرِّواية، بَلْ تَأْتِي بزيادات سَقَطتْ في روَايَةِ ابن المُعْتَزّ. ومهْما يكُنْ مِنْ أَمْر فإنّنَا إذْ نقتطعُ اليومَ من شِعْر أَبِـي الشّيص المُطوّلاتِ دُون غَيْرِها من المُقَطّعات، وجميعُهَا مِمّا اختارَه ابنُ المعتزّ، نَفْعلُ ذلك لاعْتِقَادِنَا أنَّ هذه القَصائدَ تمثلُ أَحْسنَ تمثيل عَبْقريّةَ هذا الشاعر الفَذّ، ولَعلّكَ إذا اسْتَثْنَيْتَ من المعاصرين بشّاراً وخلفاً وأبا نوَّاس لاَ تقفُ على شاعر استطاع أنْ يُزَاوج في الخِطَاب الشِّعريّ بَيْنَ أَنْسَاقِ القَديم وأنساق المُولّد كَمَا زَاوَجَ، وأَنْ تَعْتَمِلَ في القَصيدةِ الواحِدَةِ من شعره أغراضُ القديم يُضْفِي عليها أَصبَاغَ الحديث، وأغراضُ المُحدَثين يُخْضِعُها لِفَصاحة الأَعْراب. وخيرُ نموذج لهذا المَنْحَى قصيدتُه النّونيةُ حيث تنتظمُ جنباً لجنبٍ أساليبُ المولّدين (من اخْتِيار للبَحْر ذي الإيقَاع الخَفيف، وحُسْنِ التّصرّف في أساليب التّوليدِ، والمُجانَسةِ ممّا نهجتْه مَدْرَسةُ البَديع، والسّعْي وراء «عُذُوبة الألفاظ ورقّتِها، وحَلاوةِ المَعَاني

= سنعود إليها حالماً يتسنى لنا إعادة تحقيق ما لدينا من شعر أبي الشيص.

رفع المسهم

وقُرْبِ مأخَذِها»[1]، وأَساليبُ القُدامَى (من إحكام للنّسْج، وتَخَيُّرٍ لِلّفْظ الجَزْل الفَصِيح، وبُعْدٍ عن السُّخْف والرَّكَاكَةِ، وحُسْنِ تَخَلُّص، وَوُضُوحٍ في الرُّؤيةِ). وفي هذا الائْتِلاف ما يَدلُّ على مَقْدرة فنّية[2] قلَّ أَنْ أدركَها جمهرةُ المعاصرين باستثناء مَنْ ذكرنا. وَلعلَّ ابنَ المعتزّ[3]، وابنَ قُتيبةَ بدرجةٍ أقلَّ، قد أَدْركَا هذه الظاهرةَ المُمَيَّزةَ فانفَردَا بالوُقوف على هذه المُطوَّلات[4] وتَقييدِها، بخلاف أبي الفرج فإنّنا نراه يُهْمِلُ الشاعر أو يكادُ، فَيَحْشُرُهُ في زُمْرَةِ المَغْمورين، فلا يذكرُ له إلاَّ زُهَاء عشرين بيتاً متفرقاتٍ، ويجعله «مُتَوَسِّط المَحَلّ»[5] في شعراء العصر، وهو مَا ذَهَبَ إليه بعضُ المستشرقين المعاصرين من الذين تَأَثّرُوا به[6]. نُضيفُ إلى هذا أنّ الدّراسات النّقْدِيّةَ الحديثةَ يكاد جميعُها يقِفُ عند التّعريف به وذكْرِ مختارات من شعره، لاَ تتجاوزُ ذلك إلى تَقْيِيم شعْره وتحْديد منْحَاه[7].

---

(1) العمدة ج 1 ص 92.

(2) وهو ما شهد له به أبو نواس نفسه عندما سئل عن «أشعر طبقات المحدثين، فقال: الذي يقول:

يطـــوف علينـــا بهـــا أحـــور يـداه مـن الكـأس مخضـوبتـان»

(3) نقل أبو الفرج الخبر التالي (الأغاني: 16/ 400): «حكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامري قال له: من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه، والله لكان الشعر عليه أهون من شرب الماء على العطشان. وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك».

(4) انظر التعاليق التي ذيلنا بها بعضها ص 204 و 214 ـ 215.

(5) يقول أبو الفرج (الأغاني: 16/ 400): «كان أبو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمي وأبي نواس، فخمل».

(6) انظر فصل «أبو الشيص» في دائرة المعارف الإسلامية (ط. 2 ـ ج 1/ 145 ـ 155) حيث يتضح عدم وقوف المستشرق بلا (Pellat) على ما تبقى من ديوان أبي الشيص ناهيك أنه يقصر ما وصلنا منه على «مقطعات قليلة نادرة» في حين أن طبقات ابن المعتز بمفردها قد احتفظت للشاعر بنصيب ليس باليسير من القصائد المطولة والمقطعات يناهز عدد أبياتها المائتين، وهو ما لم يتوفر في علمنا إلا للقليل من عديد الشعراء المعاصرين الذين ضاعت دواوينهم ولم تحتفظ لنا المجاميع إلا بالنزر القليل من شعرهم.

(7) انظر المقدمة التي وضعها عبد الله الجبوري لـ «أشعار ابن الشيص» ص 5 ـ 18، وكذلك =

رفع المسهم

ـ 1 ـ

[الطويل]

1 ـ مرَتْ عَيْنَهُ لِلشّوْقِ فَالدَّمعُ مُنْسَكِبْ ... طُلُـولُ دِيَـارِ الحَـيِّ والحَـيُّ مُغْتَـرِبْ

2 ـ كَسَا الـدّهْرُ بُرْدَيْهِ البِلَى ولَـرُبّمَا ... لَبِسْنَـا جَـديـدَيْهَـا وأعـلامُنَـا قُشُـبْ

3 ـ فَغَيّـرَ مَغْنَـاهَـا وَمَحَّـتْ رُسُـومَهَـا ... سَمَـاءٌ وَأَرْوَاحٌ وَدَهْـرٌ لَهَـا عَقَـبْ

4 ـ تَـرَبّـعَ فـي أَطْـلالِهـا بَعْـدَ أَهْلِهَـا ... زَمَانٌ يُشِتُّ الشّمْلَ في صَرْفِهِ عَجَبْ

5 ـ تَبَـدَّلَـتِ الظُّلْمَـانُ بَعْـدَ أَنِيسِهَـا ... وُسُـوداً مِـن الغِـرْبَـانِ تَبْكِـي وتَنْتَحِـبْ

6 ـ وَعَهْدِي بِهَا غَنّاءَ مُخْضرَّةَ الرُّبَى ... يَطِيبُ الهَوَى فِيهَا ويُسْتَحْسَنُ اللّعِبْ

7 ـ وفِي عَرَصَاتِ الحيِّ أَظْبٍ كأنّهَا ... مَـوَائِـدُ أَغْصَـانٍ تَـأَوَّدُ فِـي كُثُـبْ

8 ـ عَوَاتِقُ قَدْ صَانَ النّعيمُ وجُوهَهَا ... وخفّرَهَـا خَفْرُ الحَـوَاضِـنِ والحُجُـبْ

9 ـ عَفَـائِفُ لَـمْ يَكْشِفْـنَ سِتْـراً لِغَـدْرَة ... وَلَـمْ تَنْتِـحِ الأَطْـرَافُ مِنْهُـنَّ بـالـرِّيَـبْ

10 ـ فَأَدْرَجَهُمْ طَيُّ الجَدِيدَيْنِ فَانْطَوَوْا ... كَذَاكَ انْصِدَاعُ الشَّعْبِ يَنْأَى وَيَقْتَرِبْ

11 ـ وَكَأْسٍ كَسَا السّاقِي لَنَا بَعْد هَجْعَةٍ ... حَوَاشِيَهَا مَا مَجَّ مِنْ رِيقِهِ (1) العِنَبْ

12 ـ كُمَيْتٍ أَجَادتْ جمرةُ الصَّيفِ طَبْخَها ... فـآبَـتْ بـلاَ نَـارٍ تُحَـشُّ وَلاَ حَطَـبْ

13 ـ لَطِيمَةِ مِسْكٍ فُتَّ عَنْهَا خِتَامُهَا ... مُعَتَّقَـةٍ صَهْبَـاءَ حِيـرِيّـةِ النّسَـبْ

14 ـ رَبِيبَةِ أَحْقَابٍ جَلاَ الدَّهْرُ وَجْهَهَا ... فَلَيْـس بِهَـا ـ إلاَّ تَـلأْلُـؤَهَـا ـ نَـدَبْ

15 ـ إِذَا فُرُجَاتُ الكَأسِ مِنْهَا تُخِيِّلَتْ ... تَـأَمَّلْـتَ فِـي حَـافَـاتِهَـا شُعُـلَ اللّهَـبْ

16 ـ كَـأَنَّ اطِّـرَادَ المَـاءِ فـي جَنَبَـاتِهَـا ... تَتَبُّعُ (2) مَاءِ الدُّرّ في سُبُكِ الذَّهَبْ

17 ـ سَقَانِي بِهَا وَاللّيْلُ قَدْ شَابَ رَأْسُهُ ... غَزَالٌ بِحِنّاءِ الزُّجاجَةِ (3) مُخْتَضِبْ

18 ـ يَكَـادُ إِذَا مَـا ارْتَـجَّ مَـا فِـي إِزَارِه ... ومَـالَـتْ أَعَـالِيـهِ مـن اللّيـنِ يَنْقَضِـبْ

19 ـ لَطِيفُ الحَشَى عَبْلُ الشوَى مُدْمَجُ القَرَى ... مَـرِيـضُ جُفُـونِ العَيْـنِ فـي طَيِّـهِ قَبَـبْ

= الصفحات الثلاث التي خصصها للشاعر شوقي ضيف في كتابه «العصر العباسي الأول» (ص 346 ـ 348) والتي لا تتجاوز ذكر مختارات من شعره.

رفع المسهم

20 ـ أميلُ إذَا مَا قَائِدُ الجَهْلِ قَادَنِي إلَيْـه وتَلْقَـانِـي الغَـوانِـي فَتَصْطَحِـب

21 ـ فَـورَّعَنِـي بَعْـد الجَهَـالَـةِ والصِّبَـا عَـنِ الجَهْـلِ عَهْـدٌ بـالشَّبِيبـةِ قَـدْ ذَهَـبْ

22 ـ وَأَحْدَاثُ شَيْبٍ يَفْتَرِعْنَ عن البِلَى ودهْـرٌ تَهِـرُّ النَّـاسَ أَيَّـامُـهُ كَلِـبْ

23 ـ فأَصبحْتُ قد نَكَّبْتُ عَنْ طُرقِ الصِّبا وَجَانَبْتُ أَحْدَاثَ الزُّجَاجَةِ وَالطَّرَبْ

24 ـ يحُطّانِ كَأْساً للنّدِيمِ إذَا جَرَتْ عَلَـيَّ وَإنْ كَـانَـتْ حـلالاً لِمَـنْ شَـرِبْ

25 ـ ولَوْ شِئْتُ عَاطَانِي الزجاجَةَ أَحْوَرٌ طَـويـلُ قَنَـاةِ الصُّلْـبِ مُنْخَـزِلُ العَصَـبْ

26 ـ لَيَالِيَنَا بِالطَّفّ(*) إذْ نَحْنُ جِيرَةٌ وَإذْ لِلْهَـوَى فِينَـا وَفِـي وَصْلِنَـا أَرَبْ

27 ـ لَيَـالِـيَ تَسْعَـى بِـالمُـدَامَـةِ بَيْنَنَـا بَنَاتُ النّصَارَى في قَلائِدِهَا الصُّلُبْ

28 ـ تُخالِسُنِي اللّذَاتِ أَيْدِي عَوَاطِلٍ وُجُوفٌ مِن العِيدَان تَبْكي وتَصْطَخِبْ

29 ـ إلى أَنْ رَمَى بِـالأَرْبَعِيـن مُشِبُّهَـا وَوَقَّـرَنِـي قَـرْعُ الحَـوادِثِ والنَّكَـبْ

30 ـ وكَفْكَفَ مِنْ غَرْبِـي مَشِيبٌ وكَبْرَةٌ وأَحْكَمَنِـي طُـولُ التّجَـارِبِ والأدب

31 ـ وبَحْرٍ يَحَارُ الطرْفُ (4) فيه قَطَعْتُه (5) بِمَهْنُـؤَةٍ مِـنْ غَيْـرِ عُـرٍّ ولاَ جَـرَبْ

32 ـ مُلاحَكَةِ الأَضْلاَعِ مَحْبُوكَةِ القَرَى مُـدَاخَلَـةِ الـرَّايَـاتِ بِـالقَـارِ والخشَـبْ

33 ـ مُـوَثّقَـةِ الأَلْـوَاحِ لَـمْ يُـدْمِ مَتْنَهَـا ولاَ صَفْحَتَيْهَا عَقْدُ (6) رَحْلٍ وَلاَ قَتَبْ

34 ـ عريضَةِ زَوْرِ الصَّدْرِ دَهْمَاءَ (7) رَسْلَةٍ سِنَادٍ (8) خَلِيعِ الرَّأسِ مَزْمُومَةٍ الذَّنَبْ

35 ـ جَمُوحِ الصَّلاَ مِوَّارَةِ الصَّدْرِ جَسْرَةٍ تكـادُ مِـنَ الإغْـرَاقِ فـي السّيْـرِ تلْتَهِـبْ

36 ـ مُجَفّـرَةِ الجَنْبَيْـنِ جَـوْفَـاءِ جَـوْنَـةٍ نَبِيلَةِ مَجْرَى العَرْضِ في ظَهْرِهَا حَدَبْ

37 ـ مُعَلّمَةٍ (9) لاتَشْتَكِي الأَيْنَ وَالوجَى وَلاَ تَشْتَكِـي عَـضَّ النُّسُـوعِ وَلاَ الـدَّأَبْ

38 ـ ولَمْ يَدْمَ مِنْ جَذْبِ الخُشَاشَةِ أَنْفُها وَلاَ خَانَهَا رَسْمُ النِّيَاسِبِ (10) وَالنَّقَبْ

39 ـ مُـرَقّقَـةِ الأَخْفَـافِ صُـمٍّ عِظَـامُهَـا شَدِيدَةِ طَيِّ الصُّلْبِ مَعْصُوبَةِ العَصَبْ

40 ـ يشُقُّ حُبَابَ (11) الماءِ حَدُّ جِرَانِهَا (12) إذَا مَـا تَفَـرَّى عَـنْ مَنَـاكِبِهَـا الحَبَـبْ

(*) الطف: اسم لمواضع عدة وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، وطف الفرات أي الشاطىء (انظر ياقوت/ ط أوروباج 3 ص 539 ـ 540).

رفع المسهم

41 ـ إِذَا اعْتَلَجَتْ والرّيحُ في بَطْنِ لُجّةٍ رأيْتَ عَجَاجَ المَوْتِ منْ حَوْلِهَا (13) يَثِبْ

42 ـ تَرَامَى بِهَا الخُلْجَانُ مِنْ كُلّ جَانبٍ إِلَى مَتْنِ مُغْبَرّ (14) المَسَافَةِ مُنْجَذِبْ

43 ـ وَمَثْقُوبَةِ الأَخْفَافِ تَدْمَى أُنُوفُهَا مُعَـرَّقَـةِ الأَصْـلاَبِ مَطْـوِيّـةِ القُـرُبْ

44 ـ صَوَادِعَ للشّعْبِ الشّدِيدِ الْتِيَامُهُ شَوَاعِبَ للصَّدْعِ الذي لَيْسَ يَنْشَعِبْ

التخريـج:

ـ طبقات الشعراء ص 81 ـ 84. وهو المصدر المعتمد (1 ـ 44).

ـ كتاب الزّهرة ج 2 ص 233 (31، 37، 40 ـ 42).

ـ كتاب البديع لابن المعتزّ (ط أوروبا) ص 20 ـ (17).

ـ الأنوار ومحاسن الأشعار ص 210 (31، 23، 37، 40 ـ 41).

ـ ثمار القلوب ص 323 (17).

ـ زهرة الآداب ج 1 ص 461 (11، 16، 17).

ـ يتيمة الدهر ج 2 ص 99 (17).

ـ محاضرات الأدباء ج 4 ص 565 (31، 34، 36، 37).

اختلاف الرواية:

1 ـ في الأصل: «مِنْ رِيقِهَا العِنَبْ» والتّصْويبُ عَنْ زَهْرِ الآداب كمَا نَبّهَ إلى ذَلك محقّق طبقات الشعراء.

2 ـ زهر الآداب: «تَرَبُّعُ».

3 ـ يتيمة الدهر: «بِحِنّاءِ الغَزَالَةِ».

4 ـ محاضرات الأدباء: «تَحَارَ العَيْنُ».

5 ـ الأنوار: مِنْهُ قَطَعْتُهُ».

6 ـ الأنوار: «عَضُّ رحْلٍ».

7 ـ المحاضرات «عَريضَةِ صَدْر الزَّوْر بَهْمَاءَ».

8 ـ المحاضرات: «سِبَاد».

9 ـ كتاب الزهرة، والأنوار: «مُقَيّلَةٍ» ـ المحاضرات: «مُقَتّلَةٍ».

رفع المسهم

10 ـ هكذا في الأصل: «المَنَاسِب» ولا معنى لَه، ولعلّه تحريفٌ من «نَيَاسِب» ج «نَيْسَب» كما ذهب إلى ذلك محقّق طبقات الشعراء.

11 ـ الأنوار: «خَريرُ المَاءِ».

12 ـ كتاب الزهرة: «سُرْعَة جَرْيِهَا».

13 ـ الزهرة والأنوار: «مِنْ خَوْفِهَا».

14 ـ كذا في الأصل: «مقترّ» ولا معنى له وهو تحريف عن «مُغْبَرّ» وهي رواية الزهرة.

التعليق:

قيلتْ هذه القصيدة في مدح عُقْبة بن الأَشْعَث الخُزاعي أَمير الرَّقّة (طبقات ابن المعتز ص 81) والملاحظ أَنّ قسْمَ المَدْح سَقَط منها ولَعَلَّ نَصِيبَه ـ إن كَانَ ـ لاَ يتجاوز بِضْعَة أَبْيَاتٍ كما هو الشّأن في القَصيدة رقم 5 منْ هذا المجموع. وإنَّ هذَا البتْرَ ـ إنْ صَحَّ ـ لا يُنْقص من قيمة القصيدة، وهو ما أَدركَه ابنُ المعتزّ فجعلَها، على حَالها، «مِنْ قَلاَئِد أَبـي الشّيص»، والأمرُ هنا لا يَخْلُو من منْحًى في تَقْيِيم الشّعر واختياره يَخْرُج عن مَسَالِك ابن قتيبة ونظرته إلى «القصيدة» إذ يُصْبح الأَثرُ في نظر ابن المعتَزّ لا تُقَدَّرُ جودَتُه من حيثُ انتمَاؤُه إلى فنّ من فُنون الشعر (المدح مثلاً) وإنّما من حيثُ الأَغْراضُ التي تَجْرِي فيه. ولقد أَدرك صاحبُ الطّبقات أنّ مطوّلاتِ أَبـي الشيص، وَإِنْ قَصَدَ الشاعر في مُعْظمها إِلَى المدح، لا تخرُج عن النّسَق العام لشعره وهو نسقٌ تنتظم فيه عَوْداً على بَدْء، أغراضُ الذّكرى، ومجالسُ الشارب، وبُكَاءُ الشباب، والرَّحيل، ويؤَلِفُ نِظاماً خاصّاً تَتَمَرْكزُ حَوْلَهُ هذه الأغراض بمعْزل عَن الفنّ الشعري الذِي تَنْتَمِي إليهِ هذه المطوّلات.

ـ 2 ـ(*)

[الهزج]

1 ـ نَهَـــى عَـــنْ خُلّـــةِ الخَمْـــرِ بَيَـــاضٌ لاَحَ فِـــي الشّعْـــرِ

(*) هذه القصيدة أو ما تبقى منها ـ ولعلها في المدح أيضاً ـ لا تخرج عن النسق العام لما وصلنا من مطولات أبـي الشيص (انظر التعليق في ذيل القصيدة رقم 1).

رفع المسهم

2 ـ وَقَـدْ (1) أَغْـدُو وَعَيْـنُ الشّمـ ـس فِـي أَثْـوَابِهَـا الصُّفْـرِ
3 ـ عَلَـى جَـرْدَاءَ قَبّـاءِ الـ ـحَشَـا مُلْهِبَـةِ الحُضْـرِ
4 ـ بِسَيْـفٍ صَـارِمِ الحَـدِّ وَزِقٍ أَحْـدَبِ الظّهْـرِ
5 ـ وَظَبْـيٍ يَعْطِـفُ الأُزْرَ وَيَثْنِيهَـا (2) عَلَـى الخَصْـرِ
6 ـ عَلَـى أَلْطَـفِ مَـا شُـدَّتْ عَلَيْـهِ عُقُـدُ الأُزْرِ
7 ـ مَهَـاةٍ تَـرْتَمِـي الأَلْبَـا بَ عَـنْ قَـوْسٍ مِـنَ السِّحْـرِ
8 ـ لَهَـا طَـرَفٌ يَشُـوبُ الخَمْـ ـرَ لِلنَّـدْمَـانِ بـالخَمْـرِ
9 ـ عَفِيـفُ اللَّحْـظِ وَالإِغْضَـاءِ (3) فِـي الصَّحْـوِ وَفِـي السُّكْـرِ
10 ـ عَلَـى عَـذْرَاءَ لَـمْ تُفْتَـقْ بنَـارٍ لاَ ولا قِـدْرِ
11 ـ عَجُـوزٍ نَسَـجَ المَـاءُ لَهَـا طَـوْقـاً مِـنَ الشّـذْرِ
12 ـ كَـأَنَّ الـذَّهَـبَ الأَحْمَـ ـرَ فِـي حَـافَـاتِهَـا يَجْـرِي
13 ـ وَلَيْـلٍ تَـرْكَـبُ (4) الـرُّكْبَـا نُ فِـي أَجْـوَافِـهِ (5) الخُضْـرِ
14 ـ بِـأَرْضٍ تُقْطَـعُ الحَيْـرَ ةُ فِيهَـا بِـالقَطَـا الكُـدْرِي (6)
15 ـ تَمَسّكْـتُ (7) عَلَـى أَهْـوَا لِهَـا بِـاللَّـهِ وَالصَّبْـرِ
16 ـ وَإِعْمَـالِ بَنَـاتِ الـرّيـ ـحِ فِـي المَهْمَـهِ القَفْـرِ
17 ـ شَمَـالِيـلَ يُصَـافِحْـنَ مُتُـونَ الصَّخْـرِ بِـالصَّخْـرِ
18 ـ بِـإِيجَـافٍ يَقُـدُّ اللّيـ ـلَ عَـنْ نَـاصِيَـةِ الفَجْـرِ

التخريـج :

- طبقات الشعراء ص 77 ـ 78 (1 ـ 18) وهو الأصْلُ المعتمد.
- الشعر والشعراء ص 822 ـ 823 (1 ـ 18).
- ديوان المعاني ج 2 ص 123 (13، 15 ـ 18).
- محاضرات الأدباء (ط 1326/ القاهرة) ج 2 ص 244 (13).

رفع المسهم

اختلاف الرواية:

1 ـ الشعر والشعراء: «لَقَدْ».

2 ـ الشعر والشعراء: «وضَبْيِ تَعْطُف الأَردافُ مَتْنَيْهِ».

3 ـ كذا في الطبقات: «الأَعْضاء» وهو تَصْحيف وما أثبتنا روايةُ الشّعر والشعراء.

4 ـ المحاضرات: «يَغْرَقُ».

5 ـ ديوان المعاني والمحاضرات: «أَمْوَاجِه» الشعر والشعراء: «أَثْوَابِه».

6 ـ كذا في الطبقات: «الكُدْرِ» وهو تحريف بيّن.

7 ـ الشعراء وديوان المعاني: «توكّلْتُ».

ـ 3 ـ[1]

[الكامل]

1 ـ يَـا دَارُ مَـا لَـكِ لَيْـسَ فيـكِ أَنِيـسُ ... إِلاَّ مَعَـــالِـــمُ آيُهُـــن دُرُوسُ

2 ـ الدَّهْرُ غَالَكِ أَمْ عَرَاكِ مِنَ البِلَى ... بَعْـدَ النّعِيـمِ خُشُـونَـةٌ ويَبُـوسُ

3 ـ مَـا كَـانَ أَخْصَبَ عَيْشَنَـا بِـكِ مَرَّةً ... أَيّـامَ رَبْعُـكِ آهِـلٌ مَـأْنُـوسُ

4 ـ فَسَقَـاكِ يَـا دَارَ البِلَـى مُتَخَـرِّفٌ ... فِيـهِ الـرَّوَاعِـدُ وَالبُـرُوقُ هُجُـوسُ

5 ـ دَارٌ جَـلاَ عَنْهَـا النّعِيـمُ فَـرَبْعُهَـا ... خَلَـقٌ تَمُـرُّ بِـهِ الـرّيَـاحُ يَبِيـسُ

6 ـ طَلَـلٌ مَحَـتْ آيُ السّمَـاءِ رُسُـومَـهُ ... فَكَـأَنَّ بَـاقِـي مَحْـوِهِـنَّ دُرُوسُ

7 ـ مَـا اسْتَجْلَبَـتْ عَيْنَيْـكَ إِلاَّ دِمْنَـةٌ ... وَمُخَـرَّبٌ عنْـه الشَّـرَى مَنْكُـوسُ

8 ـ وَمُخَيَّـسٌ فِـي الـدَّار يَنْـدُبُ أَهْلَـه ... رَثُّ القِـلاَدَةِ فِـي التُّـرَابِ دَسِيـسُ

9 ـ أَنِـسَ الوُحُوشُ بهَا فَلَيْس بِرَبْعِهَا ... إِلاَّ النّعَـــامُ تَـــرُودُهُ وَتَجُـــوسُ

10 ـ رَبْـعٌ تَـرَبّـعَ فِـي جَـوَانِبِـهِ البِلَـى ... وَعَفَـتْ مَعَـالِمُـهُ فَهُـنَّ طُمُـوس

11 ـ يَدْعُو الصَّدَى فِي جَوْفِهِ فَيُجِيبُه ... رُبْـدُ النّعَـامِ كَـأَنّهُـنَّ قُسُـوسُ

(1) هذه القصيدة ينفرد ابن المعتز بذكرها في طبقاته، وهي تجري على نسق أخواتها المطولات التي أدرجناها ضمن هذا المجموع (انظر التعليق في ذيل القصيدة رقم 1).

رفع المسهم

12 ـ وَلَـرُبَّمَـا جَـرَّ الصِّبَـا لِـي ذَيْلَـه ... فِيـــهِ، وفيـــهِ مَـــأْلَـــفٌ وَأَنِيـــسُ

13 ـ مِنْ كُلِّ ضَامِرَةِ الحَشَا مَهْضُومَةٍ ... لِحِبَـــالِهَـــا بِحِبَـــالِنَـــا تَلْبِيـــسُ

14 ـ مُتَسَتِّـرَاتٌ بـالحَيَـاءِ لَـوَابِـسٌ ... حُلَلَ العَفَافِ عَنِ الفَوَاحِشِ شُوسُ

15 ـ وَسَبِيئَةٌ مِـنْ كَـرْمِهَـا حِيرِيَّةٌ (1) ... عَـذْرَاءُ مِـنْ لَمْسِ الرِّجَـالِ شَمُـوسُ

16 ـ لَمْ يَفْتِقِ النُّعْمَانُ (2) عُذْرَتَهَا وَلَمْ ... يَـرْشُـفْ مُجَـاجَـةَ كَـأْسِهَـا قَـابُـوسُ

17 ـ كَتَبَ اليَهُودُ عَلَى خَـوَاتِـمَ دَنِّهَـا ... يَـا دَنُّ أَنْـتَ عَلَـى الـزَّمَـانِ حَبِيـسُ

18 ـ ذِمِّيَّـةٌ صَلَّـى وَزَمْـزَمَ حَـوْلَهَـا ... مِـنْ آلِ بَـرْمَـكَ هِـرْبِـذٌ (3) وَمَجُـوسُ

19 ـ تجْلُو الكُؤُوسُ إِذَا جلتْ عَنْ وَجْهِهَا ... شَمْسـاً غَـذَاهَـا الشَّمْسُ فَهْيَ عَـرُوسُ

20 ـ عَكَفَـتْ بِهَـا عُفْـرُ الظِّبَـاءِ كَـأَنَّهَـا ... بِـأَكُفِهِـنَّ كَـوَاكِـبٌ وَشُمُـوسٌ

21 ـ مِـنْ كُـلِّ مُـرْتَـجِّ الـرَّوَادِفِ أَحْـوَرٍ ... كِسْـرَى أَبُـوهُ وَأُمُّـهُ بِلْقِيـسُ

22 ـ رَخْوِ العِنَانِ، إذا ابتدَيْتَ فَخَادِمٌ ... وَإِذَا صَبَـوْتَ إِلَيْـهِ فَهْـوَ جَلِيـسُ

23 ـ يَسْعَـى بِـإِبْـرِيـقٍ كَـأَنَّ فِـدَامَـهُ ... مِـنْ لَـوْنِهَـا فِـي عُصْفُـرٍ مَغْمُـوسُ

24 ـ يَسْقِيكَ رِيقَ سَبِيئَةٍ حِيرِيَّةٍ (1) ... مِمَّـا اسْتَبَـاهُ لِفِضْحِـهِ (4) القِسِّيـسُ

25 ـ بَيْنَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ (5) مَحَلَّةٌ ... لِلَّهْـوِ فِيهَـا مَنْـزِلٌ مَطْمُـوسُ

26 ـ فَـالنَّـدُّ مِـنْ رَيْحَـانِهَـا مُتَضَـوِّعٌ ... والظَّهْـرُ مِـنْ غـزْلاَنِهَـا مَـدْحُـوسُ

27 ـ نَحِسَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهَا فَتَصَدَّعُوا ... إِنَّ الـزَّمَـانَ بِـأَهْلِـهِ لَنَحُـوسُ

28 ـ كُنَّـا نَحُـلُّ بِـهِ وَنَحْـنُ بِغِبْطَـةٍ ... أَيَّـامَ لِـلأَيَّـامِ فِيـهِ حَسِيـسُ

29 ـ فَبَنَى عَلَيْـهِ الـدَّهْـرُ أَبْنِيَـةَ البِلَى ... فَعَلَـى رُبَـاهُ كَـآبَـةٌ وَعُبُـوسُ

30 ـ وَصَـرِيـعِ كَـأْسٍ بِـتُّ أَرْقُبُـهُ وَقَـدْ ... نَهَشَتْـهُ مِـنْ أَفْعَـى المُـدَامِ كُـؤُوسُ

31 ـ عَقَلَ الزُّجَاجُ لِسَانَهُ وَتَخَاذَلَتْ ... رِجْـلاَهُ فَهْـوَ كَـأَنَّـهُ مُطْسُـوسُ

32 ـ سَطَـتِ العُقَـارُ بِـهِ فَـرَاحَ كَـأَنَّمَـا ... مَـجَّ الـرَّدَى فِـي كَـأْسِـهِ الفَـاغُـوسُ

التخريـج :

طبقات الشعراء ص 84 ـ 86.

رفع المسهم

شـروح:

1 ـ حِيرِيّة: نِسبة إلى الحِيرة قَاعِدَة المَنَاذِرَة.

2 ـ النّعمان: هو أَبُو قابوس النُّعمَان بن المنذر من ملوك الحيرة.

3 ـ الهِرْبِذُ: ج هَرَابذة: خَدم نَار المجوس القاموس المحيط.

4 ـ الفِصْح: مِنْ أَعْيَاد النّصَارى.

5 ـ الخَوْرَنَق والسّدِير: من أَشْهَر قُصُور الحِيرة (معجم البلدان ج 3 ص 59).

ـ 4 ـ

[الكامل]

قال يمدحُ عُقبة بن جعفر[1]:

1 ـ أَبْقَى (1) الزَّمَانُ به نُدُوبَ عِضَاض ... وَرَمَى سَوَادَ قُرُونِهِ بِبَيَاضِ

2 ـ نَفَرَتْ بِهِ كَأْسُ النّدِيمِ وَأَغْمَضَتْ ... عَنْهُ الكَوَاعِبُ أَيّمَا إِغْمَاضِ (2)

3 ـ وَلَرُبما جُعِلَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ ... لِجُفُونِهَا غَرَضاً مِنَ الأَغْرَاضِ

4 ـ حَسَرَ المَشِيبُ قِنَاعَهُ (3) عن رَأْسِهِ ... فَرَمَيْنَهُ بالصَّدِّ والإِعْرَاضِ

5 ـ اثْنَانِ (4) لاَ تَصْبُو النّسَاءُ إِلَيْهِمَا ... ذُو شَيْبَةٍ ومحَالِفُ الإِنْفَاضِ

6 ـ فَوُعُودُهُنَّ إِذَا وَعَدْنَكَ بَاطِلٌ ... وبُرُوقُهُنَّ كَوَاذِبُ الإِيمَاضِ

7 ـ لاَ تُنْكِرِي صَدِّي وَلاَ إِعْرَاضِي ... لَيْسَ المُقِلُّ عَلَى (5) الزَّمَانِ بِرَاضِ

8 ـ حُلّي عِقَالَ مَطِيّتِي لاَ عَنْ قِلًى ... وامْضِي فَإِنّي يَا أُمَيْمَةُ مَاضِ

9 ـ عُوِّضْتُ عَنْ بُرْدِ الشّبَابِ مُلاَءَةً ... خَلَقَا وَبِئْسَ مَعُوضَةُ المُعْتَاضِ

10 ـ أَيّامَ أَفْرَاسُ الشّبَابِ جَوَامِحٌ ... تَأْبَى أَعِنّتُهَا عَلَى الرُّوَّاضِ

11 ـ ورَكَائِبٍ (6) صرَفَتْ إِلَيْكَ وُجُوهَهَا ... نَكَبَاتُ دَهْرٍ لِلْفَتَى عضَّاضِ

12 ـ شَدُّوا بِأَعْوَادِ (7) الرِّحَالِ مَطِيَّهُمْ ... مِنْ كُلِّ أَهْوَجَ لِلْحَصَى رَضَّاضِ

(1) هو عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي أمير الرقة.

رفع المسهم

13 ـ يَرْمِينَ بِالمَرْوِ (8) الطّريقَ وَتَارَةً ... يَحْذِقْنَ وَجْهَ الأَرض بالرَّضْرَاضِ

14 ـ قَطَعُوا إليْكَ (9) رِيَاضَ كُلِّ تَنُوفةٍ ... وَمَهَامِهٍ مُلْسِ المُتُونِ عَرَاضِ

15 ـ اكَلَ الوَجيفُ لُحُومَهَا وَلُحُومَهُم (10) ... فَأَتَوْكَ أَنْقَاضاً عَلَى أَنْقَاضِ

16 ـ ولَقَدْ أتتْكَ (11) علَى الزّمانِ سوَاخطاً ... فَرَجَعْنَ (12) عَنْكَ وَهُنَّ عَنْهُ رَوَاضِ

17 ـ إنَّ الأَمَانَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِه ... يَا عُقْبَ شَطَّا بَحْرِكَ الفَيّاضِ

18 ـ بَحْرٌ يَلُوذُ المُعْتَفُونَ بِنَيْلِهِ ... فَعْمُ الجَدَاوِلِ مُتْرعُ الأَحْوَاضِ

19 ـ ثَبْتُ المقَامِ إذَا التَوَى بِعَدُوِّهِ ... لَمْ يَخْشَ مِنْ زَلَلٍ وَلاَ إدْحَاضِ

20 ـ غَيْثٌ تَوَشّحَتِ الرّيَاضُ عِهَادَهُ ... لَيْثٌ يَطُوفُ بِغَابَةٍ وَغِيَاضِ

21 ـ وَمشَمِّرٍ للمَوْتِ ذَيْلَ قَمِيصِهِ ... قَانِي القَنَاةِ إلَى الرَّدَى خَوَّاضِ

22 ـ لأَبِي مُحَمَّدٍ المُرَجَّى رَاحَتَا ... مَلِكٍ إلَى أَعْلَى (13) العُلَى نَهّاضِ

23 ـ فَيْدٌ تَدَفَّقَ بالنّدَى لِوَلِيِّهِ ... وَيَدٌ عَلَى الأَعْدَاءِ سُمٌّ قَاضِ

24 ـ وَجَنَاحُ مَقْصُوصٍ تَحَيَّفَ رِيشَهُ ... رَيْبُ الزَّمَانِ تَحَيُّفَ المِقْرَاضِ

25 ـ أَنْهَضْتَهُ وَوَصَلتَ ريشَ جَنَاحِهِ ... وَجَبَرْتَهُ يَا جَابِرَ المُنْهَاضِ

26 ـ نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّ لَيْثِ كَتِيبَةٍ ... يُرْمَى بِهَا بَيْنَ القَنَا المِرْفَاضِ

التخريج:

ـ طبقات ابن المعتز ص 75 ـ 76: تمام القصيدة وهو المصدر المعتمد.

ـ الحماسة البصرية ج 1 ص 125 (11 ـ 12/ 14 ـ 16/ 22، 23)، وينفرد هذا المصدر بإضافة بيت أدرجناه في القسم من التحقيق المخصّص لاختلاف الرواية.

ـ فوات الوفيات ج 2 ص 449 (7، 5، 4، 3).

ـ نكت الهميان ص 258 (7، 5، 4، 3).

ـ الوافي بالوفيات ج 3 (7، 5، 4، 3).

ـ كتاب الزهرة ج 1 ص 342 (1 ـ 3، 10).

ـ الشعر والشعراء ص 822 (1 ـ 7).

ـ الموشى: ص 130 (4 ـ 6).

رفع المسهم

- عيار الشعر ص 113 ـ (15 ـ 16).
- الحماسة الشجرية ص 200 (11 ـ 16).
- الأشباه والنظائر ج 1 ص 218 (البيت 15).
- التمثيل والمحاضرة ص 87 (البيت 7).
- خاص الخاص ص 113 (البيت 7).
- الإعجاز والإيجاز ص 170 (البيت 7).
- الأغاني ج 16 ص 401 (البيت 7).
- تاريخ بغداد ج 5 ص 401 (البيت 1).
- كتاب الصناعتين ص 455 (15 ـ 16).
- معاهد التنصيص ج 4 ص 94 (البيت 15).
- لسان العرب: مادّة «قرض» (البيت 24).

اختلاف الرواية وضبط النص:

1 ـ الشعر والشعراء: «أَبْدَى».

2 ـ الزهرة: «النّديم وَأَعْرَضَتْ . . . أَيَّمَا إِعْرَاضِ».

3 ـ نكت الهميان: «حَسَرَ المَشِيبُ عِذَارَهُ».

4 ـ الموشى، والفَوات، ونكت الهميان، والوافي:

شَيْئَـــانِ لاَ تَصْبُـــو . . . حَلْيُ المَشِيبِ وَحُلّةُ الإِنْفَاضِ»

5 ـ الأغاني، والشعر والشعراء، والتّمثيل، والإعجاز، وخَاصّ الخاصّ، ونكْت الهميان، والوافي: «عَنِ الزَّمَانِ».

6 ـ الحماستان البصرية والشجرية: «وَعِصَابَةٍ. . .».

7 ـ الحماسة البصرية: «شَدُّوا بِأَكْوَارِ».

8 ـ جميع المصادر باستثناء الحماسة الشّجرية: «بِالمَرْءِ»، ولا وجهَ له. والمَرْوُ حجارةٌ صَلْبَةٌ، وهو ما يتوافق والسِّيَاق.

9 ـ الحماستان البصرية والشجرية: «نِيَاطَ».

10 ـ الأشباه والنظائر: «لُحُومَهُمْ وَلُحُومَهَا».

11 ـ الحماسة الشجرية: «ولقَدْ أَتَيْنَ».

رفع المسهم

12 ـ الحماسة البصرية، وعيار الشعر: «وَرَجَعْنَ».

13 ـ الحماسة البصرية: «شَرَفِ العُلَى. وينفرد هذا المصدرُ بإضافة البيت التَّالي عقب البيت 22:

«رَاضَ الأُمُـورَ وَرُضْنَـهُ بِعَـزِيمَـة وَكَفَـاكَ رَأْيُ مُـرَوَّض رَوَّاضِ»

ـ 5 ـ

[المتقارب]

1 ـ أَشَافَكَ وَاللَّيْلُ مُلْقِي الجِرَانِ غُرَابٌ يَنُوحُ علَى غُصْنِ بَانِ

2 ـ أَحَمُّ (1) الجَنَاحِ شَديدُ الصِّيَاحِ يُبَكِّي بِعَيْنَيْنِ لاَ تَهْمِلاَنِ (2)

3 ـ وَفِي نَعَبَاتِ الغُرَابِ اغْتِرَابٌ وَفِي البَانِ بَيْنٌ بَعِيدُ التَّدَانِي

4 ـ لَعَمْري لَئِنْ فَزِعَتْ مُقْلَتَاكَ إِلَى دَمْعَةٍ قَطْرُهَا غَيْرُ وَانِ

5 ـ فَحُقَّ لِعَيْنَيْكَ أَلاَّ تَجِفَّ دُمُوعُهُمَا وَهُمَا تَطْرِفَانِ

6 ـ وَمَنْ كَانَ فِي الحَيِّ بِالأَمْسِ مِنْك قَرِيبَ المَكَانِ بَعِيدُ المَكَانِ

7 ـ فَهَلْ (3) لَكَ يَا عَيْشُ مِنْ رَجْعَةٍ بِأَيَّامِكَ المُونِقَاتِ (4) الحِسَانِ

8 ـ فَيَا عَيْشَنَا ـ وَالهَوَى مُورِقٌ لَهُ غُصُنٌ أَخْضَرُ العُودِ دانِ

9 ـ لَعَلَّ الشَّبَابَ وَرَيْعَانَهُ يُسَوِّدُ مَا بَيَّضَ القَادِمَانِ (5)

10 ـ وَهَيْهَاتَ يَا عَيْشُ مِنْ رَجْعَةٍ بِأَغْصَانِكَ (6) المَائِلاَتِ الدَّوَانِي

11 ـ لَقَدْ صَدَعَ الشَّيْبُ (7) مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ صَدْعَ الرِّدَاءِ اليَمَانِي

12 ـ عَلَيْكَ السَّلاَمُ فَكَمْ لَيْلَةٍ جَمُوحٍ ولَيْلٍ خَلِيعِ العِنَانِ

13 ـ قَصَرْتُ بِكَ اللَّهْوَ فِي جَانِبَيْهِ بِقَرْعِ الدُّفُوف وَعَزْفِ القِيَانِ

14 ـ وَعَذْرَاءَ (8) لَمْ تَفْتَرِعْهَا السُّقَاةُ وَلاَ اسْتَامَهَا الشَّرْبُ فِي بَيْتِ حَانِ

15 ـ وَلاَ احْتَلَبَتْ دَرَّهَا أَرْجُلٌ وَلاَ وَسَمَتْهَا بِنَارٍ يَدَانِ

16 ـ وَلَكِنْ غَذَتْهَا بِأَلْبَانِهَا ضُرُوعٌ يَحُفُّ (9) بِهَا جَدْوَلاَنِ

17 ـ إِلَى أَنْ تَحَوَّلَ (10) عَنْهَا الصِّبَا وَأَهْدَى الفِطَامَ لَهَا المُرْضِعَانِ

رفع المسهم

[18 ـ فَيَا حُسْنَهَا عِنْدَ شَكِّ البِزَالِ ... يَمُجُّ سُلَافَتَهَا فِي الأَوَانِي (11)]

[19 ـ عَنَاقِيدُ أَخْلاَفُهَا حُفَّلٌ ... تَدُرُّ بِمِثْلِ الدِّمَاءِ القَوَانِي (12)]

20 ـ فَلَمْ تَزَلِ الشَّمْسُ مشْغُولَةً ... بِصِبْغَتِهَا (13) فِي بُطُونِ الدِّنَانِ

21 ـ تُرَشِّحُهَا لِلثَّامِ (14) الرِّجَالِ ... إِلَى أَنْ تَصَدَّى لَهَا السَّاقِيَانِ

22 ـ فَفَضَّا الخَوَاتِمَ عَنْ جَوْنَةٍ ... صَدُوفٍ عَنِ الفَحْلِ بِكْرٍ عَوَانِ (15)

23 ـ عَجُوزٍ غَذَا المِسْكُ أَصْدَاغَهَا ... مُضَمَّخَةِ الجِلْدِ بِالزَّعفَرَانِ

24 ـ يَطُوفُ عَلَيْنَا بِهَا أَحْوَرٌ ... يَدَاهُ مِن الكَأْسِ (16) مَخْضُوبَتَانِ

[25 ـ غَزَالٌ تَمِيلُ بِأَعْطَافِهِ ... قَنَاةٌ تَعَطَّفُ كَالخَيْزُرَانِ (17)]

26 ـ لَيَالِي تُحْسَبُ لِي مِنْ سِنِيَّ ... ثَمَانٍ وَوَاحِدَةٌ واثْنَتَانِ

27 ـ غُلاَمٌ صَغِيرٌ أَخُو شِرَّةٍ ... يَطِيرُ مَعِي للهَوَى (18) طَائِرَانِ

28 ـ جَرُورُ الإِزَارِ خَلِيعُ العِذَارِ ... عَلَيَّ لِعَهْدِ الصِّبَا بُرْدَتَانِ

29 ـ أُصِيبُ الذُّنُوبَ وَلاَ أَتَّقِي ... عُقُوبَةَ مَا يَكْتُبُ الكَاتِبَانِ

30 ـ تَنَافَسُ فِيَّ عُيُونُ الرِّجَالِ ... وَتَعْثِرُ (19) بِي فِي الحُجُولِ الغَوَانِي

31 ـ فَرَاجَعْتُ لَمَّا أَطَارَ الشَّبَابَ ... غُرَابَانِ عَنْ مفْرَقِي طَائِرَانِ (20)

32 ـ وَأَقْصَرْتُ لَمَّا نَهَانِي المَشِيبُ ... وَأَقْصَرَ عَنْ عَذْلِي العَاذِلاَنِ

33 ـ وَعَافَتْ عَيُوفُ وَأَتْرَابُهَا ... رُنُوِّي (21) إِلَيْهَا وَمَلَّتْ مَكَانِي

34 ـ رَأَتْ رَجُلاً وَسَمَتْهُ السِّنُونَ ... بِرَيْبِ المَشِيبِ وَرَيْبِ الزَّمَانِ

35 ـ فَصَدَّتْ وقَالَتْ: أَخُو شَيْبَةٍ ... عَدِيمٌ أَلاَ بِئْسَتِ الحَالَتَانِ (22)

36 ـ فقُلْتُ: كَذَلِكَ مَنْ عَضَّهُ ... مِنَ الدَّهْرِ نَابَاهُ وَالمِخْلَبَانِ (23)

37 ـ وَعُجْتُ إِلَى جَمَلٍ بَازِلٍ ... رَحِيبِ رَحَى الزَّوْرِ فَحْلٍ هِجَانِ

38 ـ سَبُوحِ اليَدَيْنِ طَمُوحِ الجِرَانِ ... غَؤُولٍ لأَنْسَاعِهِ وَالبِطَانِ

39 ـ فَعَضَّيْتُ أَعْوَادَ رَحْلِي بِهِ ... وَنَابَاهُ مِنْ زَمَعٍ يَضْرِبَانِ

40 ـ فَلَمَّا اسْتَقَلَّ بِأَجْرَانِهِ ... وَلاَنَ عَلَى السَّيْرِ بَعْضَ اللِّيَانِ

رفع المسهم

41 ـ قَطَعْتُ بِهِ مِنْ بِلَادِ الشَّآمِ خُرُوقاً يَضَلُّ بِهَا الهَادِيَانِ
42 ـ إِلَى مَلِكٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ كَرِيمِ الضَّرَائِبِ سَبْطِ البَنَانِ
43 ـ إِلَى عَلَمِ البَأْسِ فِي كَفِّهِ مِنَ الجُودِ عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ

التخريج:

ـ طبقات الشعراء: ص 78 ـ 80 وهو المصدر المعتمد (1 ـ 43 باستثناء الأبيات 18، و 19/ قطب السرور والبيت 25/ نهاية الأَرَب).

ـ الشعر والشعراء: ج 2 ص 823 ـ 825 (1 ـ 3، 7، 9 ـ 11، 14 ـ 16، 20 ـ 24، 26 ـ 36).

ـ عيون الأخبار ج 1 ص 149 (1 ـ 3).

ـ الموشّى في الظرف والظرفاء ص 175 (1 ـ 3).

ـ المحاسن والمساوىء ص 332 (1 ـ 3) بدون عزو.

ـ العقد الفريد ج 2 ص 302 (1، 3).

ـ قطب السرور: ص 714 (14 ـ 19، 24).

ص 717 (15 ـ 18، 24).

ـ مصارع العشاق ج 1 ص 143 (1 ـ 3).

ـ نهاية الأرب ج 4 ص 131 (24 ـ 25).

ـ أشعار أبي الشيص ص 98 ـ 102 (مجرّد نِسخ لرواية ابن المعتز بتحقيق فرّاج).

اختلاف الرواية:

1 ـ جميع المصادر: «أَحَصُّ».

2 ـ الشعر والشعراء والمحاسن والموشى: «مَا تَدْمَعَانِ» ـ عيون الأخبار: «لَا تَذْرَفَانِ ـ مصارع العشاق: «مَا تَهْمَلَان».

3 ـ الشعراء: «أَهَلْ لَكَ».

4 ـ الشعراء: «أَيَّامِكَ المُشْرِقَاتِ...».

5 ـ الشعراء: «العَارِضَانِ».

رفع المسهم

6 ـ الشعراء: «. . . يَا عَيْشُ منْ عَهْدِنَا وَأَغْصَانِكَ. . .».

7 ـ الشعراء: «الشّعْبُ».

8 ـ قطب السرور: «وَصَهْبَاءَ».

9 ـ الشعراء: «تَحَفّى بِهَا».

10 ـ قطب السّرور (الرّوَايتان): «تَرَحّلَ».

11 ـ سقَط هذا البيت من الطّبقات وَوَرَد في مَوْضِعين من قُطْب السُّرور مع اختلاف في رواية المصراع كما يلي:

«فَـأَحْسَبُهَـا وَهْـيَ مَكْـرُوعَـةٌ تَمُجُّ . . . . . .

12 ـ بَيْتٌ ثَانٍ سَقَطَ من الطبقات وورد في قطب السُّرُور.

13 ـ الشعراء: «بصَنْعَتِهَا».

14 ـ الشعراء: «لِأَثَام».

15 ـ الشعراء: «صَدُودٍ عَن الفَحْلِ بَكْرٍ هِجَانِ».

16 ـ قطب السرور: «مِنَ الخَمْرِ».

17 ـ بيت سقط من الطبقات وورد في نِهَايَة الأَرَب.

18 ـ الشعراء: «يَطِيرُ مَعَ اللّهْو بِي. . . . . .».

19 ـ الشعراء: «ويَعْتَز بِـي فِي الحِجَالِ. . . . . .».

20 ـ ورد هذا البيتُ والبيتان التّاليَانِ حسب التّتابُع في طبقات الشعراء: 32، 33، 31 وهو ترتيبٌ مُخِلٌّ بالمعنى لذلك آثَرْنَا روايةَ الشّعر والشعراء.

21 ـ الشعراء:

وَعَـافَـتْ لَعُـوبُ وأَتْـرَابُهَـا دُنُـوّي . . . . . .

22 ـ الشعراء: «الخِلّتَانِ».

23 ـ الشعراء: «والنّاذِجَانِ».

التعليق:

لقد استندْنا في تَخريج هذه القصيدة إلى رواية الطّبقات وهيَ أَتَمُّ الروايات

رفع المسهم

وأَضفنا إليها بَيْتَين وَرَدَا في قُطْب السرور وبيتاً ثالثاً ورد في نهاية الأَرَب ولَمْ نَشَأْ إِدْرَاجَ هذه الزّيَادَات ضِمْنَ الحَواشي كمَا تُحَتِّمُه سُنُنُ التّحقيق لِما نَعْلَمُهُ من عَمَلِ الرّوايَة في شِعْر أبـي الشيص وهو عمَلٌ جعَل القصيدَةَ الواحدةَ تزيدُ وتنقصُ باختلاف أَصْحَابِ المَجَامِيع وكُتُب الاختيار ومناهجهم في الانتقَاءِ، وقد أَشَرْنَا إلى ذلك في التَّعليق الذي ذَيّلْنا به القصيدة الأولى (ص 201). وَإِنَّ هذه الظاهرةَ لَتَتَّضِـحُ من جَديدٍ بِشَأْن هذه القصيدة إذْ نَجِدُ ابنَ قُتيبة ـ وهو منْ هُو في انتقاء «المُسْتَجَاد» من الأَشْعَار ـ يُسْقِطُ مِنْهَا القِسْمَ الخاصَّ بوَصْفِ الرَّاحلة والرَّحيل (الأبيات 37 ـ 41) وكذلك قِسمَ المَدْح (البيتان 42 ـ 43) وبذلك يُؤكِّد مَا ذهَبْنا إلَيْه عِندما نظَرْنا في نَظام القصيدة لَدى أَبـي الشيص ورأينا كيف أَنَّ هذا النّظامَ يخضَعُ لنَسَقٍ خاصٍّ يَخْرُج بنا عن المَنْحى المألُوف إذ يُصبح غَرضُ المَدْح ـ وهو الغرض الأساسي ـ مجرَّد ذَيْلٍ من ذُيول القصيدة[1] قدْ يُقْطَعُ وقد يُقْتَصَرُ فيهِ على الأبيات القليلة دون أَنْ يُغَيّر ذلك من مجْرَى القَصيد أو يُنْقِصَ من قيمَتِهَا. (انظر في هذا السياق كتاب العمدة: باب النسيب حيث يُوضّح ابن رشيق موقف القدماء من اختلال هذا التوازن الذي قد يطرأ على البنْيَة الثلاثية للقصيد كما أَقرَّها ابنُ قتيبة قائلاً: «ومِنْ عُيُوب هذا الباب أن يكثرَ التغزُّل ويقلّ المديح . . .»).

---

(1) ممن سبقوا إلى هذا النهج وخرجوا بقصيدة المدح عن العمود الذي أقره القدماء بشار بن برد (توفي 168هـ) في بعض مدائحه: انظر تائيته في موسى الهادي/ الديوان ج 2 ص 40 ـ 46، التي طالعها:

فتـاتـي نـديمـي غنيـا بحيـاتـي ولا تقطعا شوقي ولا طرباتي . . .

والتي تضم 37 بيتاً يستأثر الطالع الغزلي بـ 27 منها. قارن في هذا السياق مدائح أبـي الشيص وبشار بمدائح أبـي تمام (توفي 231هـ) وبخاصة قصيدته الثانية في مدح مالك بن طوق/ الديوان ج 1 رقم 29، التي طالعها:

قـف بـالطّلـول الـدارسـات عـلاثـا أمسـت حبـال قطينهـن رثـاثـا

وقد أوردناها في ملحق هذا الجزء ص 263 ـ 264.

رفع المسهم

من أخبار أبـي الشيص

«أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفي قال: حدَّثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدَّثني علي بن سعد بن إياس الشيباني قال:

تَعَشّقَ أَبو الشيص محمّدُ بن رَزين قَينةً لِرجُلٍ من أَهل بغداد، كان يختلف إلَيْهَا، ويُنفقُ عليها في مَنْزِل الرَّجل، حتّى أَتلَف مالاً كثيراً، فلمَّا كُفَّ بَصرُه، وأخفقَ، جعلَ إذا جاء إلى مولَى الجَارية حَجَبَه، ومَنَعَهُ من الدُّخُول، فَجَاءَنِي أبو الشيص، فَشَكَا إليَّ وَجْدَه بالجارية، واستخْفَافَ مولاها به وسألَنِي المُضِيَّ مَعَه إليه فَمَضَيْتُ مَعَهُ، فاسْتُؤْذِنَ لَنَا عليه، فأَذِنَ، فدخلْت أنا وأبو الشّيص، فعَاتَبْتُه في أَمْره، وَعظَّمْتُ عليه حقّه، وخَوَّفْتُه من لِسَانِه ومِنْ إخْوَانِه فَجَعَلَ له يوماً في الجمعة يزُورُها فيه فكان يأكُل في بيتِه، ويحمِلُ معه نَبيذَه ونُقْلَهُ فَمَضَيْتُ معهُ ذَاتَ يَوْم إليهَا، فلمّا وقَفْنا على بَابِهم، سمِعْنا صُراخاً شديداً من الدَّار، فقال لي: ما لها تصرُخُ؟ أتُراه قد ماتَ لَعَنَهُ الله! فما زِلْنَا نَدقُّ البابَ حتّى فَتَحَ لنا، فإذا هو قَدْ حَسَرَ كُمّيْه وبِيَدِهِ سَوْطٌ، وقال لنا: ادْخُلاَ، فدخلْنا، وإنّما حَمَله عَلى الإذْنِ لَنَا الفَرَقُ منّي، فَدخلْنا وعَادَ الرّجلُ إلى دَاخلٍ يَضْرِبُهَا، فاستمعْنا عليه وأَطْلَعَنَا، فإذا هيَ مَشْدُودَةٌ على سُلَّمٍ وهو يَضْربُهَا أشدَّ ضَرْب، وهي تَصرُخ، وهو يقول: وأَنْتِ أيضاً فاسرِقِي الخُبْزَ. فاندفعَ أبو الشّيص على المكان يقول في ذلك:

[السريع]

يَقُــول والسّــوْطُ علــى كَفِّــه ... قَــدْ حَــزَّ فِـي جِلْـدَتِهَـا حَـزّاً

رفع المسهم

وَهْـيَ عَلَـى السُّلّـمِ مَشْـدُودَةٌ وأنْـتِ أَيْضـاً فَـاسْـرِقِي الخبـزَا»

قال: وجعل أَبُو الشّيص يُرَدّدُهُمَا، فَسمعهُمَا الرجلُ فخرج إلَينَا مبادراً، وقال له أَنْشِدْنِـي البيتَيْن اللّذين قُلْتَهما، فدَافَعَهُ، فَحَلَفَ أنه لا بدَّ من إنشادهِمَا، فأنشدَه إياهُما، فقال لي: يا أبَا الحسن، أنْت كُنْتَ شَفيعَ هذَا، وقد أَسْعَفْتُكَ بما تُحبّ، فَإنْ شاعَ هَذان البَيْتَان فَضَحْتَنِي، فَقُلْ له يَقْطَعُ هذَا، ولا يُسْمِعْهُما، ولهُ عليَّ يَومان في الجُمعة. فَفَعَلْتُ ذلك، ووافَقْتُه عليه، فَلَمْ يزَلْ إليه يومَيْن في الجمعة حتى مات».

الأغاني ج 16 ص 405 ـ 406[1]

(1) انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (ج 4 ص 91 ـ 92) حيث ينقل العباسي هذا الخبر بنصه الكامل عن الأغاني مع اختلاف جزئي في الرواية.

رفع المسهم

ما جمعناه من شعر أبـي الشيص

القافية	القصائد	عدد الأبيات
الباء	1	44
الراء	1	18
السين	1	32
الضاد	1	26
النون	1	43
المجموع	5	163
البحر	**القصائد**	**عدد الأبيات**
الكامل	2	58
الطويل	1	44
المتقارب	1	43
الهزج	1	18
المجموع	5	163

ملاحظـة:

الفهرس المفصل للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عموماً في تخريج شعر أبـي الشيص وغيره من المقلين وتحقيق هذا الشعر ودراسته وضبط تراجم الشعراء ونقد أخبارهم فذلك ما يجده القارىء في ذيل الجزء السادس من هذه المدونة.

رفع المسهم

ملحـــق

نورد في هذا الملحق مجموعة من القصائد قليلٌ تداولُها بين الدارسين، معظم قائليها من المغمورين الذين غَطَّى عليهم المشتهرون كأبـي نواس وأبـي تمّام والبحتري ـ، نوردها لجودتها ولأنها في نظرنا تؤكد ما ذهبنا إليه من أنّ سند البادية (صحراء الجزيرة برسومها ومناخها ونباتها وحيوانها وأخلاق آهليها) لم ينقطع في خضمّ «بِدَعِ» المحدثين، وأنّ منحى الأصالة الملتحم بهذه الثقافة «التأسيسية» متواصلَ في أعقاب القرن الثاني وطوال القرن الثالث كما سبق أن بيّنا فيما قدمناه من دراسات تتعلق بشعراء هذا الجزء. ولقد أحلنـا القارىء على هذه القصائد في تضاعيف هذا العمل حتى تَتَسنّى له ـ إن هو رامَ الموازنةَ بين شاعر وشاعر ـ تلك النظرة الشمولية التي بدونها لا تُدْركُ لطائف الخصائص الدّالّة على ما تتطوّر من أنْساق الشعر وما لم يتطوّرْ من عصر إلى عصر.

* *

ولقد ذيّلْنا هذه المجموعة بقصيدة في المدح لأحد مشاهير العصر حتى تتمّ الموازنةُ بين شعرٍ وشعرٍ ويُدركَ القارىء كيف أنّ ثقافة البادية الحقّ ـ لا ثقافةَ منْ تشبَّهوا بها كأبي تمام ـ إنّما هي تلك التي تتفجّر عن سجيّة وبدون تَصَنُّع على ألسنة هؤلاء المغمورين في بعض ما أُثِرَ لهم من شعر نسجوه على أنساق القديم.

رفع المسهم

رفع
المسهم

أصحاب القصائد

1 ـ عمارة بن عقيل: توفي 239هـ.
2 ـ علي بن عاصم العنبري: توفي أعقاب القرن الثاني.
3 ـ بشار بن برد: توفي 168هـ.
4 ـ المرّار الفقعسي: توفي نحو 140.
5 ـ الحارثي: توفي في أعقاب المائة الثانية.
6 ـ منصور النمري: توفي 193هـ.
7 ـ أبو الهندي: توفي نحو 140هـ (قصيدة ثانية رقم 14).
8 ـ ابن المعذل: توفي نحو 233هـ.
9 ـ أبو سعيد المخزومي: توفي 230هـ.
10 ـ العكوّك: توفي 213هـ.
11 ـ ابن مطير توفي نحو 170هـ (قصيدة ثانية رقم 13).
12 ـ ابن هرمة: توفي 176هـ.
13 ـ أبو الزهراء أو من الشعراء الأعراب.
ذيل: أبو تمام: قصيدة أنموذج للمقارنة.

رفع المسهم

رفع
المسهم

ـ 1 ـ
عمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير
(توفي نحو 239 هـ)(*)

في المدح:

[الكامل]

1 ـ عَصْرُ الشّبيبةِ ناضرٌ غَضُّ فيه يُنالُ اللّينُ والخفضُ(**)

2 ـ مَثَلُ الشبيبةِ كالربيعِ إذا ما جِيْدَ فاخضرّت له الأرض

(*) انظر الإحالة بذيل الصفحة 228.

(**) ضادية عمارة بن عقيل من عيون الشعر التي حرص القدماء على ضبط أسانيد ناقليها من كبار الرواة. وذلك ما ذكّر به الميمني محقق نص القصيدة التي بين أيدينا بنقله الأسانيد التالية التي تفتح الضادية في أقدم النّسخ التي وصلتنا منها:

«... أخبرني الشيخ الإمام المهذّب أبو الحسن علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك السُّلَميّ الرَّقّي قراءة عليه في منزله بمدينة السلام في شعبان من سنة 555 قال، أخبرني الشيخ الرئيس أبو منصور محمد بن الفضل بن دلّال الشيباني في سلخ جمادى الآخرة سنة 541 قال، قرأت على الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي بن الحسن بن محمد بن موسى بن بِسطام الشيباني الخطيب التبريزي في سنة 500 قال، أنشدنا أبو الجوائز الحسين بن علي بن محمد بن بازي الكاتب بالبصرة في سنة 453 في منزله قال، أنشدنا أبو الحسن علي بن أحمد بن قيس الكاتب عن أبي القاسم الآمديّ عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش قال:

أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب هذه القصيدة لعُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير...».

رفع المسهم

3 ـ والشيب كالمَحْل الجماد له ... لونان مغبرٌّ ومبيضّ

4 ـ بينا الفتى يختال كالغُصُن الـ ... مَوْلِيِّ أورَقَ خُوْطه الغَضّ(*)

5 ـ سَمْحُ الخُطا يهتزّ في غَيَد ... ترنو إليه الأعيُنُ المُرْضُ

6 ـ سَنَحَتْ له دهياءُ من كثب ... دانت خُطاه وما به أَبَض

7 ـ ترك الجديدُ جديدَه سَمَلا ... لا الصَوْنُ يُرْجِعه ولا الرَّحْض

8 ـ حتّى كأنّ على الخطوب له ... عيناً تَجنّبَ جفنَها الغَمض

9 ـ ولربّ جرّار يَغَصُّ به ... طولُ الفَضاء ويَشْرَق العَرْض

10 ـ فتعاقُبُ الفَتَيَيْن يَقْدَح في ... صُمّ الصفا فيظلّ يرفضُّ

11 ـ أوعِظْ بشيب! قَصْرُ لابِسه ... كَرْهَانَ وَشْكُ الهُلك أو حُرْضُ

12 ـ فسقى الإلٰه شبيبةً دَرَستْ ... أُقرضتُها فاستُرجع القرضُ

* * *

13 ـ وعُذَافرٍ سِدْس يَعَضّ به ... رَحْلٌ ويشجَى النِسْع والغَرْض

(*) التعاليق الواردة في الذيل للميمني محقق القصيدة.

البيت 4: قال نفطويه: المَوْلِيُّ الذي قد أصابه الوليّ وهو المطر التالي، والأوّل الوسميّ لأنه يَسِم الأرض.

البيت 6: أَبَض: أي ماله قدرة، والإباض الحبل يُشَدّ به البعير من عُنُقه إلى رُكبته يمنعه من مفارقة موضعه.

البيت 7: الجديد الأول الدهر. والرَحْض الغَسْل رَحَض ثوبه غسله والمرتَحَض المغتَسَل.

البيت 11: الحُرض المرض والحَرَض الذي قد نهكه المرض. قال الله تعالى: ﴿حتى تكون حَرَضاً﴾.

البيت 13: العُذافر الشديد من الإبل. والسِدس دون البازل. والنِسْع حبل من أدم مضفور. والغَرْض والغرضة حِزام الرحل.

رفع المسهم

14 ـ أنضاه نَصُّ سُرًى وهاجرةٍ حتّى تَسَرَّى النِيّ والنَحْض
15 ـ وطوته أرض فانطوى بشوى نِقْض عليه شاحبٌ نِقض
16 ـ متسربِلٌ بالليل مدّرِعٌ بالآل والرمضاءُ ترمضّ
17 ـ يَنْفِي سُراه كَراه عنه إذا ما اسْتَوْسَنَ النَوّامةُ البضّ
18 ـ ويؤمّ بحراً من بني مَطَر لا النَزْرُ نائلُه ولا البَرض
19 ـ تَرِدُ العُفاةُ عليه واثقةً بالريّ حين يُغِصّها الجَرْض
20 ـ وإذا السِنون كَحَلْنَ عن بَلَل وألحَّ منها النَهْسُ والعَضّ
21 ـ وتأرّثت للشِعْرَيَيْن بها نارٌ وعَزّ القرض والفَرْض
22 ـ ورأى المُسِيْمُ الأرضَ خاشعةً لا خُلّة نَجَمَتْ ولا حَمْض
23 ـ فهو الربيعُ لها المَريعُ إذا ضَنَّ الربيع وأخلَفَ الوَمْض
24 ـ وإذا الأمور دَجت وضِيْقَ بها ذرعٌ وخِيْفَ مَزَلُّهَا الدَحْض
25 ـ جَلّى دُجُنّتَها لناظره رأيٌ له الإبرام والنَقْض
26 ـ رأيٌ إذا ناجى الضميرَ به وَحَدَيْنِ أُبرز ضحكُه المحض

البيت 15: مثل قول أبي الشيص: «فأتوك أنقاضاً على أنقاض»
[أنظر ص 327 ـ 331 من هذا الجزء حيث نورد هذه القصيدة].
البيت 17: استوسن استفعل من السِنة وهي أوّل النعاس في الرأس. ويقال رجل نَوّامة ونَوّام ونوَمة كثير النوم. والبَضّ الناعم الظاهر الدم.
البيت 18: النزر والبرض القليل، وإنه ليتبرَّض أي يأخذ قليلاً قليلاً.
البيت 19: يقال جرض بريقه جُهداً وهو الجريض.
البيت 21: تأرّثت تلهّبت. والشعريان من نجوم القيظ. وعزّ القرض والفرض لكَلَب الزمان.
البيت 22: سامت الماشية رعت، وأسامها المسيم أرعاها الراعي، والسائمة الراعية؛ قال الله تعالى: ﴿فيه تسيمون﴾. وخشعت الأرض اطمأنّت؛ قال الله تعالى: ﴿وترى الأرض خاشعة﴾. والخلّة ما كان حلواً من المرعى فهو كالخُبز للإبل. والحَمْض الحامض وهو كالفاكهة لها.
البيت 26: ويروى وَحِرَيْنِ بفتح الراء. والضحك هنا الزَبَد، وقال الأخفش الضحك داخل اللَطْعة شبّه الزَبَد به.

رفع المسهم

27 ـ حتّى كأن على الخطوب له ... عيناً تَجنّبَ جفنَها الغَمْض(*)

28 ـ ولربّ جَرّار يَغَصّ به ... طولُ الفَضاء ويشرَق العَرْض(*)

29 ـ تَجِفُ القلوبُ له ويُشخصها ... عن مستَقَرٍّ قرارِها أرض

30 ـ كالليل أنجُمُه سَناً وظُبىً ... تَخْفَاقُهنّ الهبْر والوَخْض

31 ـ ومَعابلٌ مسنونة ذُرُبٌ ... يحدو بها شِرَعٌ لها نَبْض

32 ـ قُدْتَ الحتوفَ إليه في لَجِب ... لليَمّ منه اللونُ والعرض

33 ـ لم يشكروا نُعماك إذ غَمَطوا ... نُعماك إذ سخطوا فلم يُرضوا

34 ـ وشريتَ نفسَك والقنا قِصَدٌ ... والبَيْضُ تحت البِيض مرفضّ

35 ـ وعليك داوودِيّةٌ كأضا ... ة اللُوْب ما في سَرْدها حَبْض

36 ـ والسرجُ فوق أقبَّ تحمله ... عُوْجٌ بناه البَسْطُ والقبض

37 ـ كسبيكة العِقيان أدمَجَه ... مَحْضٌ وألحَقَ إطْلَه العُضّ

(*) البيتان 27 و 28 مكرّران (انظر البيتين 8 و 9) ومع ذلك لا يخلاّن بالسّياق، وللقارىء أن يعمل عمله فيهما من أيّ جهة أراد علّ ذلك يُوقفه على بعض المسالك الخفيّة لهيكلة القصيد عند العرب (المؤلف).

البيت 29: الأرض هنا الرِعدة، ومنه قول ابن عباس: وزُلزلت الأرض أم بي أرضٌ.

البيت 30: الهبر القطع. والوخض الطعن.

البيت 31: المعابل جمع مِعْبَلة وهي السهام. والشِرَع الأوتار. والنَبْض الصوت. نفطويه: شُرُع، الأخفش: شرع.

البيت 32: يقول جيشك كالبحر في لونه من الحديد الذي فيه وفي عرضه كثرةً واتّساعاً.

البيت 35: شبّه الدرع بالأضاة في اللون. واللُوب جمع لابة وهي الأرض تنحدر عن الجبل وتلبسها الحجارة وإذا كانت في الحجارة كان أصفى لها من التراب والغبار. والحَبْض الحركة ومنه قولهم: «ما به حَبْض ولا نَبْض» أي ما في نسجه اضطراب وما به عوج إذا كان ليّن المفاصل والمعاطف.

البيت 36: العُوْج قوائمه فيها انحناء وهي قليلة اللحم.

البيت 37: يقول هذا الفرس بَدَّنه المحض وهو اللبن الصريح. والعُضّ عَلَف الحاضرة.

رفع المسهم

38 ـ فكأنه فَتخاءُ مُلْحِمةٌ ... فرخين طُلّت وهي ترفضّ

39 ـ حتّى ثَنى من بين منجدِل ... أو هاربٍ لم يُنْجِه الرَكْض

40 ـ عزَّ الهدى بك بعد ذِلّته ... والكُفْرُ ذَلَّ فما به نَغْض

41 ـ شطران يومك للندى بعضٌ ... والمكرُماتِ، وللردى بعض

42 ـ حُزْتَ الندى والبأسَ عن سلف ... سَنّوهما وعليهما حَضّوا

43 ـ سُبُط الأنامل يجذَلون إذا ... سُئلوا ويغتمّون إن عُضّوا

44 ـ فكأن حِلَّ المال عندهم ... حِجْرٌ وحُبّ مَصُوْنه بُغض

45 ـ كَنَزَ المحامدَ وهي باقية ... محمودة لا العَيْنُ والعَرْض

46 ـ أشبهتَهم وخلفتَهم فهمُ ... باقون ما عُمِّرْتَ لم يَمْضُوْا

47 ـ وإذا ربيعةُ قال فاخرُها ... واستُنْبِىءَ الحكماءُ كي يقضوا

48 ـ «منّا يزيد وخالد» خَنَعتْ ... صِيْدُ القُروم وأفحم العِضّ

49 ـ ومؤمِّلين بخالد شحطت ... بهم البلاد وعاقَهم أَبْض

50 ـ وَفدتْ عليهم من نَداك لُهًى ... [تَتْرَى] فلم يَحْنُوا ولم يُنْضوا

* * *

51 ـ لي حُرمة بكم تكنفها ... أمل وودٌّ صادق مَحْض

البيت 38: الأخفش روى طُلّت أي أصابها طَلّ. يعني بالفتخاء العقاب ومُلْحِمة تجيء باللحم [إلى] فراخها، نفطويه وثعلب رويا ظَلّتْ.

البيت 40: النغض الحركة، يقال نغض رأسَه وأنغضه إذا أماله. قال الله تعالى: ﴿فسيُنغضون إليك رؤوسهم﴾. ويقال للظليم نَغْض لكثرة حركة رأسه.

البيت 48: الخنوع الخضوع. والعِضّ الداهية من الرجال.

البيت 49: الأخفش: ومؤمّلين لخالد. والأبْض الجيش.

البيت 50: اللهى جمع لهْوة وهي الدَفعة من العطاء. يقول ما أحوجتَهم أن يحفوا إبلهم إليك ويُنضوها.

رفع المسهم

52 ـ وذريعتـي ثقتـي وفضلُـك إذ شَـرُف الفَعـالُ وطُهّـر العِـرض
53 ـ هنّـأتَنـي بِـرّاً ملكـتَ بـه شكـري وشكـرك واجـب فـرض
54 ـ لـم تبتـذِل وجهـي ولا شَفعـت شُـفعـاءُ لـي فـي مَنِّهـا هَـضّ
55 ـ ففَـداك منّـاعـون لـو ملكـوا مَـدَدَ البحـار إذن لمـا بَضّـوا
56 ـ عَضّـوا شفـاهَهـم وأيـديَهـم حَسَـداً عليـك وطـالمـا عَضّـوا
57 ـ ولَـوَوْا مَعـاطسَهـم علـى لَهَـب تحـت الكشـوح وليتهـم رُضّـوا
58 ـ فَهَنَـاك أنـك منتهـى أملـي جـادٍ وراجٍ مـا بـه نهـض

عمارة بن عقيل(*)

التخريـج:

الطرائف الأدبية ص 45 ـ 54.

تحقيق عبد العزيز الميمني.

البيت 54: الهَضّ الرَضْم، يقال هضّه إذا دقّه وضربه.

البيت 55: يقال فلان ما تَبِضّ صَفاته أي لا يعطي شيئاً.

(*) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير «قدم من البادية إلى الحضر... وكان أشعر أهل زمانه، وكان ينحو نحو أبيه وجدّه... مدح الخلفاء والوزراء والأشراف فكسب مالاً عظيماً وانصرف إلى البادية» (ابن المعتز، الطبقات، ص 316). توفي عمارة نحو 239هـ.

انظر فؤاد سزقن: «تاريخ...» ج 2 ص 559 ـ 560.

انظر كذلك «ديوان عمارة بن عقيل» جمع وتحقيق شاكر العاشور، البصرة 1973، وقد أشرنا إليه ضمن عرضنا النقدي لما نشر من شعر المغمورين من المحدثين في العقود الأخيرة: انظر الجزء السادس.

رفع المسهم

— 2 —

عَلِيّ بنِ عَاصِم العَنْبَري(*)

(أعقاب القرن الثاني)

في المدح(**):

[الكامل]

1 ـ نُحِرتْ جِمَالُكُمُ عَلَى الأطلالِ ... كَمْ تُتْبِعُونِي وقْفَةَ الأحمَالِ

2 ـ كَمْ تَعْذِلُونِي قَدْ حَشَوْتُ مَسامِعِي ... فَسَدَدْتُهَا عَنْ نَغْمَةِ العُذَّالِ

3 ـ كَمْ تَعْنُفُون عَلَى الذِين صُدُورُهُمْ ... طُوِيَتْ عَلَى الزَّفَراتِ والبَلْبَالِ

4 ـ مَطَرتْ خُدُودَهُمُ سَحَابُ شُؤُونهم ... فَعَفَتْ طلُولُهُمُ مَعَ الأَطلاَلِ

5 ـ فَتَكَادُ تَبْدَؤُهُمْ لِطُول وُقُوفِهِمْ ... فِي المَنْزِلِ الأَطْلاَلُ بِالتِّمْثَالِ

6 ـ بعَثَ الرَّحِيلُ بِصَبْرِهِ أَيْدِي سَبَا ... حِينَ الحسانُ بَرَزْنَ للتِّرْحَالِ

7 ـ زُمَّ العَزَاءُ غَدَاةَ زُمَّ مَطِيُّهُمْ (1) ... فَحَدَا الحُدَاةُ بِهِ مَعَ الأَجْمَالِ

8 ـ بِيضٌ سَلَبْنَ مَهَا الصَّرِيم عُيُونَهَا ... وَمِنَ الصَّرِيم مَآكِمُ الأَكْفَالِ

9 ـ قُضُبٌ عَلَى كُثُبٍ تُقِلُّ أَهِلَّةً ... تَرَكَتْ أَهِلَّتَنَا بِغَيْرِ جَمَالِ

(*) انظر موجزاً لترجمته في ذيل ص 232.

(**) منحى البداوة في صوغ الخطاب واختيار مبانيه واضح في هذه القصيدة حيث نقف، قبل الاوان، على أهم الخصائص الأسلوبية التي تميّزت بها بعض أشعار أبي تمام والبحتري وابن المعتز والمتنبي. والموازنة بين هذا الشعر وشعر هؤلاء في بعض مقاطعه تبيّن مدى «تكلف» علي بن عاصم، وهو ما أدركه المرزباني (معجم الشعراء، ص 291) حيث قال: «ابن عاصم... جبليّ متكلف» انظر ص 171.

رفع المسهم

10 ـ أَخَذَتْ لَنَا أُهَبَ البِعَادِ وَقَرَّبَتْ ... آجَالَنَا بِمحاجِرِ الآجَالِ

11 ـ مِنْ كُلِّ بَهْكَنَةٍ يُرِيكَ سُفُورُهَا ... قَرْنَ الغَزَالَةِ فَوْقَ جِيدِ غَزَالِ

12 ـ غَصَّتْ خَلاَخِلُهَا وَجَالَ نِطَاقُهَا ... وَنِطَاقُهَا فَأَقَلُّ مِنْ خَلْخَالِ

13 ـ قَطَعَ الحَوَادِثُ وَصْلَهُنَّ بِرَيْبِهَا ... فَكَأَنَّمَا قَطَّعْنَ مِنْ أَوْصَالِي

14 ـ سُقْيَا لأَيَّامٍ مَضَيْنَ سَوَالِفاً ... قَصَرَ الحَبَائِبُ طُولَهَا بِوِصَالِ

15 ـ مَا كَانَ طولُ سُرُورِهَا لَمّا انْقَضَتْ ... إلاَّ اكْتِحَالَ مُتَيَّمٍ بِخَيَالِ

16 ـ وَالحَادِثَاتُ مَتَى فَغَرْنَ لِغُصَّتِي ... أَلْقَمْتُهُنَّ (2) شجىً بِوَخْدِ جِمَالِ

17 ـ وَنَضَوْتُ سِرْبَالَ المَفَاوِزِ بِالسُّرَى ... وَجَعَلْتُ أَرْدِيَةَ الدُّجَى سِرْبَالِي

18 ـ وَنَشَرْتُ مِنْ حِبْرِ القَصَائِدِ يَمْنَةً ... نَجَمَتْ أَهِلَّتُهَا عَلَى ابنِ هِلاَلِ(*)

19 ـ فَالشِّعْرُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَوْ يَرْتَدِي ... أَلِّي وَأَلَّ مَطِيَّتِي بِرِئَالِ

20 ـ وَالنُّجْحُ فِي كَنَفِ الدرُوبِ مَقِيلُهُ ... لاَ فِي مَقِيلِكَ عَنْ بَنِي الأَقْيَالِ

21 ـ قَطْعُ التَّنَائِفِ وَصْلُ مَا أَمَّلْتَهُ ... فَصِلِ الغُدُوَّ بِهَا إِلَى الآصَالِ

22 ـ بِأَبِي مَعَاذٍ فَاسْتَعِذْ بَلْ جُودُه ... لَكَ عَوْدَةٌ مِنْ لَزْبَةِ الإِمْحَالِ

23 ـ رِدْ لُجَّةَ المَعْرُوفِ تَرْوَ بِفَيْضِهِ ... حَتَّامَ أَنْتَ تَحُومُ فِي الأَوْشَالِ

24 ـ قُلْ يَا عُبَيْدَ اللهِ يَابْنَ هِلاَلِهِ ... تَزُلِ الحَوَادِثُ عَنْكَ كُلَّ مَزَالِ

25 ـ مَلِكٌ تَرَى الأَمْلاَكَ عَنْه إذا بَدَا ... خَوَلاً مِنَ الإِعْظَامِ وَالإِجْلاَلِ (3)

26 ـ مَغْنَاهُ مَصْرَعُ أَجْمُلٍ وَأَيَانُقٍ ... وَذَرَاهُ مَطْرَحُ أَحْلُسٍ وَرِحَالِ

27 ـ وَنَدَاهُ مَعْرُوفٌ تَدَفَّقَ حَوْلَهُ ... لُجَجٌ مِنَ الإِنْعَامِ والإِفْضَالِ (4)

28 ـ وَإِذَا الكُمَاةُ تَخَالَسُوا مُهَجَاتِهِمْ ... ضَرْباً (5) بِكُلِّ مُهَنَّدٍ قَصَّالِ

(*) هو ممدوحه عبد الله بن هلال المعروفي (معجم الشعراء ص 354) ولم نقف على ترجمة له فيما مر بنا من مصادر.

رفع المسهم

29 ـ وحَسِبْتُ غَمْغَمَةَ الفَوَارس في الوَغى ... زَأْرَ الأُسُـودِ زَأَرْنَ فِـي الأَغْيَـالِ (6)

30 ـ صَنَعَتْ بِأَرْوَاح العُدَاةِ سُيُوفُهُ ... مَـا كَـانَ يَصْنَـعُ جُـودُه فـي المَـالِ

31 ـ «نفْسِي فَـداؤُكَ أي ليس كـريهـة ... نـدعـو بـه والمعلمـون نَزَالِ» (7)

32 ـ وَالخَيْلُ قَاصِدَةٌ عَلَى قَصْدِ الفَتَى ... نَحْـوَ الحُتُـوفِ كَـأَنَّهُـنَّ مَتَـالِـي

33 ـ مَدَّتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْكَ سُرَادِقاً ... نَسَجَـتْ مَضَـارِبُـهُ مِـنَ القَسْطَـالِ

34 ـ فِي حَوْمَةٍ مَا إِنْ يَبِينُ مِنَ الوَغَى ... إلاَّ: هَـلاَ ـ فِـي زَجْـرِهِـنَّ ـ وَهَـالِ

35 ـ لَيْلٌ مِنَ الغَمَرَاتِ أَنْتَ سِرَاجُهُ ... وَنُجُـومُـهُ هِنْـدِيَّـةٌ وَعَـوَالِـي

36 ـ بيضٌ وَسُمْرٌ إِنْ عَرِينَ تَسَرْبَلَتْ ... بَـدَلَ الجُفُـون جَمَـاجِـمَ الأَبْطَـالِ

37 ـ أَوْرَدْتَهُنَّ تَوَاضُعاً لُجَجَ الرَّدَى ... فَصَـدَرْنَ فِـي قُمُـصٍ مِـنَ الجِـرْيَـالِ

38 ـ أَضْحَكْتَ سِنَّ الدِّينِ بعْدَ عُبُوسِه ... فِـي فَـرْسَجِيـنَ(*) وَقِيعَـةِ الضُّـلاَّلِ

39 ـ غَـادَرْتَ أَيَّـامَ الضَّـلاَلِ لَيَـالِيـاً ... وَلَيَـالِـيَ الإِسْـلاَمِ غَيْـرَ لَيَـالِ

40 ـ وَالـدِّيـنَ مُتَّـزِراً بِثَـوْبِ جَمَـالِـهِ ... وَالكُفْـرَ مُتَّـزِراً بِثَـوْبِ نَكَـالِ

41 ـ كَـانَـتْ كُمَـاتُهُـمُ لَـدَيْـكَ كَعَـانَـةٍ ... لَعِبَـتْ بِهِـنَّ بَـرَاثِـنُ الـرِّئْبَـالِ

42 ـ شَبَّهْتُ يَوْمَكَ يَوْمَ حُجْرَ وَصِنْوِهِ ... عَمْـرو صَبِيحَـةَ لَيْلَـةِ الأَجْبَـالِ

43 ـ مَا ضَرَّ دَارِمَ يَوْمَ قُمْتَ بِمَجْدِهَا ... أَنْ لاَ تَقُـومَ مُجَـاشِـعٌ بِجَلاَلِ(**)

44 ـ بِـأَبِـي وَأُمِّـي أَنْتُـمُ مِـنْ مَعْشَـرٍ ... بِكُـمُ المَـلاَذَةُ سَـاعَـةَ الـزِّلْـزَالِ

45 ـ مَـنْ يَعْتَصِـمْ بِقُـرَاهُـمُ فِـي مِثْلِهَـا ... يُلْـقِ العَصَـا بِمَعَـاقِـلِ الأَوْعَـالِ

46 ـ أُسْـدٌ مَتَـى نُـدِبَتْ لِيَـوْمِ كَـرِيهَـةٍ ... أَحْـدَرْنَ فِـي غِيـلٍ مِـنَ الآسَـالِ

47 ـ وَإِذَا الكُمَـاةُ تَنَـازَلُـوا أَلْفَيْتَهُـمْ ... كَـالأُسْـدِ حَـانِيَـةً عَلَـى الأَشْبَـالِ

48 ـ لَوْلاَ مَحَاسِنُ مِنْ عُلاَهُمْ لَمْ تَسِرْ ... فِـي الخَـافِقَيْـنِ مَحَـاسِـنُ الأَمْثَـالِ

(*) فرسجين: هي فارسجين من أعمال قزوين (معجم البلدان ج 3 ص 835).

(**) بنو دارم وبنو مجاشع من بطون تميم (جمهرة الأنساب ص 407).

رفع المسهم

49 ـ يَا مَنْ تَكَفَّلَ بَأْسُهُمْ وَسَمَاحُهُ ... لِلنَّاسِ بِالإِكْثَارِ وَالإِقْلَالِ

50 ـ لَمَّا خَلَعْتَ أَعِنَّةَ الأَمْوَالِ ... عَطَفَتْ عَلَيْكَ أَعِنَّةُ الآمَالَ

51 ـ أَيْنَ المَحِيصُ لِحَازِمٍ أَوْ عَازِمٍ ... عِنْدَ النَّوائِبِ عَنْكَ يَابْنَ هِلَالِ

52 ـ وَجَنَابُ دَارِكَ مَسْكَنُ الآمَالِ ... وَغِرَارُ سَيْفِكَ مَسْكَنُ الآجَالِ

علي بن عاصم العنبري(*)

التخريج:

- طبقات الشعراء ص 355 ـ 359: تمام القصيدة، وهو المصدر المعتمد.
- معجم الشعراء ص 285 (18، 25، 27 ـ 30).
- كتاب البديع ص 24 (7، 16).

اختلاف الرواية وضبط النص:

1 ـ كتاب البديع: «جِمَالهُمْ».

2 ـ كتاب البديع: «.. بِغُصَّتِي لَقَمْتُهُنَّ...».

3 ـ معجم الشعراء: ورد هذا البيت كما يلي:

(*) علي بن عاصم الأصباني «من الشعراء المجيدين، وكان يسكن الجبل وكان قد دخل العراق ومدح ملوكها. ولو أقام بها لخضعت له رقاب الشعراء، فإنه كان أكثر محاسن شعر من مسلم وأبي الشيص وطبقتهما، وهو صاحب القصيدة اللامية التي ليس لأحد مثلها» (طبقات الشعراء ص 355) ـ كان حياً في عهد أبي دلف العجلي أحد العمال والقواد في أيام الرشيد والمأمون، وله معه أخبار ـ يبدو أنّه كان متشيعاً كأبي دلف، ويذكر ابن المعتز أنه وضع أرجوزة يهجو فيها «أهل الماهيات» أنشدها أبا دلف ـ. أنظر أخباره والنزر القليل مما تبقى من شعره في:

- طبقات الشعراء ص 354 ـ 359.
- معجم الشعراء ص 285، 291.
- كتاب البديع لابن المعتز ص 24.

وباستثناء هذه المصادر الثلاثة لا نجد له أثراً فيما لدينا من أمهات المجاميع التي احتفظت لنا بمدونة الشعر العباسي.

رفع المسهم

مَلِـكٌ يَـرَى الأَمْـلاَكَ خَـوْلاً عِنْـدَهُ مِـنْ شِـدَّةِ الإِعْظَـامِ والإِجْـلاَلِ»

4 ـ معجم الشعراء: ورد هذا البيت كما يلي:

بَحْـرٌ تَـدَفّـقَ حَـوْلَـهُ لِعُفَـاتِـهِ لُجَـجٌ مِـنَ الإِنْعَـامِ والإِفْضَـالِ»

5 ـ معجم الشعراء: «. . . تَخَالَسُوا أَرْوَاحَهُمْ بِغرّار كُلٍّ. . .».

6 ـ معجم الشعراء: «تُرَاعُ بالأَغْيَالِ».

7 ـ لم نهتد إلى وجه المعنى في هذا البيت، فتركْناه بغير ضبط.

رفع المسهم

ـ 3 ـ

بشار بن برد

(توفي 168 هـ)

في المدح : أو نشيد الحماسة(*) :

[الطويل]

1 ـ جفَا وُدُّهُ فَازْورَّ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهْ وَأَزْرَى بِهِ أنْ لاَ يَزَالَ يُعَاتِبُهْ(**)

2 ـ خَلِيلَيَّ لاَ تَسْتَنْكِرَا لَوْعَةَ الْهَوَى وَلاَ سَلْوَةَ المَحْزُونِ شَطَّتْ حِبَائِبُهْ

3 ـ شَفَى النَّفْسَ ما تَلْقَى بِعَبْدَةَ عَيْنُهُ وَمَا كَانَ يَلْقَى قَلْبُهُ وطَبَائِبُهْ

(*) هذه القصيدة قالها بشار في مدح مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية، ومدح قيس عيلان، ونحن ندرجها ـ على طولها وإن لم يكن قائلها من المغمورين ـ في هذه المجموعة لاعتقادنا أنها تمثّل نموذجاً فريداً في مدوّنة العصر من حيث مباني ألفاظها وتوليد معانيها. ففي المقاطع الثلاثة التي تتألّف منها (نشيد المحبة في المقطع الأول، ونشيد الصحراء في المقطع الثاني، ونشيد البطولة في المقطع الثالث) تتفجّر قدرة شاعر فذّ اختزن في أعماقه ما عبّ من ثقافة أقرّتها صحراء الجزيرة وتلوّن بها المُخيّل الشعري على مدى العصور، ثم هو أعاد تخييلها في هذه القصيدة دون لجوء إلى مثال سابق أو النسج على منوال نسقٍ من الأشباه والنظائر المعروفة.

(**) انظر شرح القصيدة بالديوان ج 1 ص 305 ـ 323 لناشره العلامة الطاهر بن عاشور. وهو شرح ينمّ عن استيعاب نادر المثيل لخصائص اللغة العربية وآدابها.
انظر كذلك الفصل الذي خصصناه لبشار وشعره بـ
Dictionnaire Universel des Littératures, vol I p. 354- 356.

رفع المسهم

4 ـ فـأَقْصَـرَ عِـرْزَامُ الْفُـؤَادِ وَإِنَّمَـا يَمِيـلُ بـهِ مَـسُّ الهَـوَى فَيُطَـالِبُـهُ

5 ـ إِذَا كـانَ ذَوَّاقـاً أَخُـوكَ مِـنَ الهَـوَى مُـوَجَّهَـةً فـي كـلِّ أَوْبٍ رَكـائِبُـهْ

6 ـ فَخَـلِّ لَـهُ وَجْـهَ الْفِـرَاقِ ولاَ تَكُـنْ مَطِيَّـةَ رَحّـالٍ كَثِيـرٍ مَـذَاهِبُـهُ

7 ـ أَخـوكَ الـذِي إِنْ رِبْتَـهُ قَـالَ إِنَّمَـا أَرَبْـتُ وإِنْ عَـاتَبْتَـهُ لاَنَ جَـانِبُـهُ

8 ـ إِذَا كُنْتَ في كل الذُّنُوبِ مُعَاتِباً صَـدِيقَـكَ لَـمْ تَلْـقَ الَّـذِي لاَ تُعَـاتِبُـهْ

9 ـ فَعِـشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فـإِنَّـهُ مُفَـارِقُ ذَنْـبٍ مَـرَّةً وَمُجَـانِبُـهْ

10 ـ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَذَى ظَمِئْتَ، وأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ؟

* * *

11 ـ وَلَيْـلٍ دَجُـوجِـيّ تَنَـامُ بَنَـاتُـهُ وَأَبْنَـاؤُهُ مِـنْ هَـوْلِـهِ وَرَبَـائِبُـهُ

12 ـ حَمَيْـتُ بِـهِ عَيْنِـي وَعَيْـنَ مَطِيَّتِـي لَـذِيـذَ الكَـرَى حَتَّـى تَجَلَّـتْ عَصَائِبُـهْ

13 ـ وَمَـاءٍ تَـرى رِيـشَ الْغَطَـاطِ بِجَـوِّهِ خَفِـيَّ الْحَيَـا مـا إِنْ تَلِيـنُ نَصَائِبُـهْ

14 ـ قَرِيبٍ من التَّغْرِيرِ نَاءٍ عَنِ القُرَى سَقَـانِـي بِـهِ مُسْتَعْمِـلُ اللَّيْـلِ دَائِبُـهْ

15 ـ حَلِيفُ السُّرَى لاَ يَلْتَوِي بِمَفَازَةٍ نَسَـاهُ وَلاَ تَعْتَـلُّ مِنْهَـا حَـوَالِبُـهْ

16 ـ أَمَـقُّ غُـرَيْـرِيٌّ كَـأَنَّ قُتُـودَهُ عَلَى مُثْلَثٍ يَدْمَي مِنَ الْحُقْبُ حَاجِبُهْ

17 ـ غَيُـورٍ عَلَـى أَصْحَـابِـهِ لاَ يَـرومُـهُ خَلِيـطٌ وَلاَ يَـرْجُـو سِـواهُ صَـوَاحِبُـهْ

18 ـ إِذَا ما رَعَى سَنَّيْنِ حَاوَلَ مِسْحَلاً يَجِـدُّ بِـهِ تَعْـذَامُـهُ وَيُـلاَعِبُـهْ

19 ـ أَقَـبَّ نَفَـى أَبْنَـاءَهُ عَـنْ بَنَـاتِـهِ بِذِي الرَّضْـمِ حَتَّـى مـا تُحَـسُّ ثَـوَالِبُـهْ

20 ـ رَعَى وَرَعَيْنَ الرَّطْبَ تِسْعِينَ لَيْلَةً عَلَـى أَبَـقٍ والـرَّوْضُ تَجْـرِي مَـذَانِبُـهْ

21 ـ فَلَمَّا تَوَلَّى ٱلْحَرُّ وَٱعْتَصَرَ الثَّرَى لَظَـى الصَّيْـفِ مِـنْ نَجْـمٍ تَـوَقَّـدَ لاَهِبُـهْ

22 ـ وَطَارَتْ عَصَافِيرُ الشَّقَائِقِ وَاكْتَسَى مِـنَ الآلِ أَمْثَـالَ المُـلاءِ مَسَـارِبُـهْ

23 ـ وَصَدَّ عَنِ الشَّوْلِ القَرِيعُ وَأَقْفَرَتْ ذُرَى الصَّمْـدِ مِمَـا ٱسْتَـوْدَعَتْـهُ مَـوَاهِبُـهْ

رفع المسهم

24 ـ وَلاَذَ الْمَهَا بالظِّلِّ واسْتَوفَضَ السَّفَا ... مِـنَ الصَّيْـفِ نَثَّـاجٌ تَخُـبُّ مَـوَاكِبُـهْ

25 ـ غَدَتْ عَانَةٌ تَشْكُو بأَبْصَارِهَا الصَّدَى ... إِلَـى الْجـأْبِ إِلاَّ أَنَّهَـا لاَ تُخَـاطِبُـهْ

26 ـ وَظَـلَّ عَلَـى عَلْيَـاءَ يَقْسِـمُ أَمْـرَهُ ... أَيَمْضِـي لِـوِرْدٍ بـاكِـر أَمْ يُـوَاتِبُـهْ

27 ـ فَلَمَّـا بَـدَا وَجْـهُ الـزِّمَـاعِ وَرَاعَـهُ ... مِـنَ اللَّيْـلِ وَجْـهٌ يَمَّـمَ المـاءَ قَـارِبُـهْ

28 ـ فَبَاتَ وَقَدْ أَخْفَى الظَّلاَمُ شُخُوصَهَا ... يُنَـاهِبُهَـا أُمَّ الْهُـدَى وَتُنَـاهِبُـهْ

29 ـ إِذَا رَقَصَتْ في مَهْمَهِ اللَّيْلِ ضَمَّهَا ... إِلَـى نَهَـجٍ مِثْـلُ الْمَجَـرَّةِ لاَحِبُـهْ

30 ـ إِلَى أَنْ أَصَابَتْ في الْغَطَاطِ شَرِيعَةً ... مِـنَ الْمَـاءِ بِـالأَهْـوَالِ حُفَّـتْ جَـوَانِبُـهْ

31 ـ لَهَا صَخَبُ الْمُسْتَوْفِضَاتِ عَلَى الْوَلَى ... كمـا صَخِبَـتْ فـي يَـوْمِ قَيْـظٍ جَنَـادِبُـهْ

32 ـ فَـأَقْبَلَهَـا عُـرْضَ السَّـرِيِّ وَعَيْنُـهُ ... تَـرُودُ وَفـي النَّـامُـوسِ مَـنْ هُـوَ رَاقِبُـهْ

33 ـ أَخُو صِيغَةٍ زُرْقٍ وَصَفْرَاءَ سَمْحَةٍ ... يُجَـاذِبُهَـا مُسْتَحْصِـدٌ وَتُجَـاذِبُـهْ

34 ـ إِذَا رَزَمَتْ أَنَّتْ وَأَنَّ لَهَا الصَّدَى ... أَنِيـنَ الْمَـرِيـضِ لِلْمَـرِيـضِ يُجَـاوِبُـهْ

35 ـ كـأَنَّ الْغِنَـى آلـى يَمِينـاً غَلِيظَـةً ... عَلَيْـهِ خَـلاَ مَـا قَـرَّبَـتْ لاَ يُقَـارِبُـهْ

36 ـ يَـؤُولُ إِلَـى أُمِّ ابْنَتَيْـنِ يَـؤُودُهُ ... إِذَا مَـا أَتَـاهَـا مُخْفِقـاً أَوْ تُصَـاخِبُـهْ

37 ـ فَلَمَّـا تَـدَلَّـى فـي السَّـرِيِّ وَغَـرَّهُ ... غَلِيـلُ الحَشَـا مِـنْ قَـانِـصٍ لاَ يُوَاثِبُهْ

38 ـ رَمَـى فَـأَمَـرَّ السَّهْـمَ يَمْسَـحُ بَطْنَـهُ ... ولَبَّـاتِـهِ فَـانْصَـاعَ والْمَـوْتُ كَـارِبُـهْ

39 ـ وَوَافَـقَ أَحْجَـاراً رَدَعْـنَ نَضِيَّـهُ ... فَـأَصْبَـحَ مِنْهَـا عَـامِـرَاهُ وَشَـاخِبُـهْ

40 ـ يَخَافُ المَنَايَا إِنْ تَرَحَّلْتُ صَاحِبِي ... كَـأَنَّ المَنَـايَـا فـي الْمَقَـامِ تُنَـاسِبُـهْ

* * *

41 ـ فَقُلْـتُ لَـهُ: إِنَّ الْعِـرَاقَ مُقَـامُـهُ ... وَخِيـمٌ إِذَا هَبَّـتْ عَلَيْـكَ جَنَـائِبُـهْ

42 ـ لَعَلَّكَ تَسْتَدْنِي بِسَيْرِكَ في الدُّجَا ... أَخَـا ثِقَـةٍ تُجْـدِي عَلَيْـكَ مَنَـاقِبُـهْ

43 ـ مِنَ الحَيِّ قَيْسِ قَيْسِ عَيْلاَنَ إِنَّهُمْ ... عُيُـونُ النَّـدَى مِنْهُـمْ تُـرَوَّى سَحَـائِبُـهْ

44 ـ إِذَا الْمُجْحِدُ الْمَحْرُومُ ضَمَّتْ حِبَالَهُ ... حَبَـائِلُهُـمْ سِيقَـتْ إِلَيْـهِ رَغَـائِبُـهْ

رفع المسهم

45 ـ وَيَـوْمٍ عَبُـورِيٍّ طَغَـا أَوْ طَغَـا بِـهِ ... لَظَـاهُ فَمَـا يَـرْوَى مِـنَ الْمَـاءِ شَـارِبُـهْ

46 ـ رَفَعْتُ بِهِ رَحْلِي عَلَى مُتَخَطْرِفٍ ... يـزِفُّ وَقَـدْ أَوْفَـى عَلَـى الْجَـذْلِ رَاكِبُـهْ

47 ـ وَأَغْبَرَ رقَّـاصِ الشُّخُـوصِ مَضِلَّـةٍ ... مَـوَارِدُهُ مَجْهُـولَـةٌ وَسَبَـاسِبُـهْ

48 ـ لِأَلْقَى بَنِي عَيْـلَانَ، إِنَّ فَعَـالَهُـمْ ... تـزِيـدُ عَلَـى كُـلِّ الفَعَـالِ مَـرَاكِبُـهْ

49 ـ أُلَاكَ الأُلَى شَقُّوا الْعَمَى بِسُيُوفِهِمْ ... عَـنِ الْغَـيِّ حَتَّـى أَبْصَـرَ الْحَـقَّ طَـالِبُـهْ

50 ـ إِذَا رَكِبُـوا بِـالْمَشْـرَفِيَّـةِ وَالْقَنَـا ... وَأَصْبَـحَ مَـرْوَانٌ تُعَـدُّ مَـوَاكِبُـهْ

51 ـ فَـأَيُّ امْـرِىءٍ عَـاصٍ وَأَيُّ قَبِيلَـةٍ ... وَأَزْعَـنَ لَا تَبْكِـي عَلَيْـهِ قَـرَائِبُـهُ

52 ـ وَسَامٍ لِمَرْوَانٍ وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا ... وَهَـوْلٌ كَلُجِّ الْبَحْـرِ جَـاشَـتْ غَـوَارِبُـهْ

53 ـ أَحَلَّـتْ بِـهِ أُمُّ الْمَنَـايَـا بَنَـاتِهَـا ... بِـأَسْيَـافِنَـا، إِنَّـا رَدَى مَـنْ نُحَـارِبُـهْ

54 ـ وَمَـا زَالَ مِنَّـا مُمْسِـكٌ بِمَـدِينَـةٍ ... يُـرَاقِـبُ أَوْ ثَغْـرٍ تَخَـافُ مَـرَازِبُـهْ

55 ـ إِذَا الْمَلِـكُ الْجَبَّـارُ صَعَّـرَ خَـدَّهُ ... مَشَيْنَـا إِلَيْـهِ بِـالسُّيُـوفِ نُعَـاتِبُـهْ

56 ـ وَكُنَّـا إِذَا دَبَّ الْعَـدُوُّ لِسُخْطِنَـا ... وَرَاقَبْنَـا فِـي ظَـاهِـرٍ لَا نُـرَاقِبُـهْ

57 ـ رَكِبْنَـا لَـهُ جَهْـراً بِكُـلِّ مُثَقَّـفٍ ... وَأَبْيَـضَ تَسْتَسْقِـي الـدِّمَـاءَ مَضَـارِبُـهْ

58 ـ وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَرْجُفُ بِالْحَصَى ... وَبِـالشَّـوْلِ وَالْخَطِّـيِّ حُمْـرٌ ثَعَـالِبُـهْ

59 ـ غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا ... تُطَـالِعُنَـا وَالظِّـلُّ لَـمْ يَجْـرِ ذَائِبُـهْ

60 ـ بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ ... وَتُـدْرِكُ مَـنْ نَجَّـى الْفِـرَارُ مَثَـالِبُـهْ

61 ـ كَـأَنَّ مُثَـارَ النَّقْـعِ فَـوْقَ رُؤُسِهِـمْ ... وَأَسْيَـافَنَـا لَيْـلٌ تَهَـاوَى كَـوَاكِبُـهْ

62 ـ بَعَثْنَـا لَهُـمْ مَـوْتَ الْفُجَـاءَةِ إِنَّنَـا ... بَنُـو الْمُلْـكِ خَفَّـاقٌ عَلَيْنَـا سَبَـائِبُـهْ

63 ـ فَرَاحُوا: فَرِيقاً فِي الإِسَارِ وَمِثْلُهُ ... قَتِيـلٌ وَمِثْـلٌ لاذَ بِـالْبَحْـرِ هَـارِبُـهْ

64 ـ وَأَزْعَنَ يَغْشَى الشَّمْسَ لَوْنُ حَدِيدِهِ ... وَتَخْلِـسُ أَبْصَـارَ الْكُمَـاةِ كَتَـائِبُـهْ

65 ـ تَغَصُّ بِهِ الأَرْضُ الْفَضَاءُ إِذَا غَدَا ... تُـزَاحِـمُ أَرْكَـانَ الْجِبَـالِ مَنَـاكِبُـهْ

66 ـ كَأَنَّ جَنَابَاوَيْهِ مِنْ خَمِسِ الْوَغَا ... شَمَـامٌ وَسَلْمَـى أَوْ أَجَـى وَكَـوَاكِبُـهْ

67 ـ تَـرَكْنَـا بِـهِ كَلْبـاً وَقَحْطَـانَ تَبْتَغِـي ... مُجِيـراً مِـنَ الْقَتْـلِ الْمُطِـلِّ مَقَـانِبُـهْ

رفع المسهم

68 ـ أَبَاحَتْ دِمِشْقاً خَيْلُنَا حِينَ أُلْجِمَتْ ... وآبَتْ بهَا مَغْرُورَ حِمْصٍ نَوَائِبُهْ

69 ـ وَنَالَتْ فِلَسْطِيناً فَعَرَّدَ جَمْعُهَا ... عَنِ الْعَارِضِ الْمُسْتَنِّ بالمَوْتِ حَاصِبُهْ

70 ـ وَقَدْ نَزَلَتْ مِنَّا بِتَدْمُرَ نَوْبَةٌ ... كَذَاكَ عُرُوضُ الشَّرِّ تَعْرُو نَوائِبُهْ

71 ـ تَعُودُ بِنَفْسٍ لاَ تَزِلُّ عَنِ الهُدَى ... كما زَاغَ عَنْهُ ثَابِتٌ وَأَقَارِبُهْ

72 ـ دَعا ٱبْنَ سِمَاكٍ لِلْغِوَايَةِ ثابِتٌ ... جِهَاراً وَلَمْ تُرْشِدْ بَنِيهِ تَجَارِبُهْ

73 ـ وَنَادَى سَعِيداً فَاسْتَصَبَّ مِنَ الشَّقَا ... ذُنُوباً كما صُبَّتْ عَلَيْهِ ذَنَائِبُهْ

74 ـ وَمِنْ عَجَبٍ سَعْيُ ابْنِ أَغْنَمَ فيهِمُو ... وَعُثْمَانَ، إنّ الدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهْ

75 ـ ومَا مِنْهُمَا إلاّ وَطَارَ بِشَخْصِهِ ... نَجِيبٌ وَطَارَتْ لِلْكِلاَبِ رَوَاجِبُهْ

76 ـ أَمَرْنَا بِهِمْ صَدْرَ النَّهارِ فَصُلِّبُوا ... وَأَمْسَى حَمِيدٌ يَنْحِتُ الْجِذْعَ صَالِبُهْ

77 ـ وَنَاطَ ٱبْنُ رَوْحٍ لِلْجَمَاعَةِ إنَّه ... زَأَرْنَا إلَيْهِ فَاقْشَعَرَّتْ ذَوَائِبُهْ

78 ـ وَبِالْكُوفَةِ الْحُبْلَى جَلَبْنَا بِخَيْلِنَا ... عَلَيْهِمْ رَعِيلَ المَوْتِ إنّا جَوَالِبُهْ

79 ـ أَقَمْنَا عَلَى هٰذَا وَذَاكَ نِسَاءَهُ ... مَآتِمَ تَدْعُو لِلْبُكَا فَتُجَاوِبُهْ

80 ـ أَيَامَى وَزَوْجَاتٍ كَأَنَّ نِهَاءَهَا ... عَلَى الْحُزْنِ أَرْءَامُ الْمَلاَ وَرَبَارِبُهْ

81 ـ بَكَيْنَ عَلَى مِثْلِ السِّنَانِ أَصَابَهُ ... حِمَامٌ بِأَيْدِينا فَهُنَّ نَوَادِبُهْ

82 ـ فَلَمَّا ٱسْتَفَيْنَا بِالْخَلِيفَةِ مِنْهُمُو ... وَصَالَ بِنَا حَتَّى تَقَضَّتْ مَآرِبُهْ

83 ـ دَلَفْنَا إلَى الضَّحَّاكِ نَصْرِفُ بِالرَّدَى ... ومَرْوَانُ تَدْمَى مِنْ جُذَامَ مَخَالِبُهْ

84 ـ مُعِدِّينَ ضِرْغَاماً وَأَسْوَدَ سَالِخاً ... حُتُوفاً لِمَنْ دَبَّتْ إلَيْنَا عَقَارِبُهْ

85 ـ وَمَا أَصْبَحَ الضَّحَّاكُ إلاّ كَثَابِتٍ ... عَصَانَا فَأَرْسَلْنَا المَنِيَّةَ تَادِبُهْ

بشار بن برد(*)

(*) بشار بن برد (توفي 168هـ). انظر الفصل القيم الذي خصّصه له فؤاد سزقن في «تاريخ الآثار العربية المدونة» الجزء 2 ص 455 ـ 457.

رفع المسهم

ـ 4 ـ

المرّارُ الفَقْعَسيّ(*)
(من مخضرمي الدولتين)

في الوصف أو نشيد الصحراء وداعي الرحيل(**)

[المتقارب]

1 ـ وجَدْتُ شِفَاءَ الهُموم الرحِيلَ ... فَصُرْمُ الخِلاَج وَوَشْكُ القَضَاءِ

2 ـ وَإِثْوَاؤُكَ الهَمَّ لم تُمْضِهِ ... إِذَا ضَافَكَ الهَمُّ أَعْنَى العَنَاءِ

3 ـ وَلمَّاعة مَا بِهَا مِنْ عِلاَمٍ ... ولا أَمَرَاتِ وَلاَ رِغْيِ مَاءِ

4 ـ إِذَا نظَرَ القَوْمُ مَا مِيلُهَا ... رأَى القَوْمُ دَوِّيَّةً كَالسَّمَاءِ

5 ـ يُسِرُّ الدليلُ بها خِيفَةً ... وَمَا بكآبَتِهِ مِنْ خَفَاءِ

6 ـ إِذَا هُوَ أَنْكَرَ أَسْمَاءَهَا ... وَعَيّ وحُقّ لَهُ بالعياءِ

(*) المرّار بن سعيد الفقعسي من شعراء الدولة الأموية وقد أدرك الدّولة العباسية. عرف السجن والفرار منه إثر ملاحقة السلطان له لسرقته طريدة. جمع شعر نوري حمودي القيسي (بغداد) ونشره بمجلة المورد المجلد الثاني، الجزء الثاني، 1973 ـ انظر فؤاد سزقن، تاريخ الآثار العربية المدونة، ج 2 ص 403.

(**) في رأينا، القصيدة من أجود ما قيل في العقود الأولى من القرن الثاني من شعر يحكي قصة الصحراء في عناصرها الثابتة (قارن بمعلقة لبيد وقصيدة بشار الواردة في هذا الملحق رقم 3). وأبو تمام، صاحب الوحشيات أو الحماسة الصغرى، ذاك الذي قال فيه شارحه المرزوقي إنه «كان في اختياره أشعر منه في شعره» اهتدى قبلنا إلى ذلك، فعدّ القصيدة من الفرائد وأدرجها في اختياره.

رفع المسهم

7 ـ وَخَلَّى الرِّكَابَ وَأَهْوَالَهَا ... وَأَسْلَمَهُنَّ لِتِيهِ قَوَاءِ

8 ـ لَهُ نَظْرَتَانِ فمَرْفُوعَةٌ ... وَأُخْرَى تَأَمَّلُ مَا فِي السَّقَاءِ

9 ـ وثَالِثَةٌ بَعْدَ طُولِ الصُّمَاتِ ... إِلَيَّ وَفِي صَوْتِهِ كَالبُكَاءِ

10 ـ بِأَرْضٍ عَلاَهَا وَلَمْ أَعْلُهَا ... لِتُخْرِجَهُ هَمَّتِي أَوْ مَضَائِي

11 ـ فَقُلْتُ ٱلْتَزِمْ عَنْكَ ظَهْرَ البَعِيرِ ... جَزَى الله مِثْلَكَ شَرَّ الجَزَاءِ

12 ـ أُحَيْدَى هَنَاتِي وأَمْثَالُهَا ... إِذا لَمَعَ الآلُ لَمْعَ الرِّدَاءِ

13 ـ وَلَيْسَ بِهَا غَيْرُ أَمْرٍ زَمِيعٍ ... وَغَيْرُ التَّوَكُّلِ ثُمَّ النَّجَاءِ

14 ـ رَمَيْتُ وأَيقظْتُ غِزْلاَنَهَا ... بِمِثْلِ السُّكَارَى مِنَ الانْطِوَاءِ

15 ـ تُسَاوِرُ حَدَّ الضُّحَى بَعْدَمَا ... طَوَتْ لَيْلَهَا مِثْلَ طَيِّ الرِّدَاءِ

16 ـ تُعَادِي نَوَاحِيَ مِنْ قَبْصِهَا ... عَنِ المَرْوِ تَخْضِبُهُ بِالدِّمَاءِ

17 ـ كَأَنَّ الحَصَا حِينَ يَتْرُكْنَهُ ... رَضِيخُ نَوى القَسْبِ بينَ الصَّلاَءِ

18 ـ إِلَى أَنْ تَنَعَّلَ أَظْلاَلَهَا ... ولَمْ يَعْلُ أَظْلاَلَهَا بِالحِذَاءِ

19 ـ وَيَوْمٍ مِنَ النَّجْمِ مُسْتَوْقِدٍ ... يَسُوقُ إِلَى المَوْتِ نُورَ الظِّبَاءِ

20 ـ تَرَاهَا تَدُورُ بِغِيرَانِهَا ... وَيَهْجُمُهَا بَارِحٌ ذُو عَمَاءِ

21 ـ عُكُوفَ النَّصَارَى إِلي عِيدِهَا ... تُمَشِّي دَهَاقِينُهَا فِي المُلاَءِ

22 ـ إِذَا خَرَجَتْ تَتَّقِي بِالقُرونِ ... أَجِيجَ سَمُومٍ كَلَفْحِ الصِّلاَءِ

23 ـ لجَأْتُ بِصَحْبِي إِلَى خَافِقٍ ... عَلَى نَبْقَتَيْنِ بِأَرْضٍ فَضَاءِ

24 ـ تُنَازِعُنَا الرِّيحُ أَرْوَاقَهُ ... وكِسْرَيْهِ يَرْمَحْنَ رَمْحَ الفَلاَءِ

25 ـ وَبَيْضَاءَ تَنْفَلُّ عَنْهَا العُيُونُ ... تُطَالِعُنَا مِنْ وَرَاءِ الخِبَاءِ

26 ـ لَدَى أَرْحُلٍ وَلَدَى أَيْنُقٍ ... بِآبَاطِهَا كَعَصِيمِ الهِنَاءِ

27 ـ صَوَادِيَ قَدْ نَصَبَتْ لِلهَجِيرِ ... جَمَاجِمَ مِثْلَ خَوَابِي الطِّلاَءِ

28 ـ تَظَلَّلُ فِيهِنَّ أَبْصَارُهُنَّ ... كَمَا ظَلَّلَ الصخْرُ مَاءَ الصِّهَاءِ

29 ـ بِرَأْسِ الفَلاَةِ وَلَمْ يَنْحَدِرْ ... وَلٰكِنَّهَا بِمَثَابٍ سَوَاءِ

رفع المسهم

30 ـ إلَـى أَنْ مَـلَلْـتُ ثَـوَاءَ المَقِيـلِ ... وَكُنْـتُ مَلُـولاً لِطُـولِ الثَّـوَاءِ

31 ـ هَتَكْـتُ الـرِّوَاقَ وَلَـمْ يُبْـرِدُوا ... وَنَـادَيْـتُ فَـانْتَبَهُـوا لِلنِّـدَاءِ

32 ـ فقُمنَـا إِلَيْهَـا بِـأَكْـوَارِهَـا ... فَكَـادَتْ تُكَلِّمُنَـا بِـاشْتِكَـاءِ

33 ـ فَـأَقْبَلَهَـا الشمْـسَ رَاعٍ لَهَـا ... رَهِيـنٌ لَهَـا بَجَفَـاءِ العَشَـاءِ

34 ـ فَـأَمْسَتْ تَغَـالَى وَقَـدْ شَارَفَتْ ... لإِيـرَادِ قَـائِلَـةٍ أَو ضَحَـاءِ

35 ـ إِذَا مَـا وَنَـتْ حَثَّهَـا بِـالنهِيـمِ ... وَطَـوْراً يُعَلِّلُهَـا بِـالحُـدَاءِ

36 ـ فَبَـانَـتْ لَهَـا لَيْلَـةٌ لَـمْ تَنَـمْ ... تَمِيـلُ الجُـرُومُ بِهَـا لِلْـوِطَـاءِ

37 ـ وضَحْـوتَهَـا يَـا لَهَـا ضَحْـوَةً ... إِلَـى أَنْ وَرَدْنَ قُبَيْـلَ الـرِّعَـاءِ

38 ـ فَجَـاءَتْ وَرُكْبَـانُهَـا كَـالشُّرُوبِ ... وَسَـائِقُهَـا مِثْـلُ صِنْـعِ الشِّـوَاءِ

39 ـ حَمِيـدَ البَـلاءِ مَتِيـنَ القُـوَى ... مُبِيـنَ البَـرَاءَةِ مِـنْ كُـلِّ داءِ

40 ـ سِوَى ما أَصَابَ السُّرَى والسَّمُو ... مُ وَلَيْـسَ بِنَـاسٍ جمِيـلَ الحِبَـاءِ

41 ـ إِذَا صَـدَرَ القَـومُ نَـاجٍ بِهِـم ... إِذَا وَرَدَ القَـومُ مَسْقَـى الـرِّوَاءِ

42 ـ سَـرِيـعٌ إِرَاغَتُـهُ دَلْـوَهَـم ... سَـرِيـعٌ تَعَلُّقُـهُ بِـالـرِّشَـاءِ

43 ـ وَجَـاءَ الـدليـلُ لِشَـرِّ المَتَـاع ... مُعَلًّـى بِـه مثـلُ حَمْـلِ الـوِعَـاءِ

44 ـ فَقَـالَـتْ علَـى المـاء ثـم انْتَحَـت ... لِمُنْجَـرِدٍ مِثْـلِ سَيْـحِ العَبَـاءِ

45 ـ وَخِيـمٍ تَخَـوَّنَ أَطْـرَافَهَـا ... تُـراجِعُـه بعْـدَ سُـوءِ البَـلاءِ

46 ـ وَوَاجَهَهَـا بَلَـدٌ مَعْلَـمٌ ... وَبَـانَ الطـريـقُ فَمـا مِـنْ خَفَـاءِ

47 ـ وَقَضَّـتْ مَـآرِبَ أَسْفَـارِهَـا ... وَحُـبُّ الإِيَـابِ كَحُـبِّ الشِّفَـاءِ

المرّار الفقعسي

التخريـج :

الوحشيات لأبـي تمام، ص 54 ـ 57.

رفع المسهم

ـ 5 ـ
الحارثي
(توفي نحو 190)

في الفخر على «نمط الأعراب»:

[السريع]

1 ـ هٰـأَنـذا يـا طَـالِبـي سَـاعِـي ... محتضـرٌ بِـرِّي إلـى الـداعـي

2 ـ أحْمِي حِمَى منْ غاب عن مَذْجح ... ويحمـدُ الشّـاهـدُ إيقـاعي

3 ـ لا هَلِـعٌ فـي الحـرب هـاعٌ إذا ... رَيَّـقَ فيهـا كُـلُّ هَلْـواع

4 ـ قـد بـاضت الحربُ على هـامتي ... وصمَّمتْنـي أُذُنَـيْ وَاعـي

5 ـ واستـودعتْنِـي مُقلَتَـيْ أَرِقٍ ... لا يضـعُ الجنـبَ لتَهجَـاع

6 ـ مستَحْصـدِ المـرّةِ ذي همـةٍ ... ضـرَّارِ أقـوامٍ ونفّـاع

7 ـ لا تُـوجَـد الغـرّةُ منـه وإن ... هِيـجَ بـه هِيـج بمُنصَـاع

8 ـ أشوسُ ينضـو الـدرعَ عـن منكَـب ... مثـل سِنـان الـرُّمـح شَعشـاع

9 ـ كمـا تـرى أفطـحُ ذا رُقْطَـة ... تنجـابُ عنـه هَبْـوَة القَـاع

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي(*)

التخريج:

طبقات ابن المعتز، ص 276 ـ 277.

* الحارثي من شعراء المائة الثانية، يقول فيه ابن المعتز: «كان الحارثي شاعراً ملفقاً مفوّهاً مقتدراً مطبوعاً، وكان لا يشبه بشعره شعر المحدثين الحضريين. **وكان نمطه نمط الأعراب**. ولما قال قصيدته [هذه] المعروفة العجيبة انقاد الشعراء وأذعنوا. وهو أحد من نُسخ شعره بماء الذهب [...] وقد اجتمعت الشعراء والأدباء على أن هذه الأبيات ليست من نمط عصره وأَن أحداً لا يطمع في مثلها. ولعمري إنه لكلام مع فصاحته وقوَّته يُقَدِّر مَنْ يسمعه أنه سيأتي بمثله، فإذا رامه وجده أبعد من الثريا».

رفع المسهم

ـ 6 ـ
منصـور النمـري
(توفي 193)

في الفخر:

[الطويل]

1 ـ وَداعٍ دَعـا بَعْـدَ الهُـدوءِ كَـأَنَّمـا ... يُقـاتِـلُ أَهْـوالَ السُّـرَى وَتُقـاتِلُـهْ

2 ـ دَعـا يـائِسـاً شِبْـهَ الجُنـونِ وَمَـا بِـهِ ... جُنـونٌ وَلَكِـنْ كَيْـدُ أَمْـرٍ يُحـاوِلُـهْ

3 ـ فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتَ نادَيْتُ نَحْوَهُ ... بِصَـوْتٍ كَـرِيـمِ الجَـدِّ حُلْـوٍ شَمَـائِلُـهْ

4 ـ فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَثْقَبْتُ ضَوْءَهَا ... وأَخْرَجْتُ كَلْبِـي وَهْوَ في البَيتِ داخِلُهْ

5 ـ فَلَمَّـا رَآنِـي كَبَّـرَ اللـهَ وَحْـدَهُ ... وَبَشَّـرَ قَلْبـاً كـانَ جَمـاً بَـلابِلُـهْ

6 ـ فَقُلْـتُ لَـهُ أَهْـلاً وَسَهْـلاً وَمَـرْحَبـاً ... رَشَـدْتَ وَلَـمْ أَقْعُـدْ إِلَيْـهِ أُسَـائِلُـهْ

7 ـ فَقُمْـتُ إِلـى بَـرْكٍ هِجَـانٍ أَعِـدُّهُ ... لِـوَجْبَـةِ حَـقٍّ نَـازِلٍ أَنَـا فَـاعِلُـهْ

8 ـ بِأَبْيَضَ خَطَّتْ نَعْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكَتْ ... مِـنَ الأَرْضِ لَـمْ تَخْطَـلْ عَلَـيَّ حَمَـائِلُـهْ

9 ـ فَجَـالَ قَلِيـلاً وَاتَّقَـانِـي بِخَيْـرِهِ ... سَنَـامـاً وَأَمْـلاَهُ مِـنَ النَّـيِّ كـاهِلُـهْ

10 ـ بِقَرْمٍ هِجَانٍ مُصْعَبٍ كانَ فَحْلَهَا ... طَـوِيـلِ القَـرَى لَـمْ يَعْـدُ أَنْ شَـقَّ بَـازِلُـهْ

11 ـ فَخَرَّ وَظِيفُ القَرْمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ ... وَذَاكَ عِقَـالٌ لاَ يُنَشِّـطُ عَـاقِلُـهْ

12 ـ بِـذَلِـكَ أَوْصـانِـي أَبِـي وَبِمِثْلِـهِ ... كَـذَلِـكَ أَوْصَـاهُ قَـدِيمـاً أَوائِلُـهْ

منصور النَّمَري(*)

التخريـج: شعر منصور النمري (تحقيق الطبيب العشاش) (ص 130 ـ 131).

(*) منصور النمري من شعراء المائة الثانية (توفي 193هـ)، انظر «تاريخ...» فؤاد سزقن، ج 2 ص 541 ـ 542. انظر كذلك عرضنا النقدي لما نُشر من شعر المغمورين من المحدثين، بالجزء السادس ص .

رفع المسهم

ـ 7 ـ
أبـو الهنـدي
(توفي نحو 140هـ)

في الفخر الهازل:

[المتقارب]

أكلـتُ الـضِّبَـاب فمـا عِفْتُهَـا ... وإنِّـي لأهـوى قَـديـد الغَنَـمْ
وركَّبـتُ زُبْـداً علـى تَمـرَةٍ ... فنِعْـمَ الطعـامُ ونِعْـم الأُدَمْ
وَسمْـنُ السِّـلاءِ وكـمْءُ القَضيـض ... وزيـنُ السَّـديـف كبـودُ النَّعَـمْ
ولحْـمُ الخـروف حَنيـذاً وقـدْ ... أتيْـتُ بـه فـائـراً فـي الشَّبَـمْ
فـأمَّـا البَهَـطُّ وحِيتـانُكُـم ... فمـا زلْـتُ منهـا كثيـرَ السَّقَـمْ
وقـد نلْـتُ ذاكَ كمـا نِلْتُـمُ ... فلـم أرَ فيهـا كضَّـبٍ هَـرِمْ
ومـا فـي البُيُـوضِ كَبَيْـضِ الـدَّجـا ... ج وبَيْـضُ الجـرادِ شِفَـاءُ القَـرِمْ
ومَكْـنُ الضِّبـاب طَعـامُ العُـرَيْـبِ ... ولا تَشْتهيـه نفـوس العَجَـمْ

أبـو الهِنْدِيّ(*)

التخريـج:

الحيوان: ج 6 ص 88 ـ 89.

(*) أبو الهندي (غالب عبد القدوس) من مخضرمي الدولتين (توفي نحو 140هـ). شاعر خراساني مطبوع، جوّد في وصف الخمر، وأثره واضح في شعر أبي نواس.
(انظر غرضنا النقدي العام لما نُشر من شعر المغمورين من... المحدثين بالجزء السادس من هذا العمل، رقم 33 ـ انظر كذلك: فؤاد سزقن، تاريخ... ج 2 ص 473).

رفع المسهم

ـ 8 ـ

ابـن المعـذل

(توفي 233)

في التهاجي بين شاعر وراوية(*):

[الرجز]

1 ـ بنـــتُ ثمـــانيـــن بفِيهـــا لُثَغَـــهْ

2 ـ شَـــوْهَـــاءُ وَرْهَـــاءُ كَطِيـــن الـــرَّدغـــهْ

3 ـ ممشـــوطـــةٌ لِمَتْنِهَـــا المُتَمَّغَـــهْ

4 ـ ملـــويّـــةٌ أَصْـــدَاغُهَـــا المُصَمَّغَـــهْ

5 ـ مخضـــوبـــةٌ فـــي قُمُـــصٍ مُصَبَّغَـــهْ

6 ـ مَثْلَبَـــةٌ لصـــاحبيهـــا مِنْـــزَغَـــهْ

7 ـ فيهـــا يعـــافُ الخَفِـــراتُ مِيْلَغَـــهْ

8 ـ ملبَسَـــةٌ بـــالنـــاقـــراتِ مِلْـــدغَـــهْ

9 ـ أعـــارهـــا الغضـــونَ منهـــا الـــوَزَغَـــهْ

10 ـ والظـــربـــانُ كَشْـحـــهُ وأَرْفُغَـــهْ

11 ـ والـديـكُ أحـذَى الجيـدَ منهـا التُّغنغـهْ

12 ـ ألقـت حليسـاً لـي وألقـتْ مَـردَغَـهْ

13 ـ وهَـا مَسَتْنِـي بحـديـث فَغْفَغَـهْ

14 ـ وحَلِـفٌ منهـا وَإفْـكٌ مَغْمَغَـهْ

15 ـ إنّـك إنْ ذُقْـتَ حمـدْتَ المَمْضَغَـهْ

(*) القصيدة في هجاء أبـي عثمان المازني أحد كبار النحاة بعد سيبويه، (توفي 233هـ) (يرد ذكره في البيت 18).

رفع المسهم

16 ـ فقلتُ ما هاجك؟ قالت: دَغدَغهْ

17 ـ فقلتُ منْ أنت؟ فقالت لي: دُغَهْ(*)

18 ـ وابْني أبو عثمانَ ذو علم اللّغهْ

19 ـ فأطْوِ حديثي دُونه أنْ يبْلُغَهْ

20 ـ هَمَمْتُ أَعْلُو رأسْهَا فَأدْمغهْ

عبدالصمد بن المعذل(**)

التخريج:

شعر عبد الصمد بن المعذل، ص 125 ـ 128.

التعليق:

قارن هذه القصيدة بأرجوزة خلف الأحمر الواردة في هذا الجزء مذيلة بتحليل ص 50 ـ 59.

(*) دُغَهْ: المثل بحمقها مشهور سائر: انظر المضاف والمنسوب للثعالبي ص 309، انظر كذلك الجزء الثالث من هذا العمل ص . . .

(**) عبد الصمد بن المعذل من شعراء المائة الثالثة، (توفي 240 هـ). جمع شعره وقدّم له زهير غازي زاهد: انظر عرضنا النقدي لما نُشِر في العقود الأخيرة من مجاميع أشعار المعمورين من المحدثين، بالجزء السادس ص. . .

رفع المسهم

ـ 9 ـ

المخزومي

(توفي 230)

في شعر النقائض أو ما بين أبي سعد المخزومي ودعبل الخزاعي:

[البسيط]

1 ـ لم يبق لي لذةٌ مِنْ طَربةٍ بِدَدِ ... ولا المنازلُ من خَيْف ولاَ سندِ

2 ـ أبعدَ خمسين عادتْ جَهَالتُهُ ... يا لَيتَ ما عادَ منها اليومَ لم يَعُدِ

3 ـ وما تريدُ عيونُ العين من رجُل ... كرَّ الجديدَان في أيّامه الجُدُدِ

4 ـ أَبْدَى سَرَائرُهُ وجداً بغانيةٍ ... ولو أَطَاع مشيبَ الرّأس لَم يَجدِ

5 ـ واستمطرتْ عبراتُ العين منزلةً ... لَم يبقَ منها سِوَى الآريّ والوَتَدِ

6 ـ وما بكاؤُك داراً لا أنيسَ بها ... إلا الخواضِبُ من حيطانها الرّبدِ

7 ـ لدعْبل(*) وطرٌ في كلّ فاحشة ... لَوْ باد لؤمُ بني قَحْطانَ لم يَبِدِ

8 ـ ولي قَوافٍ إذا أنْزلتُها بلَداً ... طارتْ بهنّ شياطيني إلى بلدِ

9 ـ لم ينجُ من خَيْرها أو شرّها أحدٌ ... فاحذَرْ شآبيبَها إن كنتَ من أحدِ

10 ـ إن الطّرماحَ نَالتْه صواعقُها ... في ظُلمةِ القَبْر بين الهَامِ والصَّردِ

11 ـ وأنتَ أَوْلَى بها إن كنتَ وارثَه ... فابعُدْ وجهدَك إن تنجُو على البعدِ

12 ـ تَهْجُو نِزاراً وترْعَى في أرومَتِها ... وتَنْتَمي في أُنَاسٍ حَاكَةِ البردِ

(*) دعبل من شعراء الشيعة، (توفي 246هـ). كانت بينه وبين أبي سعد المخزومي مهاجاة على نمط النقائض: الأوّل يتعصب للقحطانية والثاني للنزارية. ولقد عارض دعبل هذه القصيدة بدالية طالعها:

«منازل الحيّ من غمدانَ فالنّضد ... فمأربَ فظفار الملك فالجَنَدِ»

(انظر تاريخ فؤاد سزقن، ج 2 ص 529 ـ 531 وبه أوفى كشف عمّا تجمع حتى اليوم من مصادر ومراجع تتعلق بدعبل. انظر كذلك «شعر دعبل» لعبد الكريم الأشتر).

رفع المسهم

13 ـ إنّـي إذا رجـلٌ دبَّـتْ عقـاربُـه ... سَقيتُـهُ سـمَّ حَيَّـاتِـي فَلَـمْ يَعُـدِ

14 ـ زِدْني أزدْكَ هَوَاناً أنتَ موضعُه ... وَمَنْ يـزيـدُ إذا مـا نحـنُ لَـم نَـزِدِ

15 ـ لـوْ كنـتَ مُتَّـداً فيمـا تُلَفّقُـهُ ... لكـانَ حظُّـكَ منـه حـظّ متَّـدِ

16 ـ لـو كنتَ معتمداً منه على ثِقَةٍ ... مـن المكـارم قلْنـا طـولَ معتمـدِ

17 ـ لقـد تقلّـدتَ أمـراً لستَ نـائلَـه ... بِـلاَ ولـيٍّ ولا مَـوْلـىً ولا عَضُـدِ

18 ـ وقد رَمَيْتَ بياضَ الصّبح تحسَبُه ... بيـاضَ بطْنِـك مِـنْ لُـؤْم ومـن نكَـدِ

19 ـ لا تُوعِدَنّي بقَوم أنتَ ناصرُهم ... واقعُـدْ فـإنـك نَـوْمـانٌ مـن القَعَـدِ

20 ـ لِلَّـهِ مُعْتَصـم بـالله، طـاعَتُـه ... قضيـةٌ مـن قضـايـا الـوَاحـد الصَّمـدِ

أبو سعد المخزومي(*)

التخريـج: شعر أبـي سعد المخزومي، ص 31 ـ 33.

(*) أبو سعد المخزومي: (توفي 230 هـ) (انظر عرضنا النقدي لما نُشر في العقود الأخيرة من أشعار المغمورين من المحدثين، الجزء السادس ص . . .).

رفع المسهم

ـ 10 ـ

العكوك
(توفي 213)

في النسيب (مطلع قصيدة في المدح)(*):

[الخفيف]

1 ـ عَلِّلاني بِصَفْوِ مَا في الدِّنَانِ ... وَٱتْرُكَا مَا يَقُولُهُ العَاذِلانِ

2 ـ وَٱسْبِقَا فَاجِعَ المَنِيَّةِ بِالْعَيـ ... ـشِ فَكُلٌّ عَلى الجَدِيدَيْنِ فَاني

3 ـ عَلِّلاني بِشَرْبَةٍ تُذْهِبُ الهَـ ... ـمَّ وَتَنْفي طَوَارِقَ الأَحْزَانِ

4 ـ وَٱلْقِيَا في مَسَامِعٍ سَدَّهَا الصَّوْ ... مُ رُقَى المَوصِلِيِّ أَو دَحْمَانِ

5 ـ قَدْ أَتَانَا شَوَّالُ فَٱقْتَبَلَ العَيْـ ... ـشُ وأَغْدَى قَسْراً عَلى رَمَضَانِ

6 ـ نِعْمَ عَوْنُ الفَتَى عَلى نُوبِ الدَّهْرِ ... سَمَاعُ القِيَانِ والعِيدَانِ

7 ـ وَكُؤُوسٌ تَجْرِي بِمَاءٍ كَرومٍ ... وَمَطِيُّ الكُؤُوسِ أَيْدِي القِيَانِ

8 ـ مِنْ عُقَارٍ تُمِيتُ كُلَّ ٱحْتِشَامٍ ... وَتَسُرُّ النَّدْمَانَ بِالنَّدْمَانِ

9 ـ وَكَأَنَّ المِزَاجَ يَقْدَحُ مِنْهَا ... شَرَراً في سَبَائِكِ العِقْيَانِ

10 ـ فَٱشْرَبِ الرَّاحَ وَٱعْصِ مَنْ لاَمَ فيها ... إِنَّهَا نِعْمَ عُدَّةُ الفِتْيَانِ

11 ـ وَٱصْحَبِ الدَّهْرَ بِٱرْتِحَالٍ وَحَلٍّ ... لاَ تَخَفْ مَا يَجُرُّهُ الحَادِثَانِ

12 ـ حَسْبَ مُسْتَظْهِرٍ عَلى الدَّهْرِ رُكْناً ... بِحُمَيْدٍ رِدْءًا مِنَ الحَدَثَانِ

علي بن جبلة العَكَوَّك(**)

التخريج: شعر علي بن جبلة العكوك، ص 112 ـ 113.

(*) مطلع قصيدة في مدح حُميد الطوسي أحد عمّال المأمون.

(**) العكّوك: (توفي 213 هـ)، انظر تاريخ فؤاد سزقن، ج 2 ص 572 ـ 573، وكذلك عرضنا النقدي لما نُشر في العقود الأخيرة من شعر المغمورين من المحدثين.

رفع المسهم

ـ 11 ـ

ابـن مـطيـر

(توفي نحو 170هـ)

في الغزل:

[البسيط]

1 ـ كـأننـا يـا سُلَيْمَـى لـم نُلِـمَّ بكـمْ ... وتحتنـا عَلَسِيَّـاتٌ مـلاجيـجُ

2 ـ ولم نُكَلِّمْكِ في الحسَّاد قد حضروا ... وفـي الكـلام عـن الحـاجـات تحليـج

3 ـ ولم نقل يوم سارت عيسكم عنقاً ... والـدَّوسـريّ بجـذب السـاج مجـروج

4 ـ سقـى سقى الله جيراناً لنا ظعَنوا ... لمـا دنـا مـن ريـاض الحَـزْن تهييـج

5 ـ لم أخْشَ بينَهُمُ حتى غَدَوا حِزَقاً ... واستـوسقـت بهـمُ البُـزْل العنـاجيـج

6 ـ فَاحتَثَّ من خلفهم حاديهمُ غَرِدا ... وجُـدِّدتْ دون مـن تهـوى الهـواديـج

7 ـ تلكـم ديـاركُـمُ بـالقَـفِّ دارسـة ... يستـنّ فيهـا عَجَـاج الصَّيـف والهـوجُ

8 ـ قفراً خـلاءَ المغـاني مـا يظلّ بهـا ... إلا الظبـاء وغـرْبـان مشـاحيـج

9 ـ فيهـا أَوارٍ وآثـارٌ بِعَـرْصتهـا ... ومـاثـلٌ نـاحـلٌ فـي الـدار مشجـوج

10 ـ دارٌ لنـاعمـة بيضـاء، حُلّتُهَـا ... عَصْـبٌ يمـان وبُـرْدٌ فيـه تـدبيـج

11 ـ ومَـوْردٌ آجـنٌ سُـدْمٌ منـاهلُـه ... كـأنّ ريـق الـدَّبَـى فيهـن ممجـوج

12 ـ زارتـك سلمـة والظلمـاء داجيـة ... والعيـن هـاجعـة والـروح معـروج

13 ـ فمرحباً بك من طيف ألـمَّ بنا ... وليس يا سَلْمُ بـي في السلم تحريج

14 ـ هل يدنينَّك من سلمى وجيرتها ... قـلائـصٌ أرحبيّـات حـراجيـج

15 ـ هُـدْل المشـافِـر أيـديهـا مـوثّقـة ... زُجٌّ وأرجلهـا زُلٌّ، هـزاليـج

16 ـ قالت: تغيرتَ عن ودّي فقلت لها: ... لا والـذي بيتـه يـا سلـمُ محجـوج

رفع المسهم

17 ـ ما أنسَ لا أنسَ منكم نظرة سلفتْ فـي يـومِ عيـدٍ ويـومُ العيـد مخـروج

ابـن مُـطيـر(*)

التخريـج:

طبقات الشعراء، ص 114 ـ 116.

التعـليـق:

صدر ابن المعتز هذه القصيدة بقوله:

حدثني عبد الله بن محمد الخزري قال: حدثني التوّزي قال:

قلت لأبـي عبيدةَ: ما تقول في شعر ابن مطير؟ قال: إنه ليقع من شعره الشيء بعد الشيء فيكثر تعجبـي من كثرة بدائعه، فإذا لقيتَه فأعْلِمْه أن شعره من أعجب الشعر إليَّ.

(*) انظر ذيل القصيدة رقم 13.

رفع المسهم

ـ 12 ـ
ابـن هرْمـة
(توفي 176هـ)

في الغزل:

[البسيط]

هَـلْ مَـا مَضَـى مِنْـكِ يَـا أَسْمـاءُ مَـرْدُودُ ... أَمْ هَلْ تَقَضَّتْ مَعَ الوَصْلِ المَواعِيدُ
أَمْ هَـلْ لَيـالِيـكِ ذاتُ البَيْـنِ عَـائِـدَةٌ ... أَيَّـامَ يَجْمَعُنـا خَلْـصٌ فَبَلْـدُودُ
أَقْصَـرْتُ عَـنْ جَهْلِيَ الأَدْنَى وَجَمَّلَني ... زَرْعٌ مِـنَ الشَّيْـبِ بـالفَـوْدَيْـنِ مَنْقُـودُ
حَتَّـى لَقِيـتُ ابْنَـةَ السَّعْـدِيِّ يَـوْمَ سَفـاً ... وَقَـدْ يَـزِيـدُ صِبَـائـي البُـدَّنُ الغِيـدُ
فـاسْتَـوْقَفَتْني وَأَبْـدَتْ مَـوْقِفـاً حَسَنـاً ... بهـا وقـالـت لِقُنَّاصِ الهَـوَى: صِيـدُوا
إنَّ الغَـــوَانِـــيَ لاَ تَنْفَـــكُّ غَـــانِيَـــةٌ ... مِنْهُـنَّ يَعْتَـادُنـي مِـنْ حُبِّهـا عِيـدُ

ابـن هَرْمَة(*)

التخريـج: «شعر إبراهيم بن هرمة»، ص 100 ـ 101.

(*) إبراهيم بن هرمة من شعراء المائدة الثانية (توفي 176 هـ) انظر الكشف البيبليوغرافي الوافي بتاريخ فؤاد سزقن، ج 2 ص 444 ـ 445، وكذلك عرضنا النقدي لما نُشِر في العقود الأخيرة من شعرَ المغمورين من المحدثين، بالجزء السادس، ص...

رفع المسهم

ـ 13 ـ
ابـن مُطيـر
(توفي نحوه 170 هـ)

في الوصف (الشاعر يصف مطراً وابلاً).

[الكامل]

1 ـ كَثُـرَتْ لِكَثْـرَةِ قَطْـرِهِ أَطْبَـاؤُهُ ... فـإذَا تَحَلَّـبَ فَـاضَـتِ الأَطْبَـاءُ

2 ـ وكَجَوْفِ ضَـرَّتِهِ التي في جَوْفِهِ ... جَـوْفُ السمـاء سِبَحْلَـةٌ جَـوْفَـاءُ

3 ـ ولَـهُ رَبَـابٌ هَيْـدَبٌ، لِـرَفيفِـهِ ... قَبْـلَ التَّبَعُّـقِ دِيمَـةٌ وطْفَـاءُ

4 ـ وكـأنَّ بَـارِقَـهُ حَـرِيـقٌ، يَلْتَقِـي ... رِيـحٌ عليـهِ وعَـرْفَـجٌ وأَلاَءُ

5 ـ وكَـأَنَّ رَيِّقَـهُ ولَمَّـا يَحْتَفِـلْ ... وَدْقُ السَّمَـاءِ، عَجَـاجَـةٌ كَـدْرَاءُ

6 ـ مُسْتَضْحِـكٌ بِلَـوَامِـعٍ، مُسْتَعْبِـرٌ ... بِمَـدَامِـعٍ لَـمْ تَمْـرِهَـا الأَقْـذَاءُ

7 ـ فَلَـهُ بِـلاَ حُـزْنٍ ولا بِمَسَـرَّةٍ ... ضَحْـكٌ يُـؤَلِّـفُ بَيْنَـهُ وبُكَـاءُ

8 ـ حَيْـرَانُ مُتَّبِـعٌ صَبَـاهُ تَقُـودُهُ ... وجَنُـوبُـهُ كِنَـفٌ لَـهُ ووِعَـاءُ

9 ـ ودَنَـتْ لَـهُ نَكْبَـاؤُهُ حتَّـى إذا ... مِـنْ طُـولِ مَـا لَعِبَـتْ بِـهِ النَّكْبَـاءُ

10 ـ ذَابَ السَّحَـابُ فَهُـوَّ بَحْـرٌ كُلُّـهُ ... وعلـى البُحُـورِ مِـنَ السَّحَـابِ سَمَـاءُ

11 ـ ثَقُلَـتْ كُـلاَهُ فَنَهَّـرَتْ أَصْـلاَبَـهُ ... وتَبَعَّجَـتْ مِـنْ مَـائِـهِ الأَحْشَـاءُ

12 ـ غَـدَقٌ يُنَتِّـجُ بـالأَبَـاطِـحِ فُـرَّقـاً ... تَلِـدُ السُّيُـولَ ومـا لَهَـا أَسْـلاَءُ

13 ـ غُـرٌّ مُحَجَّلَـةٌ، دَوَالِـحُ ضُمِّنَـتْ ... حَمْـلَ اللِّقَـاحِ، وكُلُّهَـا عَـذْرَاءُ

14 ـ سُحْـمٌ فَهُـنَّ إذَا كَظَمْـنَ فَـوَاحِـمٌ ... سُـودٌ، وهُـنَّ إذَا ضَحِكْـنَ وِضَـاءُ

15 ـ لَوْ كانَ مِن لجَجِ السَّوَاحِلِ مَاؤُهُ ... لـم يَبْـقَ مِـن لُجَـجِ السَّـوَاحِـلِ مَـاءُ

ابـن مُطَيْر (*)

التخريـج: الشعر والشعراء ج 1 ص 37 ـ 38.

(*) الحسين بن مطير الأسدي. جمع شعره وقدّم له حسين عطوان: انظر عرضنا النقدي لما نُشر في العقود الأخيرة من مجاميع أشعار المغمورين بالجزء السادس.

رفع المسهم

ـ 14 ـ
أبـو الهنـدي
(توفي نحو 140 هـ)

في الخمر أو من بوادر الشعر المحدث:

[الطويل]

1 ـ وفـارة مِسْـك مـن عِـذار شممتهـا ... يفـوح علينـا مسكُهـا وعبيـرُهـا
2 ـ سمـوت إليهـا بعـد مـا نـام أهلهـا ... غُـدُوًّا ولمَّـا تُلْـقَ عنهـا سـتـورهـا
3 ـ سَيُغْنِي أبا الهندي عن وَطْب سالمٍ ... أبـاريـقُ كـالغـزلان بيـضٌ نحـورهـا
4 ـ مفـدَّمـةٌ قـزّاً كـأن رقـابهـا ... رقـاب الكـراكـي أفـزعتْهـا صقـورهـا
5 ـ مصبّغـة الأعلـى كـأن سَـرَاتهـا ... ذبـائـح أنصـاب تـوافـتْ شهـورهـا
6 ـ تَـلألُأ فـي أيـدي السقـاة كـأنهـا ... نجـوم الثـريّـا زيَّنتهـا عَبُـورُهـا
7 ـ يَمـجّ سُـلافـاً مـن زِقـاقٍ كـأنهـا ... شيـوخ بنـي حـام تحنّـت ظهـورهـا
8 ـ أقبّلهـا فـوق الفـراش كـأنهـا ... صَـلاَيَـةُ عطّـار يفـوح زريـرهـا
9 ـ إذا ذاقهـا مَـن ذاق جـاد بمـالـه ... وقـد قـام سـاقي القـوم وَهْنـاً يُـديرهـا
10 ـ خفيفاً مليحاً في قميص مقلّص ... وجُبّـة خـزّ لـم تُشَـدّ زُرُورهـا
11 ـ وجـاريـة فـي كفهـا عـودُ بَـرْبَـطٍ ... يجـاوبهـا عنـد التـرنُّـم زِيـرهـا
12 ـ إذا حركْته الكفُّ قلتَ حمامةٌ ... تجيـب علـى أغصـان أيـك تَصُـورُهـا
13 ـ تجـاوب قمـرّيـا أغـنَّ مطـوَّقـاً ... شقـائقـه منشـورة وشكيـرهـا
14 ـ إذا غرّدت عند الضَّحاء حسبتَها ... نـوائـحَ ثكلـى أوجعتهـا قبـورهـا
15 ـ وكأس كعين الديك قبل صياحه ... شربت بزُهْرٍ لم يَضِرْنِي ضَريرها
16 ـ فمـا ذَرَّقَـرْنُ الشمس حتى كـأنّني ... أرى قـريـة حـولـي تَـزَلْـزَلُ دُورهـا

أبو الهندي (*)

التخريـج: طبقات الشعراء، ص 140 ـ 141.

(*) أبو الهندي: انظر ذيل ص 244.

رفع المسهم

ـ 15 ـ

من أخبار الشعراء الأعراب في القرن الثالث
أو
في الأدب الهازل(*)

المعلي بن المثنى الشيباني قال: حدثنا سويد بن منجوف قال: أقبل أعرابي من بني تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السبيع، تحته أتان له تخب، وعليها ذلاذل وأطمار من سَحْق صوف، قد اعتم بما يشبه ذلك؛ من أشْوه الناس منظراً وأقبحهم شكلاً؛ وهو يهدر كما يهدر البعير وهو يقول ألا سَبَد، ألا لَبَد ألا مُؤْو ألا مُقْرٍ، ألا سعديّ ألا يَربُوعيّ، ألا دَارميّ! هيهات هيهات! وما يُغني أصل حوض الماء صاديا مُعَنى! قال سويد: فدخل علينا في درب الكناسة فلم يجد منفذاً وقد تبعه صبيان كثير وسواد من سواد الحي، قال: فسمعت سوادياً يقول له: يا عماه، يا إبليس! متى أُذِنَ لك بالظهور؟ فالتفت إليهم، فقال منذ صَرّوا آباءكم وفشُّوا أمهاتِكم! قال: وكان معنا أبو حماد الخياط، وكان من أطلب الناس لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي، فدخل علينا وكان مع ذلك مولى بني تميم، فأتيته فأخبرته؛ فخرج مبادراً كأني قد أفدته فائدة عظيمة؛ وقد نزل الأعرابي عن الأتان واستند إلى بعض الحيطان وأخذ قوسه بيده؛ فتارة يشير بها إلى الصبيان، وتارة يذبُّ الشذا عن الأتان ـ وهو يقول لأتانه:

[الرجز]

قد كنتِ بالأمْعَز في خِصبِ خصِبْ ... ما شئتِ من حَمْضٍ وماءٍ مُنْسِكبْ

فربُّكِ اليومَ ذليلٌ قد نُصب ... يَرى وجوهاً حوله ما ترتقب

(*) أحلنا القارىء على هذا الخبر بصدد نظرنا في شعر ناهض بن ثومة وما تعلق بهذا الشاعر من أخبار هازلة، انظر ص 172 وكذلك الخبر ص 189 ـ 191.

رفع المسهم

ولا عليهـا نُـور إشـرافِ الحسَـبْ كـأنهـا الـزّنْـجُ وعُبـدَانُ العـرب
إلـى عجيـل كـالـرعيـل والسـربْ ولـو أمِنْـتُ اليـوم مـن هـذا اللَّجَـبْ
رميـتُ أفـواقـاً قـويَمـات النُّصُـبْ الـرِّيـش أولاهـا وأُخْـراهـا العقـب

قال: فلم يزل أبو حماد يلطفه ويتلطف به ويبجله، إلى أن أدخله منزله؛ فمهد له وحطه عن أتانه، ودعا بالعلف؛ فجعل الأعرابي يقول: أين الليف والنَّثيف والوساد والنجاد؟ يعني بالليف: الحصير؛ وبالنثيف عشبة عندهم يقال لها البُهْمَى والوساد: جلد عنز يسلخ ولا يشق ويحشى وبراً وشعراً ويُتّكأ عليه؛ والنجاد: مسح شعر يستظل تحته. قال: فلما نزع القتب عن الأتان إذا ظهْرها قد دَبِر حتى أضرَّت بنا رائحته: فجعل الأعرابي يتنهد ويقول:

[الرجز]

إنْ تُنحَضِـي أو تُـدبَـري أو تُـزجَـري فـذاك مـن دُءُوبِ ليـلٍ مسهِـرِ
أنـا أبـو الـزهـراءِ مـن آلِ السَّـرِي مُشَمِّـخ الأنـفِ كـريـم العُنْصِـر
إذا أتيْت خُطَّةً لـم أقسَرِ

وكان يسمى الأعرابي صلتان بن عوسجة من بني سعد بن دارم، ويكنى بأبي الزهراء، وما رأيت أعرابياً أعجب منه؛ كان أكثر كلامه شعراً؛ وأمثل أعرابي سمعته كلاماً؛ إلا أنه ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لا نفهمها؛ وكان من أضجر الناس وأسوئهم خُلقاً، وإذا نحن سألناه عن الشيء قال: ردّوا عليَّ القوس والأتان! يظن أنا نتلاعب به، وكنا نجتمع معه في مجلس أبي حماد، وما منا إلا من يأتيه بما يشتهيه، فلا يعجبه ذلك؛ حتى أتيناه يوماً بخرْبز، وكانت أمامه، فلما أبصرها تأملها طويلاً وجعل يقول:

[الرجز]

بُـدِّلْـت والـدهـرُ قَـديمـاً بَـدَّلا مـن قيْـضِ بيـضِ القَفْـز فقْعـاً حَنظَـلا
أخبثُ ما تُنبت أرض مأكلاً

رفع المسهم

فكنا نقول: له: يا أبا الزهراء، إنه ليس بحنظل، ولكنه طعام هنيء مريء، ونحن نبدؤك فيه إن شئت. قال: فخذوا منه حتى أرى! فبدأنا نأكل وهو ينظر لا يطرف، فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة، فنزع أعلاها وقوّر أسفلها، فقلنا له: ما تريد أن تصنع يا أبا الزهراء؟ فقال: إن كان السم يا ابن أخي ففيما ترون! فلما طَعِمَه استخفَّه واستعذَبه واستحلاه، فلم يكن يؤثر عليه شيئاً، وما كنا نأتيه بعد بغيره، وجعل في خلال ذلك يقول:

[الرجز]

هـــذا طعـــامٌ طيِّـــبٌ يليـــنُ في الجوفِ والحلْقِ له سُكونُ
الشَّهْـــدُ والـــزبـــد بـــه مَعْجـــون

فلما كان إلى أيام، قلت له: يا أبا الزهراء، هل لك في الحمام؟ قال: وما الحمام يا ابن أخي؟ قلنا له: دار فيها أبيات: حارّ، وفاتر، وبارد؛ تكون في أيها شئت يذهب عنك قشف السفر ويسقط عنك هذا الشعر. قال: فلم نزل به حتى أجابنا، فأتينا به الحمام، وأمرنا صاحب الحمام أن لا يُدخل علينا أحداً، فدخل وهو خائف مترقب، لا ينزع يده من يد أحدنا، حتى صار في داخل الحمام، فأمرنا من طلاه بالنُّورة، وكان جلده أشعر كجلد عنز، فقلق ونازع للخروج، وبدأ شعره يسقط؛ فقلنا أحين طاب الحمام وبدأ شعرك يسقط تخرج؟ قال: يابن أخي، وهل بقي إلا أن أنسلخ كما ينسلخ الأديم في احتدام القيظ! وجعل يقول:

[الرجز]

وهـــل يطيـــب المـــوتُ يـــا إخـــوانـــي هـــل لكـــم فـــي القـــوس والأتـــان
خـــذوهمـــا مِنِّـــي بـــلا أثمـــانِ وخلّصـــوا المهجـــةَ يـــا صبيـــان
فـــاليـــوم لـــو أبصـــرَنـــي جيـــرانـــي عُـــرْيـــان بـــل أعـــرى مـــن العـــرْيـــان
قـــد سَقَـــط الشَّعـــرُ مـــن الجثمـــان حُسبْـــت فـــي المنظَـــرِ كـــالشَّيطـــان!

قال: ثم خرج مبادراً، وأتبعه أحداثٌ لنا، لولاهم لخرج بحاله تلك ما

رفع المسهم

يستره شيء؛ ولحقناه في وسط البيوت، فأتيناه بماء بارد، فشرب وصب على رأسه، فارتاح واستراح، وأنشأ يقول:

[الرجز]

الحمـــد لِلمُستحمـــدِ القهَّـــار ... أنقَـــذَنـــي مـــن حـــرّ بيـــتِ النـــارِ
إلـــى ظليـــل ســـاكـــنِ الأوار ... مـــن بعـــد مـــا أيقنـــتُ بـــالـــدَّمـــار

قال: فدعونا له بكسوة غير كسوته فألبسناه، وأتينا به مجلس أبي حماد؛ وكان أبو حماد يبيع الحنطة والتمر وجميع الحبوب؛ وكان يجاوره قوم يبيعون أنبذة التمر وكان أبو الحسن التّمّار ماهراً؛ فإذا خضنا في النحو وذكرنا الرؤاسي[1] والكسائي[2] وأبا زيد[3]، جعل ينظر، يفقه الكلام ولا يفهم التأويل؛ فقلنا له: ما تقول يا أبا الزهراء؟ فقال: يا ابن أخي، إن كلامهم هذا لا يسد عوزاً مما تتعلمونه له. فقال أبو الحسن: إن بهذا تعرف العرب صوابَهَا من خطئها. فقال له: ثَكْلتَ وأثْكَلت! وهل تخطيء العرب؟ قال: بلى. قال: على أولئك لعنة الله وعلى الذين أعتقوا مثلك! قال سويد: وكنت أحدثَهُم سناً قال فقلت: جُعِلْتُ فداك، وأنا رجل من بني شيبان وربيعة؛ ما تعلم أنّا على مثل الذي أنت عليه من الإنكار عليهم؛ فقال فيهم:

[الطويل]

يُســـائلُنـــي بيَّـــاعُ تَمـــرٍ وجـــرْدَقٍ ... ومـــازجُ أبـــوالٍ لـــه فـــي إنـــائـــهِ
عن الرَّفع بعد الخفْض، لا زال خافضاً ... ونصـبٍ وجـزْمٍ صِيـغ مـن سُـوءِ رأئـه
فقلـــت لـــه هـــذا كـــلامٌ جهلْتـــه ... وذو الجهلِ يَروِي الجهلَ عن نظرائه

(1) الرّؤاسي من أئمة مدرسة الكوفة في النحو (توفي نحو 195هـ).
(2) الكسائي من أئمة مدرسة الكوفة في النحو (توفي 189هـ).
(3) أبو زيد عمر بن شبة من كبار الأخباريين البصريين (توفي 263هـ).

رفع المسهم

وقلت بهذا يُعرف النحوُ كلُّه ... يرى أنني في العُجْم من نُظرائه

فأمّا تَميمٌ أو سُليْمٌ وعامر ... ومَن حلَّ غمْرَ الضَّالِّ أو في إزائه

ففيهم وعنهم يُؤثر العِلم كلُّه ... ودَع عنك من لا يهتدي لِخَطائه

فَمنْ ذا الرُّوَاسِيُّ الذي تذكُرونه ... ومن ذا الكِسائي سالحٌ في كِسائه

ومن ثالثٌ لم أسمعِ الدهرَ باسْمِه ... يُسمُّونه من لؤمه سِيبوائه

فكيف يُخِلُّ القوْل من كان أهله ... ويُهدَى له من ليس من أوليائه

فلستُ لبيَّاعِ التُّميْرات مُغْضِياً ... على الضَّيْم إن واقفت بعد عشائه

ولقد قلنا له: يا أبا الزهراء، هل قرأت من كتاب الله شيئاً؟ قال: إي وأبيك، آيات مفصلات أَردِّدهن في الصلوات، آباء وأمهات، وعمات وخالات ثم أنشأ يقول:

[الرجز]

قرأَت قول الله في الكتاب ... ما أَنزَل الرَّحمنُ في الأحزابِ

لعُظْم ما فيها من الثّواب ... الكفرُ والغلْظة في الأعرابِ

وأنا فأعلمْ من ذوي الألباب ... أَومنُ بالله بلا ارتياب

في عرْشِه المستور بالحجاب ... والموْت والبعْث وبالحساب

وجنَّةٍ فيها من الثياب ... ما ليس بالبَصْرة في حساب

وجاحِمٍ يلْفحُ بالتهاب ... أوْجُهَ أهلِ الكفرِ والسِّباب

ودفْعِ رحْلِ الطارقِ المنتاب ... في ليْلةٍ ساكتةِ الكلاب

ولما أحضرناه ذات يوم جنازة، فقلنا له: يا أبا الزهراء، كيف رأيت الكوفة؟ قال: يا ابن أخي، حضراً حاضرا؛ ومحلاً آهلاً؛ أنكرتُ من أفعالكم الأكيال والأوزان، وشكل النسوان. ثم نظر إلى الجبانة فقال: ما هذا التلال يا

رفع المسهم

ابن أخي؟ قلت له: أجداث الموتى، فقال: أماتوا أم قتلوا؟ فقلت: قد ماتوا بآجالهم ميتات مختلفات. قال: فماذا ننتظر نحن يا ابن أخي؟ قلت: مثل الذي صاروا إليه: فاستعبر وبكى؛ وجعل يقول:

[الرجز]

يـا لهْـفَ نفْسـي أن أمـوت فـي بلـدْ ... قـد غـاب عنـي الأهْـل فيـه والـولـدْ
وكـلُّ ذي رحْـمٍ شفيـقٍ مُعْتقَـدْ ... يكـون مـا كنـتُ سقيمـاً كـالـرمِـدْ
يـا ربِّ يـا ذا العـرش وفِّـقْ للـرّشَـدْ ... ويسِّـر الخيْـر لشيْـخٍ مُخْتضـدْ

ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى أخذته الحمى والبرسام؛ فكنا لا نبارحه عائدين متفقدين؛ فبينا نحن عنده ذات يوم وقد اشتد كربه وأيقن بالموت، جعل يقول:

[الرجز]

أبلـغْ بنـاتـي اليْـوم بـالصّـوى ... قـد كـنّ يـأْمُلْـن إيـابـي بـالغِنـى
وقـد تمنَّيْـن ومـا يُغْنـي المنـى ... بـأنّ نفْسـي وردت حـوْض الـرَّدى
يـا ربِّ يـا ذا العـرش فـي أعـلا السَّمـا ... إليـك قَـدّمـت صيـامـي فـي الظَّمـا
ومـن صـلاتـي فـي صبـاحٍ ومَسـا ... فعُـدْ علـى شيـخٍ كبيـرٍ ذي أنحنـا
يكفيه ما لاقاهُ في الدُّنيا كفى

قلنا له: يا أبا الزهراء، ما تأمرنا في القوس والأتان، وفيما قسم الله لك عندنا من رزق؟ فقال: يا ابن أخي، أما ما قسم الله لي عندكم فمردودٌ إليكم، وأما القوس والأتان فبيعوهما وتصدقوا بثمنهما في فقراء صَلِبة بني تميم، وما بقي في مواليهم. ثم جعل يقول: اللهم اسمع دعاء عبدك إليك، وتضرعه بين يديك، واعرف له حق إيمانه بك، وتصديقه برسلك، صليت عليهم وسلمت؛ اللهم إني جان مقترف وهائب معترف، لا أدعي براءة، ولا أرجو نجاة إلا

رفع المسهم

برحمتك إياي، وتجاوُزِك عني؛ اللهم إنك كتبت على الدنيا التعب والنصب، وكان في قضائك، وسابق علمك قبْضُ روحي في غير أهلي وولدي، اللهم فبدل لي التعب والنصب رَوحاً وريحاناً وجنة نعيم؛ إنك مفضل كريم. ثم صار يتكلم بما لا نفقهه ولا نفهمه حتى مات، رحمه الله؛ فما سمعت دعاءً أبلغ من دعائه، ولا شهدت جنازة أكثر باكياً وداعياً من جنازته؛ رحمه الله.

التخريـج:

العقد الفريد، ج 3 ص 490 ـ 496.

رفع المسهم

ذيل

أبو تمام (توفي 232)(*)

قال يمدح مالك بن طوق ويَسْتَبطئه:

[الكامل]

1 ـ قِفْ بالطُّلُولِ الدَّارِساتِ عُلاَثَا ... أَمسَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثَا

2 ـ قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا ... وقَبُولِهَا ودَبُورِهَا أَثْلاَثَا

3 ـ فَتَأَبَّدَتْ مِن كُلِّ مُخْطَفَةِ الحَشَا ... غَيْدَاءَ تُكْسَى يَارَقاً ورِعَاثَا

4 ـ كالظَّبْيَةِ الأَدْمَاءِ صَافَتْ فارْتَعَتْ ... زَهَرَ العَرَارِ الغَضِّ والجَثْجَاثَا

5 ـ حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الحَرِيفُ رِوَاقَهُ ... سَافَتْ بَرِيرَ أَرَاكَةٍ وكَبَاثَا

6 ـ سَيَّافَةُ اللَّحَظَاتِ يَغْدُو طَرْفُهَا ... بالسِّحْرِ في عُقَدِ النُّهَى نَفَّاثَا

7 ـ زَالَتْ بِعَيْنَيْكَ الحُمُولُ كأَنَّها ... نَخْلٌ مَوَاقِرُ مِنْ نَخِيلِ جُوَاثَا

8 ـ يَوْمَ الثُّلاَثَا لَنْ أَزَالَ لِبَيْنِهِمْ ... كَدِرَ الفُؤَادِ لِكُلِّ يَوْمٍ ثُلاَثَا

9 ـ إِنَّ الهُمُومَ الطَّارِقَاتِكَ مَوْهِناً ... مَنَعَتْ جُفُونَكَ أَنْ تَذُوقَ حَثَاثَا

10 ـ وَرَأَيْتَ ضَيْفَ الهَمِّ لا يَرْضَى قِرًى ... إِلاَّ مُدَاخَلَةَ الفَقَارِ دِلاَثَا

11 ـ شَجْعَاءَ جِرَّتُهَا الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ ... أُصُلاً إِذا رَاحَ المَطِيُّ غِرَاثَا

12 ـ أُجُداً إِذَا وَنَتِ المَهَارَى أَرْقَلَتْ ... رَقَلاً كتَحْرِيقِ الغَضَا حَثْحَاثَا

13 ـ طَلَبَتْ فَتَى جُشَمٍ بنِ بَكْرٍ مَالِكاً ... ضِرْغَامَهَا وهِزَبْرَهَا الدِّلْهَاثَا

14 ـ مَلِكٌ إِذَا استَسْقَيْتَ مُزْنَ بَنَانِهِ ... قَتَلَ الصَّدَى وإِذا استغَثْتَ أَغَاثَا

15 ـ قَدْ جَرَّبَتْهُ تَغْلِبُ ابْنَةُ وَائِلٍ ... لا خَاتِراً غُدَراً ولا نَكَّاثَا

16 ـ مِثْلُ السَّبِيكَةِ لَيْسَ عَنْ أَعْرَاضِها ... بالغَيْبِ لا نَدُساً ولا بَحَّاثَا

17 ـ ضَرَحَ القَذَى عَنْها وشَذَّبَ سَيْفُهُ ... عَنْ عِيصِهَا الخُرَّابَ والخُبَّاثَا

18 ـ ضَاحِي المُحَيَّا لِلْهَجِيرِ وللْقَنَا ... تَحْتَ العَجَاجِ تَخَالُهُ مِحْرَاثَا

(*) انظر ما أبديناه من رأي على سبيل المقارنة بشأن هذه القصيدة: ص 219.

رفع المسهم

19 ـ هُـمْ مَـزَّقُـوا عنْـهُ سَبَـائِـبَ حِلْمِـهِ وإذا أَبُـو الأَشْبَـالِ أُحـرِجَ عَـاثَـا

20 ـ لَـوْلا القَـرَابَـةُ جَـاسَهُـمْ بِـوقَـائِـعٍ تُنسِـي الْكُـلابَ وَمَلْهَمـاً وبُعَـاثَـا

21 ـ بـالخَيْـلِ فَـوْقَ متُـونهِـن فَـوارِسٌ مِثْـلُ الصُّقُـورِ إذا لَقِيـنَ بُغَـاثَـا

22 ـ لَكِـنْ قَـرَاكُـمْ صَفْحَـهُ مَـنْ لَـم يَـزَلْ وأَبُـوهُ فِيكُـمْ رَحْمَـةً وغِيَـاثَـا

23 ـ عَـفُّ الإِزارِ تَنَـالُ جَـارَةُ بَيْتِـهِ أَرْفَـادَهُ وتُجَنِّـبُ الأَرْفَـاثَـا

24 ـ عَمْـرُو بـنُ كُلْثُـومٍ بنِ مَـالِـك الـذي تَـرَكَ العُلَـى لِبَنِـي أَبِيـهِ تُـرَاثَـا

25 ـ وزَعُـوا الـزَّمَـانَ وهُـمْ كُهـولٌ جِلَّـةٌ وسَطَـوْا علـى أَحْـداثِـهِ أَحْـدَاثَـا

26 ـ أَلْقَـى علَيْـهِ نِجـارَهُ فـأَتَـى بـه يَقْظَـانَ لا وَرَعـاً ولا مُلْتَـاثَـا

27 ـ تَـزْكُـو مَواعِـدُهُ إِذَا وَعَـدُ امْـرِىءٍ أَنسَـاكَ أَحـلاَمَ الكَـرَى الأَضْغَـاثَـا

28 ـ وتَـرَى تَسَحُّبَنَـا عليـه كـأَنَّمَـا جِئْنَـاهُ نَطْلُـبُ عِنْـدَهُ مِيـرَاثَـا

29 ـ كَـمْ مُسْهِلٍ بِكَ لَـوْعَـدَتْكَ قِلاَصُـهُ تَبْغِـي سِـوَاكَ لأَوْعَثَـتْ إِيعَـاثَـا

30 ـ خَـوَّلْتَـهُ عَيْشـاً أَغَـنَّ وجَـامِـلاً دَثْـراً ومَـالاً صَـامِتـاً وأَثَـاثَـا

31 ـ يا مَالِكَ ابنَ المالِكينَ أَرَى الذي كَنَّـا نُـؤَمِّـلُ مِـنْ إِيَـابِـكَ رَاثَـا

32 ـ لَـوْلا اعْتِمـادُكَ كُنْـتُ ذَا مَنْـدُوحَـة عَـنْ بَـرْقَعِيـدَ وأَرْض بـاعِينَـاثَـا

33 ـ والكَـامِخِيَّـةُ لَـمْ تَكُـن لـي مَنْـزِلاً فمقَـابِـرُ اللَّـذَّاتِ مِـنْ قَبْـرَاثَـا

34 ـ لَـمْ آتِهَـا مِـنْ أَيِّ وَجْـه جِئْتُهَـا إِلاَّ حَسِبْـتُ بيُـوتَهَـا أَجْـدَاثَـا

35 ـ بَلَـدُ الفِـلاَحَـةِ لَـوْ أَتَـاهَـا جَـرْوَلٌ أَعْنِـي الحُطَيْئَـةَ لاغْتَـدَى حَـرَّاثَـا

36 ـ تَصْـدابِهَـا الأَفْهَـامُ بَعْـدَ صِقَـالِهَـا وتَـرُدُّ ذُكْـرانَ العُقُـولِ إِنَـاثَـا

37 ـ أَرْضٌ خَلَعْتُ اللَّهْوَ خَلْعِي خَاتَمِي فِيهـا وطَلَّقْـتُ السُّـرورَ ثَـلاَثَـا

التخريـج :

ديوان أبي تمام/ شرح التبريزي ج 1 ص 312 ـ 322.

رفع المسهم

رفع
المسهم

فهرست المسهم
غفر الله له ولوالديه

المحتوى

الجـزء الأول

ثقافة البادية ومسالكها لدى ثلة من شعراء المائة الثانية

مدخل 9

القسـم الأول

خلف الأحمر وما تبقى من شعره (دراسة) 13
الباب الأول: قصائد ودراسات 27
- الحلقة الأولى: من قضايا النحل في القرن الثاني 31
- الحلقة الثانية: من مسالك التصوير الساخر لدى المحدثين ... 50
- الحلقة الثالثة: ثقافة صحراء الجزيرة كما تمثلها المحدثون ... 68
الباب الثاني: سائر شعر خلف 91
الباب الثالث: إطار عام لدراسة شعر خلف 105

القسـم الثاني

- ابن أبي كريمة 121
- أبو شراعة 137

رفع المسهم
غفر الله له ولوالديه

- أبو الخطاب البهدلي 153
- ناهض بن ثومة 165
- أبو الشيص الخزاعي 193

ملحق
قصائد شواهد

- عمارة بن عقيل 223
- علي بن عاصم العنبري 229
- بشار بن برد 233
- المرّار الفقعسي 238
- الحارثي 241
- منصور النمري 242
- أبو الهندي 243
- ابن المعذل 244
- أبو سعد المخزومي 245
- العكّوك 247
- ابن مطير في الغزل 248
- ابن هرمة 249
- ابن مطير في الوصف 253
- أبو الهندي 254
- من أخبار الشعراء الأعراب 255
- ذيل: قصيدة أنموذج لأبي تمام 262

الجدول العام لما نشر من شعر المقلين في العصر العباسي الأول خلال العقود الأخيرة، والفهارس المختلفة، والثبت المفصل للمصادر والمراجع، فذلك ما يجده في ذيل القارىء الجزء السادس من هذا العمل.

رفع المسهم

دار الغرب الإسلامي

بيروت – لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
تلفون: 009611-350331 :Tel / خليوي: 009613-638535 :Cellulaire
فاكس: 009611-742587 :Fax / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم 300 / 2000 / 1 / 1997

التنضيد : كومبيوتايب للصف الطباعي الألكتروني

الطباعة : دار صادر ، ص.ب. 10 - بيروت

رفع المسهم

Avertissement

Le présent volume ainsi que le précédent et ceux qui suivent - sept au total - constituent les deux volets d'un travail d'ensemble dont le premier volet - une étude de synthèse en langue française - a fait l'objet d'une publication parallèle parue sous le titre:

La mémoire rassemblée*

Poètes arabes «mineurs»
des IIe/VIII et IIIe/IXe siècles

L'ensemble de ces travaux reprend, en le développant, le texte initial d'une thèse de Doctorat d'état soutenue en juin 1984, auprès de l'Université de la Sorbonne nouvelle PARIS III.

* Maisonneure - larose, Paris 1987.

Document de la couverture:
page initiale enluminée du
Kitāb al-Šifā' de ʿIyāḍ
(Manuscrit datant du XIe/ XVIIe s)
Collection privée.

رفع المسهم

COPYRIGHT © 1997

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
B. P. : 113-5787- BEYROUTH

Tous droits de reproduction - quel qu'en soit le procédé -, de traduction et d'adaptation réservés pour tous pays .

رفع المسهم

BRAHIM NAJAR

POÈTES ARABES "MINEURS"

Du 1er Siècle Du Califat Abbasside

Deuxième partie: Vol. I

Permanence de la culture du désert
le retour aux sources

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

رفع المسهم

BRAHIM NAJAR

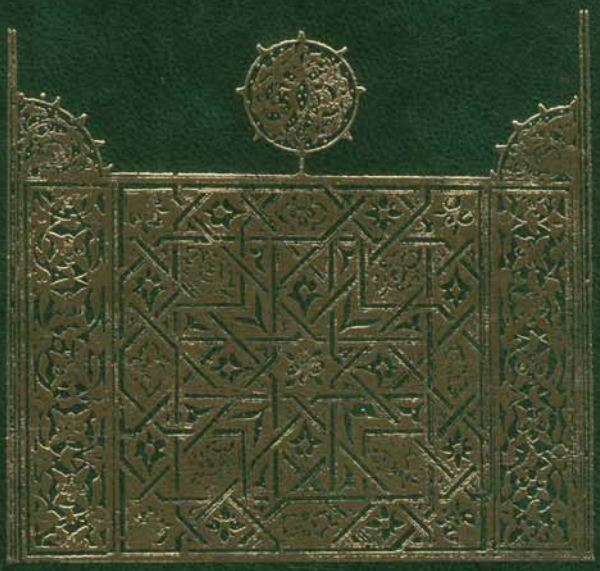

POÈTES ARABES "MINEURS"

Du 1er Siècle Du Califat Abbasside

Deuxième partie: Vol. I

Permanence de la culture du désert
le retour aux sources

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
BEYROUTH 1997